مكتبتنا العربية

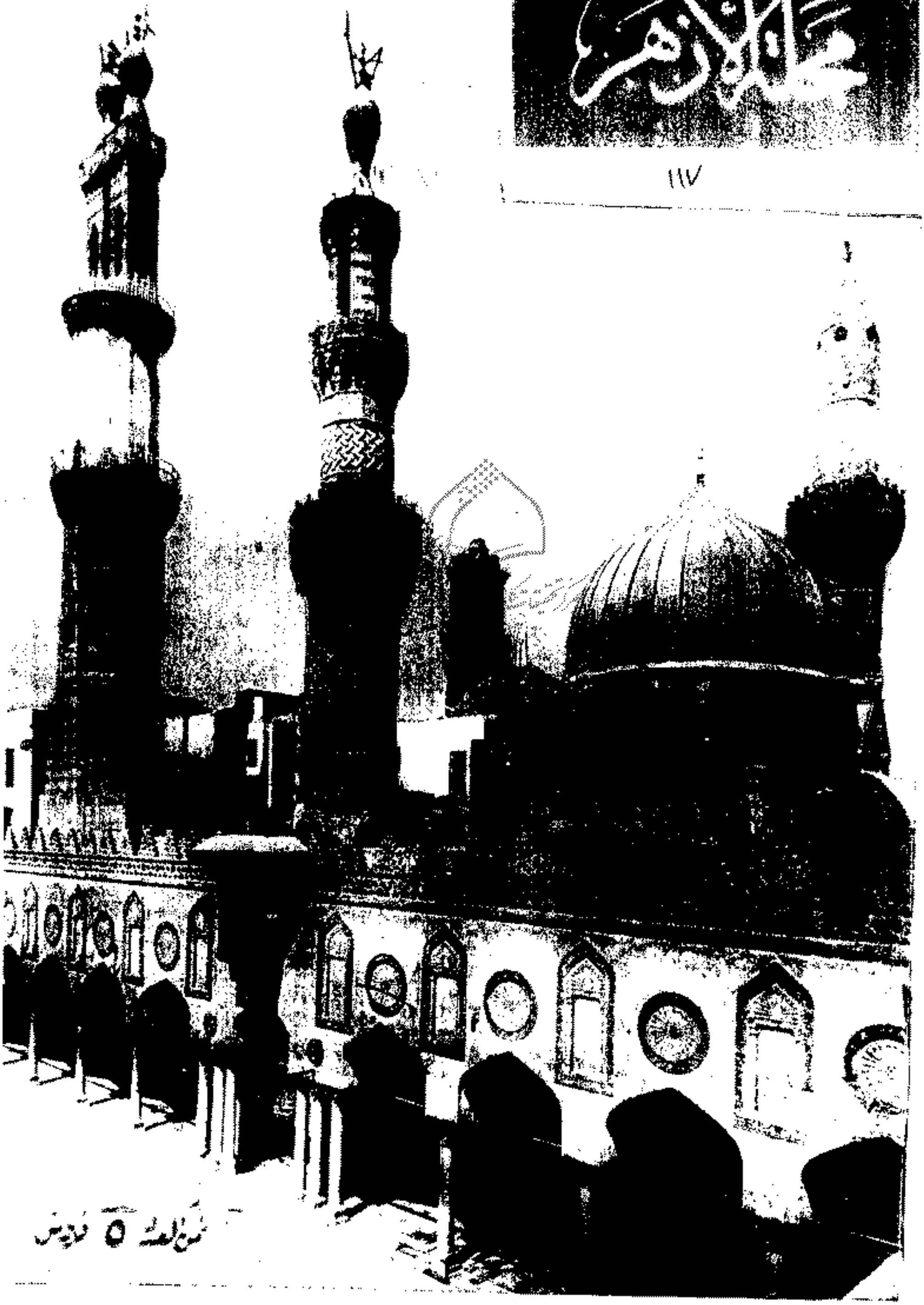

مكتبتنا العربية

مدير المجلة
محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
٥٠ في مصر والسودان
٣٠ للطلبة في مصر والسودان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
٥ ثمن الجزء

الجزء العاشر - في غرة شوال ١٣٧٢ - ١١ يونية ١٩٥٣ - المجلد الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

ثقافتنا الحائرة

لما قام وفد مصر إلى مؤتمر المستشرقين الثامن في ستوكهلم عام ١٣٠٧ (١٨٨٩) مؤلفاً من الشيخ حمزة فتح الله وعبد الله فكري وابنه أمين فكري ومحمود عمر، كانت الباخرة (غامبوج) من بواخر المساجيري ماريتيم تبحر من القسطنطينية إلى أوربا وعليها كبير كتاب الترك في ذلك الوقت العلامة أحمد مدحت افندي ممثلا للدولة العثمانية في ذلك المؤتمر. ومع أن مؤلفات هذا الأديب التركي قد أربت يومئذ على مائة كتاب، فإنه أدرك بفطنته وإنصافه أن الفلك الذي تدور فيه ثقافته على سعتها لا يؤهله لعضوية مؤتمر المستشرقين، وأعلن في مقدمة كتاب رحلته إلى ذلك المؤتمر اعترافه بأنه رجل وقف حياته على نقل معارف الغرب إلى الشرق، فهو - لذلك - يعد «مستغرباً» أكثر منه «مستشرقاً»، فضلا عن أن يكون شرقياً في اتجاهه الثقافي.

وقد يكون في قادة الفكر من أدباء الترك من كان يتجه بثقافة بلاده اتجاهاً غربياً أكثر مما فعل أحمد مدحت افندي، بل قد يكون فيهم من يذهب إلى أن حضارة الغرب «كل لا يتجزأ»، فعلى الأمم الشرقية وهي تأخذ الحضارة عن الغرب أن تأخذها بحذافيرها

كما دعا إلى شيء من ذلك بعض حملة الأقلام عندنا . أما أحمد مدحت افندى فأشهد أنه كان أديباً إسلامياً ، وأن له مواقف مشرفة حتى فى الرد على المبشرين . وأنه كان حريصاً على توجيه الشباب التركى فى قافلة الإسلام ، وكان من رسالته أن تكون للترك ثقافة مستقلة تعصمهم عن أن يذوبوا فى الثقافة الغربية ، وتدرأ عن عقولهم وقلوبهم حملات الاستعمار الفكرى وأخطاره ومع ذلك فإنه - بحكم الاختصاص الذى كان له فى عالم الثقافة - اعترف بأنه يعد « مستغرباً » أكثر منه « مستشرقاً » ، واعتذر بذلك عن حداثة عهده بالجو الذى يستقبله فى مؤتمر المستشرقين .

تحتاج الأمم فى نهضاتها إلى أن تأخذ من علوم الأمم الأخرى كل ما يجدّ عندها ، لتنتفع به فى تقدم صناعاتها ، والنهوض بأسباب قوتها . أما الثقافة والأدب فإن لكل أمة ثقافتها وأدبها ، خصوصاً الأمة التى لها رسالة سامية إلى الإنسانية ، ولها تراث فياض من لغة عريقة فى القدم زاخرة بدقائق المعانى وثمرات المدارك وخطرات الأفكار ومشاعر القلوب. وكلما كان تراثها الأدبى أغزر وأغنى ، كان تفريط أبنائها فى استقلالهم الثقافى جناية منهم على قوميتهم وخيانة لها . وقلما يكون ذلك إلا تحت سلطان الاستعمار وبإرشاده ، وتنفيذاً لخطط رسمها رجاله لمعاهد التعليم ، فأخرجت للبلاد حملة أقلام يفكرون بعقول أجنبية ، ويوجهون الرأى العام وجهة أجنبيه ، ويزينون للناس أذواقا أجنبية .

نقول هذا بعد أن هدأت المعركة الأخيرة حول الأدب العصرى فى مصر بين الذين كانوا يسمون أنفسهم المجددين فى الأدب ، وبين أبنائهم الذين يدعون إلى تجديد فى ذلك التجديد حتى يبقى معه قديما . ولا يبعد أن يخلف هؤلاء خلف من الأحفاد بعد عشرين سنة أخرى يدعو إلى تجديد ثالث بدعوى أن تجديد التجديد قد أدركه الهرم فصار قديما بعد قديم.

وأنا أقرر — بأسف عميق وحزن شديد — أننا فى عصرنا هذا ليس لنا أدب جديد ولا قديم ، لأن أدبنا — فى وضعه الحاضر — لا رسالة له ، وقد نشأ ذلك عن كونه أدب أمة لا تعرف من هى ، ولا أين هى ، وماذا تريد ، وما هى وسائلها لتحقيق ما تريد .

وفى ظنى أن القارىء لا يزال على ذكر من هذه الحقيقة المريرة التى أعلنها فى العام الماضى وزير خارجيتنا الألمعى الأستاذ محمود فوزى ، وقرر فيها أننا أمة لا تعرف

مكتبتنا العربية

من هى [1] . ولو أن أدبنا الشائع الآن أدب سليم لارتفع بنا من أعماق التيه الذى نحن فيه ، فأشرف بنا على مصادر ضعفنا وينابيع قوتنا ، ولكان لنا به من دقة الحس ما نسمع به نابض الحياة فى مجالى الحقيقة . بل لكان لنا منه غذاء شهى نقوى به على بلوغ مطمحنا المتوارى وراء الآفاق .

أدب الأمة أوسع أفقا وأبعد مدى من أن يختص بجيل واحد ، أو بلد منفرد . وإنما هو القلب النابض بحيوية الأمة من أقدم عصور بيانها ، وفى أوسع آفاق مشاعرها . وهو موجه الأمل القومى الذى يتخطى الدهور فيتصل بالأهداف الأولى مهما أوغلت فى أحشاء المستقبل .

إن أدبنا فى مصر يجب أن تتجاوب رسالته مع رسالة عمرو بن العاص فيما كان قد رسمه لمصر العربية الإسلامية من اتصال بجناحيها فى الشرق والغرب ، ويجب أن تتجاوب رسالته مع رسالة كل ناطق بالضاد من فلسطين إلى أقصى وطن الأدب العربى وراء فلسطين ، ومن ليبيا إلى أقصى هذا الوطن الواحد بعد ليبيا ، وبذلك يحمل أدبنا الأصيل لواء الجهاد الفكرى فى دنيا العروبة والإسلام ، مؤديا رسالته لأمة تعرف نفسها وتمضى وراء أهدافها .

أما النفاش الذى قام أخيراً بين الجديد الذى صار قديماً ، وبين الوليد الذى يحاول أن يكون شيئاً جديداً ، فانما قام بين أدبين أجنبيين عن رسالة الأدب العربى ، وغريبين عن القلب النابض بحيوية هذه الأمة ، فكانت الأمة بهما كاليتيم الذى لا عائل له ، وكالمظلوم ليس له من ينطق بحقه ويدفع الظلم عنه .

أدب الأمة هو اللسان الناطق برسالة الأمة . فإذا كانت الأمة لا تعرف من هى ، وإذا كان لسانها الناطق برسالتها غير مؤمن بهذه الرسالة ، فأى قيمة لهذا الأدب جديدا كان أو جديد الجديد ، وقديما كان أو قديم القديم .

أدبنا كأغانينا يتكسب مما تتكسب منه الأغانى ، ويتقصف ويتخلع فى الجو الذى تتقصف فيه وتتخلع هذه الأغانى . وكل ذلك من أثر ثقافتنا الحاضرة التى تلقاها أجيالنا عن مناهج سنها لنا رجال الاستعمار ، ولا نزال دائرين فى فلكها ، تائهين فى أغراضها ، بعيدين عن رسالتنا القومية التى أولها فى الانقلاب الاجتماعى الأعظم الذى تم على أيدى

---

(١) انظر جزء ربيع الآخر من هذه المجلة (ص ٢٩٧)

مكتبتنا العربية

عمرو بن العاص وصحبه يوم رسموا خطط الفسطاط . وأخشى أن نكون تناسينا هذه الرسالة منذ أفل نجم الفسطاط وخلا مسجده العتيق من علمائه وأدبائه ، ومن قادة الفكر الذين طلعوا شموساً فى سمائه .

وإذا كان الأدب الجديد وجديد الجديد أدباً أجنبيا لأنه لا يتصل برسالة هذه الأمة ولا بالقلوب التى تستمد قوتها من قوة هـذه الرسالة ، فان البلاغة من المواهب الباقية فى الناس ما بقى الناس . ولن يعود للأمة أدبها إلا إذا نبغ فيها بلغاء مؤمنون برسالتها ، ولهم قلوب تتجاوب مع تراثها الأول ، وبصائر تكشف أهدافها من آفاق المستقبل ، حتى إذا هتفوا بهذه الأمة يدعونها إلى أن تعرف من هى ، وأين هى ، وماذا تريد ، انتعشت حينئذ ثقافتنا الأصيلة ونمت وأينعت وزالت حيرتها ، وإن تحقيق ذلك رهن بتغيير مناهج معاهدنا كلها : فى الأزهر ، ومدارس وزارة المعارف ، والجامعات ، فاذا تجاوبت مناهجنا مع رسالتنا نهض العملاق حينئذ من نوم طال عليه الأمد ، وخرج من كهفه ليستقبل الدنيا بعقل جديد وأدب جديد ، وسلاح جديد ؟

محب الدين الخطيب

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

نزوع المرء إلى أصله

قال نهشل بن حرى :

أرى كل عود نابتاً فى أرومة ... أبى نسب العيدان أن يتغيرا

بنو الصالحين الصالحون ، ومن يكن ... لآباء سوء يلقهم حيث سيرا

أبوك هناب سارق الضيف برده ... وجدى يا حجاج فارس شمرا

مكتبتنا العربية

الأمم السعيدة والأمم الشقية

فى الأرض أمم سعيدة وأمم شقية ، أمم راقية وأمم منحطة ، أمم لها العزة والسؤدد وأمم لها الذلة والخزى ، أمم تعيش فيما بينها كأنما تعيش فى الفردوس سعادة ونعمة ، وأمم كأنما تعيش فى الجحيم شقاء وبؤساً ، أمم لم تدع خيرا من الخيرات إلا تمتعت به من كرامة وجاه ، وأمم لم تدع شقاء إلا جلبته لنفسها وشقيت به ، فما الذى جعل بعض هذه الأمم سعيدا وبعضها شقيا ؟

إن الجواب عن هذا السؤال أنفس شىء فى هذه الحياة لأنه يعطى المرء المفتاح الذى تفتح به الأمة باب السعادة ، والمفتاح الذى تغلق به باب الشقاء . إن سعادة فرد واحد مرغوب فيها ومبحوث عنها ، فكيف سعادة أمة بأكملها . وإن الأمر وإن كان على ما ذكرت تراه لا يؤبه به فى الشرق ولا يفكر فيه ، وترى الأدباء ورجال الاجتماع يعنون بما هو أقل من ذلك شأنا ولا يعنون بهذا الأمر الخطير .

إن أول واجب على رجال الاجتماع وعلى الأمة بأسرها ، أن تبحث عما به تسعد الأمم وتتبعه وأن تبحث عما به تشقى الأمم وتجتنبه .

إن الأمة السعيدة أمة علمت أنها لم تتكون أمة إلا لتجلب كل خير لها وتدفع كل شر عنها ، وأنه يجب أن يعمل كل واحد لخير المجموع ودفع الشر عن المجموع ، وأنه يجب أن يشعر كل واحد أنه مدين لباقى الأمة بوجوده وعلمه ومنطقه وسعادته ورفاهيته ، ولن تبلغ الأمة السعادة إلا إذا كانت العلاقة بين أفرادها علاقة عدالة ، فتكون فيها عدالة فى توزيع الثروات وعدالة فى المعاملات وعدالة فى الحقوق وعدالة فى الواجبات .

تعلم ذلك علماً لا يخالجه ريب يستولى على نفوسها ، وتنصرف جوارحها على مقتضى هذا العلم فتروض نفسها على أن تعترف لذوى الحقوق بحقهم ويؤدى كل ما وجب عليه للغير .

أما الأمم الشقية فهى أمم جاهلة لم تعلم هذا العلم ، بل ربما اعتقدت أو اعتقد الأقوياء فيها أنها لم تتكون أمة ولم تجتمع فى هذه البقعة من الأرض إلا ليستغل قويها ضعيفها ، ويستعبد عزيزها ذليلها ، وما وجدت عامتهم إلا لتخدم خاصتهم ، فنشأ عن هذا الاعتقاد

مكتبتنا العربية

أن تكون العلاقة بينهم علاقة ظلم واغتصاب ، فالمسألة مسألة قوة فمن قدر أن يحظى بخيرات الأمة فعل ، ومن قدر أن يستخدم الغير فعل ، ومن قدر أن يبنى سعادته على شقاء الآخرين وبكائهم فعل .

من هذه المعرفة ومن هذه الجهالة تنشأ سعادة الأمة وشقاؤها ، فمن هذه المعرفة ينشأ العدل والتعاون والمحبة ، وهى أساس كل سعادة ، ومن هذه الجهالة ينشأ الظلم والتخاذل والبغض وهى أسباب كل شقاء .

يرى الفرد فى الأمم العالمة أنه مدين لأمته بوجوده وجميع الخيرات التى هو فيها فيحبها ويربط مصيره بمصيرها ، ويجهل الفرد فى الأمم الجاهلة ذلك فلا يرى لأمته حقا ولا يرى عليه واجبا لها ، فلا يعمل لخيرها ولا يسعى فى نفعها . يرى الدهماء والعامة فى الأمم العالمة أنهم مغمورون بنعمة الخاصة فقد بنوا لهم المستشفيات والمدارس ، وأن الدولة تعولهم إذا عجزوا وتداويهم إذا مرضوا فيحبون خاصتهم ويتعلقون بدولتهم ، ويرى الدهماء والعامة فى الأمم الجاهلة أن كبراءهم لم يفيدوهم وأنهم يحلبونهم ويهزلونهم وأنهم مغموطو الحق ، مهضومون فى أمتهم فيحقدون على كبرائهم ويضمرون الشر لدولتهم وتكون الأمة معسكرين: معسكراً ظالما ومعسكراً مظلوما . فأما الأول فيزداد فى الظلم ليخمد أنفاس الآخرين . وأما الثانى فيجتهد لينجو من ظلم الأول ، ويتبع ذلك ما يكون بين الجميع من كراهية وبغض وظلم وتدابر وانتقام وفوضى مما يوجب الفساد والشقاء .

المسألة إذن مسألة علم وجهل وتربية على الحق والإنصاف . يبلغ من جهل كبراء الأمم الجاهلة أنهم يعتقدون أنهم إذا ظلموا ضعفاءهم وقهروهم على مصالحهم استتب لهم العيش وأنه يمكن أن تعيش الأمة على أن يستغل أقوياؤها ضعفاءها .

ويبلغ من علم الأمم العالمة أن تنظر إلى أبعد من ذلك وترى فى حجب المستقبل أنه لا يمكن أن تعيش أمة على هـــذا النمط ، وأنه إذا سلط بعض الأمة على بعض فأذلوهم واستعبدوهم أفقدوهم الحمية والعزة ، فإذا غزا الأمة عدو أجنبى هرع كبراء الأمة الظالمون إلى بقية الأمة المظلومين فاستنصروهم فلم يجدوا عندهم غناء ، وكيف يجدون عندهم غناء وهم أذلوهم فأفقدوهم الحمية وسلبوهم العزة والقوة الغضبية ، وهذه هى الدروع التى تتقى بها أمة إغارة أمة ، وتنتصر بها دولة على دولة ، أيظنون أنهم يكسرون شوكتهم اليوم ويسلبونهم

مكتبتنا العربية

أسلحتهم ثم يدفعون بهم عدواً مغيراً، إن من ذل لك ذل لغيرك، والعبد لا يعرف الكر، وإنما يعرف الحلب والصبر.

يعلمون ذلك كله فلا يلحون على أمتهم بالظلم، وإنما يعاملونهم بالعدل ليستبقوا عزتهم ونخوتهم وحميتهم، فإذا جاء الجد وأغار عليهم مغير وجدوا منهم أسوداً غاضبة وليوثا كاسرة يدفعون عن الحمى ويذودون عن الحرية. هذا مبلغ العلم وهذا مبلغ الجهل.

وما قوة المسلمين فى أول دولة الإسلام إلا من هذا العلم، وما ضعفهم أخيراً إلا من هذا الجهل، هذا الجهل الذى ذكرناه هو الذى أفقد المسلمين عزتهم وحميتهم فى هذا العصر، فصاروا غرض كل صائد وفريسة كل مفترس ونهب كل مغير.

كان الخلفاء الراشدون لأممهم كالأب الشفيق على أبنائه يعولهم صغاراً ويدخر لهم كباراً، وكان كالراعى الشفيق على غنمه ينأى بهم عن موارد الهلكة ويرتاد لهم الخصب.

ولقد قال بعض الرعية لعمر بن الخطاب: والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا، فقال: الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من إذا وجد فى اعوجاجا قومنى بسيفه.

حمداً لله على ذلك لأن هذا دليل على أن فى الأمة الحمية والغضب والقوة والشجاعة فى الحق، والأمة إذا كان فيها ذلك لم تهن ولم تضعف، وقد غضب على عمرو بن العاص حين ضرب ابن القبطى، وقال له: متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. غضب وحنق لأنه خاف أن يلحوا عليهم بالظلم فيستعبدوهم ويذلوهم فيسلبوهم العزة والأنفة والحمية والغضب وهى عدد الأمة فى هذا الوجود.

ولقد بلغ من حمية العرب وأنفتهم أن معاوية ذكر الأحنف بن قيس بمقامه مع على فى حرب صفين فقال: والله يا أمير المؤمنين إن السيوف التى قاتلناك بها لعلى عواتقنا، وإن القلوب التى أبغضناك بها لبين جوانحنا، وإنك إن تدن من الحرب شبرا دنونا منها ذراعا، وإن تدن منها ذراعا دنونا منها باعا؛ ثم خرج مغضبا فقال يزيد لأبيه لم تحلم على هذا العربى الجلف، فقال: يا بنى إنه أبو مائة وأخو مائة وعم مائة إذا غضب غضبوا لغضبته لا يسألونه لماذا غضب. ثم جاء بعد ذلك خلفاء ظلمة وأمراء جائرون فألحوا على الأمة بالظلم حتى أذلوها وأفقدوها الشعور بالكرامة ووجدوا فى سبيل ذلك عنتاً وشدة، وقاومتهم الأمة مقاومة عظيمة ولكنهم انتصروا أخيراً، انتصروا بالأمة عليها.

مكتبتنا العربية

ولقد بلغ من إذلال الأمة أن يقول الحجاج على المنبر : والله يا أهل الشقاق ومعدن النفاق إنى لأرى رؤوساً أينعت وحان قطافها وإنى لصاحبها ، وإنى لأرى الدماء تترقرق بين العمائم واللحى ؛ فلا يجد من ينتصر لكرامته أو يرد هذا الجبار عن جبروته .

ازداد الولاة ظلماً وعسفاً ، وازدادت الأمة ضعفاً وخسفاً ، وما زالوا بهم يفقدونهم عزتهم ونخوتهم ويفسدون نفوسهم إلى أن صارت الأمم الإسلامية مباحة لكل طامع ، لا تدفع عن نفسها ولا تغنى عن بلادها ، ولقد خرج عليها « هولاكو » وجنكيز خان ، فملكوا معظم البلاد الإسلامية فى زمن وجيز كأنما كانا فى رياضة لا فى فتح واستعمار ، وما ذاك إلا لأن القوى الحقيقية التى يدفع بها الأسد عن عرينه والطير عن وكره والكلب عن وجاره والإنسان عن وطنه قد أفقدهم إياها هؤلاء الظلمة ، فصاروا أكلة كل آكل وطعمة كل جائع ، وغبرت الأيام ، وتلك سنة الولاة الظالمين والرعية المظلومين ، إلى أن جاءت العصور الحاضرة فأغارت أوروبة على الشرق فوجدت حمى مباحاً لا حام ولا راع .

من ذلك يعلم أن مصائبنا منا ودواءنا فينا وصدق الله إذ يقول : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

ولن نرقى ونسعد إلا إذا أخذنا بأسباب الرقى والسعادة ونبذنا أسباب الشقاء والانحطاط ، « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

من كلام الصاحب بن عباد

* الإحجام فى مواطنه ، كالإقدام فى مواضعه .
* اللبيب من الايماء يكفيه ، والإيحاء يغنيه ، واللفظة تجزيه ، واللمحة تؤثر فيه .
* المكيدة أبلغ من النجدة .

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

العدل والظلم

من الألفاظ البارزة فى القرآن : لفظا عدل وظلم . . فى صيغ مختلفة . . وهما متقابلان . . إذا جرى أحدهما على لسانك خطر الثانى ببالك . . وذلك هو الشأن فيما بينهما التضاد : مثل خير وشر ، وحسن وقبيح ، ونافع وضار . . هكذا عرفنا من الكتب . . ولكن الأمر فيما نحن بسبيله فوق الضوابط المسطورة . . فللوجدان إدراك ، وللفطرة مذاق ، وللشعور تقدير ، وللإحساس تصوير .

وخصائص القرآن - كما عهدنا إليك من قبل - تنطوى عليها ألفاظه ، وتمتزج بها معانيه ، ويقترن بها سياقه ، فلا يمكنك أن تراها شيئاً غيره ، ولا تستطيع أن تباعد فيما بين شىء وشىء . . والسمع يتلقف من ألفاظ القرآن ما يقابل بعضه بعضا : كالعدل والظلم ، والهدى والضلال ، والرحمة والعذاب . . . الخ ، فتجنح الحساسية القلبية إلى جانب ، وتزور عن جانب : تجنح إلى لفظ كلفظ العدل . . حيث يدرك الوجدان حنوه ، وتتذوق الفطرة عذوبته ، ويقدر الشعور فيه رفاهيته ، ويتصوره الوعى الإنسانى كالظل الظليل : يأوى اليه اللاهث المحرور فيطرح عناءه ، ويسترد راحته ، ويتخيله الوعى كالماء القراح : ينحدر اليه الظامىء الكدود فيروى صداه ، ويبرد به الكبد الحرى . . وهل ترى لفظ العدل الذى توجنا به حديثنا إلا أمانا شاملا من المخاوف عامة ؟ ؟ هو أمان تنادى به الفطرة الاجتماعية ، وتهتف به الانسانية ، وترنوا اليه الدنيا لتسلم الحياة على طولها من كل ما يلويها عن السير قدما إلى الأمام . .

العدل ! ! وما العدل ؟ وفيم يكون ؟ ؟ ... العدل : اعتدال بين جانبين : لا إلى اليمين ، ولا إلى الشمال فهو كميزان قائم لا يميله عن الجادة مساس ، ولا تقربه النسمات فتأرجح كفتاه . . . ولقد أغنانا القرآن عن الأسهاب فى تشخيصه ، فضرب له الأمثال ، وعنى من بينها

مكتبتنا العربية

بذكر الميزان . . واشترط فيه أن يكون بالقسطاس المستقيم ـ العلامة الوسطى التى يضبط بها التساوى ـ وعلمنا ـ سبحانه ـ أنه آخذ فى شأنه معنا بنحو ذلك ، وأنه سيقيم الميزان بينه وبيننا يوم الفصل « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ـ والوزن يومئذ الحق » .

وليس بعد ذلك تمثيل أوضح فى التعليم ، ولا توجيه أقوى إلى العدل ـ إلا ما فى علم الله

ثم يكون العدل منك فيما لك أو عليك ، وفيما يصدر عن جوارحك من قول أو عمل ، وفيما يجرى تحت سلطانك من شئون الناس ، وفيما يقع تحت عينك وتستطيع أن تطول اليه يدك ، أو ينطق فيه لسانك : بل يكون فيما تنطوى عليه سريرتك مما يخفى على الناس ولا يخفى على رب الناس « إن السمع والبصر والفؤاد : كل أولئك كان عنه مسئولا » .

والعدل كالقوة الجاذبة تتآخى به النفوس ، وتشتد به العلائق وتستقيم عليه الجماعة .

وسطوة العدل تقوّم المعوج ، وتروع الجائر ، وتمهد للحضارة أن تسير ، وللدنيا أن تزدهر

أما الظلم : ـــ فلفظه بغيض ، ومعناه موحش ، وحوله مكاره ، وهو على الإيجاز مسخوط يقض المضاجع اللينة ، ويشرد الخواطر الساكنة ، ويزعج النفوس الآمنة ، ليس للدنيا حظ فيه ، ولا للحياة نصيب منه ، ولا للانسانية رغبة اليه ، ولا تجنح إليه النفس إلا نفسا خالطتها وحشية ، أو طغت عليها البهيمية فأفسدت عليها فطرتها ، ونأت بها عن الهدى ، فكانت آفة من آفات المجتمع ، وشوكة فى جنب الحضارة ، وقذى فى عين الحياة .

الظلم !! وما الظلم وفيم يكون ؟ ؟ الظلم انحراف عن الجادة أو ميل من جانب إلى جانب ، ويمثله لك ميزان مضطرب ، يعطيك مرة أكثر أو أقل مما لك ، ويأخذ منك مرة فوق أو أقل مما عليك ، وهو فى جملته وتفصيله شذوذ عن سنن الفطرة .

ويكون الظلم كذلك فيما بينك وبين الناس من كافة الشئون ، ويكون فيما يقع تحت عينك ، وتملك أن تطوله يدك ، أو ينطق فيه لسانك . . والظلم فى حساب الفطرة كاللهب مساسة تهلكه ، وللقرب منه مخافة وعاقبته خسار وبوار ، ومهما هان وقع الظلم فهو قبيح مشئوم ، تنقبض لذكره المشاعر ، ولا تستقيم عليه الحياة بحال ، لذلك حرمه الله على نفسه ، ونهانا فى تأكيد من الآيات عن التظالم إبقاء على مصالحنا فى دنيانا ، واحتفاظا بعمارة الكون كما شاء مبدعه . . واستبقاء لهناءة الفرد فى محيطه الذى يعيش فيه .

مكتبتنا العربية

حفلت آيات الكتاب بذكر العدل والظلم ، ولكن لماذا يقف ذكر العدل عند العشرين مرة مع أنه محبب إلى القلوب ؟ ولماذا يتردد ذكر الظلم خمس عشرة وثلاثمائة مرة مع أنه مرذول بغيض .

أحسب ذلك لأمرين . . أحدهما : ـ إن العدل نجى الفطرة البريئة من الشوائب ، فهو شاخص لديها لا يغيب عنها ، وإنما يذكر للتذكير ، حتى لا تخيم عليه الشواغل ، ولا يستشرى فى إغفاله الظلم والعدوان .

ثانيهما : ـ أن الظلم دعوة الشيطان فهو دائما يزينه ، ويجتذب اليه ، فكان الإكثار من ذكره للصد عنه ، ولمقاومة المغريات التى يقدمها الى كل نفس شيطانها من الجن أو الإنس . . والمرء بحاجة الى تبصيره بسوء ما يعرضه شيطانه ، وتأمره به نفسه ، ويدفعه اليه هواه على أن كل نهى عن الظلم فى طيه أمر بالعدل ، وكل تشويه لآثار الظلم تزكية للعدل : ضرورة المقابلة بين المتضادين كما أسلفنا . فالإكثار من ذكر الظلم للتشويه والتقبيح.

وللقرآن فى حديثه عن العدل مسلك حكيم ، فهو يذكره أولا ـــ كمبدأ عام : يأخذنا به من غير تفصيل ، وفى هذا توجيه إلى أن العدل فى اعتبار الشريعة كما هو فى حساب الفطرة الانسانية : لا يتخصص بشأن دون شأن ، ولا يختص به قوم دون آخرين ، وفى هذا يقول الحكيم سبحانه « إن الله يأمر بالعدل » فلم يقيد أمره بمعقول . بل ساقه بصيغة الاطلاق ليكون سلطان الأمر مبسوطا على كل من يقع تحت التكليف أو يكون صالحا لذلك . وكذلك أطلق العدل ، فلم يحصره فى شىء ولم يقرره بزمن ، وعلى هذا يكون العدل كما قلنا مبدأ منشودا على وجه التعميم والاطراد .

ثم تأتى آيات أخرى تؤكد ذلك ، نحو قوله تعالى « ولا يجرمنكم شنآن قوم ـــ بغضهم على ألا تعدلوا . اعدلوا : هو أقرب للتقوى » وهنا تنحسم الخصومات ، فلا تنال من العدالة بل ولا تمتد إليها بالانتقاص مهما يكن سببها : فلا تشفى ، ولا حنق ، ولا جنف ، ولا انحراف . وإنما هو تخلق بأخلاق الرحمن ، وأخذ بالكمال حتى مع من لا يكون مـــواليا ، ولا مطيعاً « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم ـــ الآية » .

ومن مسلك القرآن ـــ ثانيا ـــ فى ذكر العدل أن يتجاوز التعميم إلى التطبيق فيعرض لأمور يبرز فيها العدل أكثر ، ويأتى على كثير منها بالتصريح : منها : « وإذا حكمتم

مكتبتنا العربية

بين الناس أن تحكموا بالعدل » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » فهل ترى تأكيدا آكد ، وتصريحاً أصرح من طلب العدل فى الحكم على هذا النحو واعتبار الخروج عن العدل فيه كفراً : وظلما : وفسوقا : ؟ وهل بعد هذه الثلاثة شناعة ؟ ومنها « أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم : الآية » ، « والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » ، « ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » : ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ؟ الآية » ، وهكذا من مواطن العدل البارزة يسوقها الكتاب العزيز مساق التطبيق للمبدأ العام فيما يجرى مع الناس ، وبين الناس من أعمال ، أو يجرى على ألسنتهم من أقوال ولو لم تكن عالقة بأحد ، ومن باب الأولى إذا كانت عالقة « وإذا قلتم فاعدلوا .. ولو كان ذا قربى » . وفى هذه الآيات وأمثالها تحصين للعدالة أن تذهب ضحية الهوى ، أو تميل بها العصبية ، أو يلتوى بها التأويل المغرض .

والمسلك الثالث للقرآن فى ذكر العدل - بعد تركيزه كمبدأ ، وبعد التمثيل فى تطبيقه - مسلك التصوير الدقيق لحقيقته ، والكشف عن مداه - ولو تقريبا - ليتبصر العقل ، ويتيقظ الوجدان ... ومن ذلك أن الله يضرب لنا الأمثال عن شأنه وهو الحكم الأعلى غير مدافع ولا مسئول « إن الله لا يظلم الناس شيئا - إن الله لا يظلم مثقال ذرة - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره - ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - إنا لانضيع أجر من أحسن عملا - يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة ، أو فى السموات ، أو فى الأرض يأت بها الله » .

فذلك تصوير بارز : فيه تأكيد ، وتقوية للعهد ، يأخذه الله على عباده أن يستنوا بسنته ويتزلوا عند إرادته ، ويقيموا شرائعهم على هذا الأساس من شريعته ، حتى مع من خاصموا دينهم فى دينه ، ولم يستجيبوا لدعوة رسوله فإن الله قد عدل مع هؤلاء ، ولم يطاردهم من ملكه . ولم يقطع أرزاقهم فى دنياهم ، ولم يأخذهم على غرة ، فإنه خلقهم بقدرته ، وأبقاهم بإرادته وحكمته ، فكان حقا لائقا أن يعدل ، وقد عدل ، وطلب إلينا أن نأخذ بهديه ذلك

مكتبتنا العربية

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » .

فالقرآن يطوف بنا حول العدل فى أوضاعه البينة : مبدأ ـ وتطبيقا ـ وتصويرا ، ولم كل ذلك ؟؟ لأن العدل للحياة الاجتماعية كأنفاس الحياة للكائنات الحية ، وهو لنهضات الشعوب كالماء العذب فى سقى الزروع . فإن لم يكن فى القلوب متسع لهداية القرآن : فلتكن لنا هداية من تجارب الأزمان . وما شهدنا أمة جارت ، ولا حاكما ظلم ، ولا أسرة طغت إلا ثأر الله بقوته ممن عبثوا بسنته ، وغفلوا عن دعوته ، وفى الآيات نذر تسمع من به صمم ، وفى الكون دلائل مشهودة لمن بعينه قذى ، وكلها تنادى : العدل . . العدل ! ! .

فمن لم يعدل — ولو فى خاصة نفسه — أو اجترأ ولو فى شأن غير ذى بال ... فقد ساهم فى كبت العدالة ، ومناصرة العدوان ، ومن وراء ذلك اختناق الحياة وتعويق الحضارة ، ومحادة الله فيما رسم لنظام الكون ... وربك بالمرصاد ، ولن يهمل مهما أمهل .

وإنك لترى فى بعض الآيات تخويفاً من الظلم أكثر مما ترى فى جانب غيره من المآثم ، فانظر ـ مثلا ـ إلى قوله سبحانه « إنه لا يفلح الظالمون » « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » وفى هذا الاستثناء إيذان بأن صوت المظلوم مسموع فى كل ما يتجه به الى الله ... وقد أكدت أحاديث الرسول ذلك فأفادت فى صراحة أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب . . وأفادت أن الله ينصر دعوة المظلوم ولو بعد حين . .

وأفادت أن الظلم فى الدنيا ظلمات يوم القيامة . . أى ـ انها ظلمات متكاثفة تكتنف بشاعتها الظالم ، وتحدق به حتى يكون شأنه مفضوحا ، ويكون بين الخلائق فى هول وضجر ، وآلام . . بينما يكون لغير الظالمين فى ذلك الموقف الرهيب نور يسعى بين أيديهم ، وبأيمانهم ، وعن شمائلهم ثم هم يتزيدون فيقولون « ربنا أتمم لنا نورنا . . ويقول الظالم : ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله » ولديك من التخويف بالحق الذى يصدع رءوس الجبابرة : أن الله تعالى حينما دعانا الى الحكم بالعدل جعل الخروج عنه كفرا ، ثم ظلما ، ثم فسوقا . . على هذا الترتيب فى الآيات ، فإذا كان الظالم قرين الكفر والفسوق ، وكان بينهما فى الذكر : صح لك أن تقول فى هذا السياق . شر الثلاثة أوسطها ، كما تقول فى باب الثناء : خير الأمور أوسطها . . وتوجيه ذلك ـ أن الكافر على ما به من شؤم واضح الشأن

مكتبتنا العربية

لا يتاح له أن يدلس على الناس مثل ما يدلس الظالم وهو متستر وراء تسمية دينية يبتدعها ثم لا ينزل على حكمها ولا يراعى مقتضاها .

ولا أذهب بك بعيداً فى التذكير والإقناع ، فالقرآن نفسه يصارحك بما يؤكد لنا ما يفيده السياق أو ما أسميه فى اصطلاحى الخاص بالنفحات ـ واليك قول الله تعالى « ولو أن لكل نفس ظلمت : ما فى الأرض ـ لافتدت به . . . » .

فاتخاذ الظلم فى هذا التهديد والإخبار عنه بأن ما فى الأرض لو كان مملوكا للظالم لقدمه فداء لنفسه يومذاك : مما يكشف لك فى غير خفاء عما ينتظر الظالم هنالك من وبال ولا تقل : ان المراد من الظالم خصوص الكفر . . فقد عمم القرآن ، وقرن بينهما فى قضية واحدة ، واذا لم تكن توبة مقبولة فربك لا يغفل عما يعمله الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار » .

عبد اللطيف محمد السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

****

أخلاق المجاهدين

قال الحافظ ابن عساكر إن حبيب بن مسلمة قدم على أمير المؤمنين عمر فى حجة ، وكان حبيب تام القامة ، فسلم على عمر ، فقال له عمر :

— إنك لفى قناة رجل

فقال : اى والله وفى سنانها

فقال عمر : افتحوا له الخزائن فليأخذ ما شاء ! ففتحوها له ، فعدا عن الأموال ، وأخذ السلاح .

مكتبتنا العربية

تحقيق القول في ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فهذه كلمات قصدت بها تحرير القول فى معنى ليلة القدر وبيان المراد بها أخذا مما تفيده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تتحدث عن هذه الليلة فى معرض حديثها عن نزول القرآن الكريم .

والذى دعانى للكتابة فى هذا الموضوع أن كثيرا من الكتاب والخطباء فى أوقاتنا الحاضرة قد انتحوا بهذه الليلة فى مقالاتهم وخطبهم ناحية قد تعتبر — فى بادىء الرأى — من التجديد الشائق فى تفسير آيات الكتاب العزيز .

فأردت بهذه الكلمات أن أبين أن هذا الذى ذهبوا إليه فى تفسير سورة القدر ، وفى تعيين المعنى الذى اختاروه لليلة القدر ليس جديدا ، وإنما هو رأى قديم غير مشهور وأن السر فى أنه لم يسعد بالشهرة عند العلماء ومن يعنيهم أمر القرآن ممن تخصصوا فى تفسيره وكانوا أهدى من غيرهم فى فهم نصوصه هو أنه رأى ضعيف لا تنهض به حجة قوية ، ولا يساعد عليه أسلوب الآيات القرآنية نفسها فى حديثها عن هذه الليلة .

وقد ضمنت هذه الكلمات الأبحاث الآتية :

معنى ليلة القدر ـ ليلة القدر ونزول القرآن ـ شرف ليلة القدر وجلالة شأنها ـ هل هى ليلة واحدة فى عمر الدنيا أو تتكرر بتكرر الأعوام ؟ موقعها من ليالى السنة . والله الموفق والهادى إلى الصواب وحسن السداد .

« ليلة القدر » : جاء فى القاموس ولسان العرب وغيرهما من كتب اللغة « القدر » بسكون الدال يطلق على معان :

منها الشرف وعظم الشأن ورفعة المكانة .

ومنها التعظيم والتبجيل ورفع المكانة .

ومنها تقدير الشىء وتحديده وضبط صفاته وأحواله .

مكتبتنا العربية

فمن الأول قولك : فلان له قدر أى له شرف وعلو شأن .

ويصح أن يكون منه ومن الثانى قولك : المسلمون يقدرون الرسول قدره ، أى يعرفون له سمو المكانة أو يعظمونه حق التعظيم . ومن ذلك أيضا قوله تعالى فى المشركين : « وما قدروا الله حق قدره » أى ماعظموه حق عظمته وما قدسوه حق تقديسه .

ومن الثالث قولك : قدّر الله الآجال والأرزاق قدرا ، بمعنى كتبها وحددها وضبط مقاديرها ومواقيتها وسائر أحوالها . ومن هذا القبيل قولك : قدر فلان القذة بالقذة إذا ضبط الأولى بالثانية وحدد بها مقدارها فأتت على وفقها مساوية لها .

وبسبب اختلاف معنى القدر لغة وتنوعه على النحو الذى ذكرنا قد اختلف علماء السلف فى معنى القدر الذى نسبت إليه الليلة فى كلمة « ليلة القدر » :

فمنهم من قال إن الشرف والسمو وعظم الشأن ورفعة المكانة . فليلة القدر هى ليلة الشرف والشأن العظيم وهى ليلة البر والخير والسلام والبركة .

ومنهم من قال : إن القدر معناه تقدير الأشياء وتدبيرها وضبط صفاتها وأحوالها .

فهذان قولان يدور عليهما الاختيار فى تحديد معنى ليلة القدر . ولا حاجة بنا للتعرض لغيرهما من الأقوال فأنه مما لا يكاد يعول عليه :

غير أنه ينبغى أن يوقف عند كل من هذين القولين ليسأل :

أولا : إذا كان القدر معناة الشرف والعظم ورفعة الشأن فبماذا كان شرف ليلة القدر ؟ وهل هى ليلة لها معينات سابقة على الرسالة وعلى نزول القرآن ، ولها وجود يمكن أن تميز معه باسم « ليلة القدر » حتى مع عدم مراعاة أنها الليلة التى نزل فيها القرآن ؟

وثانياً : إذا كان القدر معناه التقدير فما المراد بهذا التقدير ؟ وما هى الأشياء التى تقدر فى تلك الليلة ؟ هل هى خصوص أحكام الشريعة وقواعد الدين أو هى جميع ما أراد الله أن يجريه على العباد والأكوان مما سبق به علمه المحيط ؟

« أما عن الأول » فقد صرح القرآن فى سورة القدر تصريحاً لا يقبل الشك أن القرآن أنزل فى هذه الليلة ، وأنها ليلة كلها خير وسلام من أولها حتى مطلع الفجر ، وأنها خير من ألف شهر : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر » .

مكتبتنا العربية

وقال تعالى : فى سورة الدخان : « حم والكتاب المبين ، إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين » .

ولكن هل ما امتازت به هذه الليلة من الخير والبركة والسلام والأمن ، وما وصفت به من الشرف والسمو ورفعة الشأن قد اكتسبته من نزول القرآن فيها فحسب ، وأنه لولا ذلك ما كان ليثبت لها شيء من هذه المزايا ، وما كان يطلق عليها اسم «ليلة القدر» ؟ أو أنها ليلة قدر وشرف ، لها من قبل الرسالة ونزول القرآن خصائصها وميزاتها ، ولها اسمها وسمو مكانتها ، وأنها من أجل فضلها وشرفها اختارها من بين الليالى لينزل فيها مانزل من القرآن .

قد مال إلى الوجه الأول الشيخ محمد عبده ، عليه سحائب الرحمة ، ولم ير أن لليلة القدر فضلا ولا شرفا ومزية إلا من أجل أن الله تعالى « قد أعلى فيها منزلة نبيه ، وشرفه وعظمه بالرسالة » ، وأوحى اليه بما أوحى من القرآن الذى هو كتاب الهداية والسعادة والخير و البر والبركة » .

اختار ـ رحمه الله ـ هذا الوجه متابعا فيه بعض من تقدم من العلماء ثم تبعه عليه كثير من أهل العلم فى عصرنا الحاضر .

وقد يكون لهذا الوجه ـ فى بادىء النظر ـ شيء من الوجاهة . ولكننا نرى فى الوجه الثانى عند التحقيق ـ أجود الرأى وأوجهه وأحقه بالنصرة والتأييد ، وذلك للمعانى التالية :

« الأول » : أن قوله تعالى : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » إعلام من الله سبحانه لنبيه بعد ما أوحى اليه فى تلك الليلة بما أوحى من القرآن الكريم ـ أنه كرمه بهذا الوحى فى ليلة القدر والشرف العظيم ، وأن هذه الليلة لها من الخصائص والمزايا ما جلاه الله لنبيه فى هذه السورة وفى مفتتح سورة الدخان . ولا يستقيم أن يكون ما لليـــلة القدر من المزايا وخصائص الشرف التى أريد إعلام النبى بها ـ مقصوراً على ما كان فى ليلة الوحى ؛ فانه عليه الصلاة والسلام يعلم حق العلم أنه قد أكرم فيها بنزول القرآن ، وأنها من أجل ذلك ليلة مباركة كلها خير وسلام ، ويعلم حق العلم أنه قد جاء فيها الروح الأمين أمين الوحى ؛ ولا بد أن يكون له علم كذلك بمن تنزل فيها من ملائكة الله . وعلى هذا يكون بعيداً جداً أن يكون المقصود إعلامه بشيء من ذلك الذى هو به جد عليم . وهل يكون مستقيما ـ بعد ما عرف فضل هذه الليلة بنزول القرآن ، وعرف تنزل الملائكة فيها ورأى الروح

الأمين رؤية العيان ـ أن يقال له : إنا أنزلنا القرآن فى الليلة التى اكتسبت الفضل والشرف بنزوله وبما تنزل فيها من الروح والملائكة ؟ أليس يكون ذلك إعلاما بما هو معلوم ؟.

ومهما بذلت الجهود فى تلمس الوجوه لاستقامة هذا الإخبار فانه على ذلك المعنى الأول الذى سار عليه الشيخ محمد عبده غير مستقيم .

والذى نراه أن قوله تعالى : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » ظاهر جداً فى أن القدر والشرف وجلالة الشأن ثابتة لليلة القدر من قبل أن ينزل القرآن ، وأنها ليلة معروفة بذلك الاسم عند الله وعند من أطلعهم الله عليه من عباده وصفوة خلقه ، وأن هذا التعبير « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » من قبيل قولك : قدم فلان فى ليلة العيد أو ليلة الصوم أو ليلة كذا وكذا من الليالى المشهورة بمعنى من المعانى . فليلة القدر معروفة ـ كما قدمنا ـ بذلك الاسم الذى صار علماً عليها لما اختصت به من المزية والشرف . وهذه الليلة المعروفة بذلك الاسم والمخصوصة بتلك المزية وذلك الشرف من بين ليالى السنة أراد الله أن يعلم نبيه أنها هى الليلة التى اختارها لينزل فيها أول ما نزل من القرآن فيتناسب بذلك شرف الكتاب العظيم مع شرف الزمن الذى نزل فيه .

« الثانى » أن قوله تعالى : « تنزل الملائكة والروح فيها » ظاهر فى أن ليلة القدر يتكرر كونها ، ويتجدد مجيئها ، فليست ليلة واحدة فى الدهر كله كما يقتضيه القول بأنها خصوص الليلة التى بدىء فيها بإنزال القرآن ؛ فإن الأصل فى صيغة المضارع أنها تدل على حصول معناها فى المستقبل ؛ ولو كانت هى الليلة التى نزل فيها القرآن وحدها لقيل : « تنزلت الملائكة والروح فيها » من حيث أن الحديث عنها حديث عن أمر وقع فى الماضى . وهذا شىء معلوم يعرفه جميع أهل العربية .

فإذا راعينا ـ مع ما تدل عليه صيغة المضارعة من معنى الاستقبال ـ أن الليلة التى أنزل فيها القرآن وفيها تنزلت الملائكة والروح معها قد أطلق عليها اسم ليلة القدر علمنا أن تنزل الملائكة والروح الأمين من خصائص هذه الليلة وأنه يتكرر بتكررها ، ويتجدد كلما تجددت .

« غير أنه قد يقال » إنه كثيراً ما يعبر فى القرآن عن الأمر الماضى بصيغة المضارعة لاعتبارات تختلف وتتنوع باختلاف المواطن وتنوعها . والاعتبار فى الموطن الذى نحن بصدده قد يكون إرادة استحضار صورة ذلك الماضى وافتراضه حاصلا ساعة الحديث عنه

مكتبتنا العربية

قصدا إلى كشف المعنى للسامع وتجليته أقوى تجليـة ، وذلك من المقاصد البلاغية الرائعة التى يعرفها أيضا أهل العربية ، فإن الحديث عن الشىء ساعة حصوله أقوى وآكد وأوقع فى النفس من الإخبار عنه بعد ما يحصل ويمر زمنه .

« والجواب » أن ذلك لا يقدح فيما قلنا من أن الأصل فى المضارع هو دلالته على الشىء يكون فى المستقبل ، فإطلاقه على ما كان فى الماضى خلاف الأصل ، لا يصار إليه ولا يدعى أنه المراد إلا إذا كان هناك دليـــل يصرفه عن ذلك الأصل ثم يجىء الاعتبار البلاغى كالاستحضار ونحوه مصححا ومسوغا إطلاق المضارع على المعنى الماضى .

ولا يصلح الاعتبار وحده دليلا على أن المراد من المضارع هو المعنى الماضى ؛ اللهم إلا إذا ثبت أن المتكلم أراد ذلك الاعتبار ، وقصد - فى مثل مسألتنا - إلى معنى الاستحضار ، وهذا ما لا سبيل إليه ، وليس الكلام قاطعا ولا ظاهرا فيه ؛ بل اللجأ إلى دعواه هو عين ما يسمى بالمصادرة كما يعرف ذلك أهل العلم .

« وبعد » فأنت ترى أننا - فى هذا الوجه الثانى من الاستدلال - قد اقتصرنا على ما تفيده صيغة المضارع ، ولم تتعلق بما تدل عليه صيغة « التفعل » من معنى التكرار والتجدد ؛ فإنه إذا كانت هـذه الصيغة التى جاءت على نهجها كلمة « تنزل الملائكة » تدل على تجدد نزول الملائكة وحصوله مرة بعد مرة فليست نصا فى أن ذلك التجدد يحصل فى أكثر من ليلة ؛ لأنه يصح أن يكون نزول الملائكة متتابعا وعلى دفعات كثيرة فى ليلة واحدة ، تنزل طائفة منهم وتتبعها طائفة وطائفة ، وهكذا حتى مطلع الفجر . وحينئذ لا يكون فى التعلق بحديث التجـدد وتكرر الحصول الذى تدل عليه صيغة « تنزل » إثبات للمطلوب الذى هو تجـدد الليلة وتكررها بتكرر الأعوام .

« الثالث » : أن قوله تعالى فى سورة الدخان - : فيها يفرق كل أمر حكيم » . يدل على أن ليلة القدر تتكرر وتتجدد ، وليست ليلة واحدة على ما يقضى به القول أنها الليلة الماضية التى نزل فيها القرآن ؛ وذلك لمجىء « يفرق » بصيغة المضارعة التى تدل بأصلها على أن فرق الأمر الحكيم وبيانه وتفصيله يكون فى المستقبل كما قدمنا الكلام على ذلك فى قوله تعالى : « تنزل الملائكة » ، وأنه إذا كانت ليلة نزول القرآن التى سميت ليلة القدر قد فرق فيها الأمر الحكيم فذلك لأن شأن ليلة القدر ذلك : فرق فيها دائما كل أمر حكيم ؛ فيكون

مكتبتنا العربية

الحديث عن ذلك مقصودا به الإعلام بأن نزول القرآن قد كان فى الليلة التى من خواصها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم .

« الرابع » : أن قوله تعالى : « فيها يفرق كل أمر حكيم » معناه أنه يبين فى الليلة المباركة ويفصل كل أمر موافق للحكمة والصواب متفق لاخلل فيه ولا اضطراب ؛ وذلك يفيد أنها ليلة تتكرر وتتجدد ، وليست هى خصوص الليلة التى بدأ فيها الوحى بشىء من آيات القرآن فإن ما نزل فى تلك الليلة — وإن كان أمراً حكيما من غير شك ولا امتراء — لا يمكن أن يقال فيه إنه هو كل أمر حكيم . وسنعود قريبا إلى هذا بمزيد من التفصيل .

« الخامس » : ما ورد فى صحاح الأحاديث من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى ليلة القدر ، وأنه أمر الناس بالتماسها وتحريها فى العشر الاواخر من رمضان :

١ — فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى العشر الأواخر من رمضان ويقول : تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان .

٢ — وروى البخارى أيضاً عن عائشة قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله ».

٣ — وروى كذلك عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » .

٤ — وعن ابن عباس رضى الله عنهما فيما رواه البخارى أن النبى ﷺ قال : التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان : ليلة القدر ؛ فى تاسعة تبقى ؛ فى سابعة تبقى ؛ فى خامسة تبقى .

٥ — وروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يجاور فى رمضان العشر التى فى وسط الشهر ، فإذا كان حين يمسى من عشرين ليلة تمضى ويستقبل إحدى وعشرين رجع إلى مسكنه ورجع من كان يجاور معه ، وأنه أقام فى شهر جاور فيه الليلة التى كان يرجع فيها ، فخطب الناس فأمرهم ما شاء الله ، ثم قال : كنت أجاور هذه العشر ، ثم قد بدا لى أن أجاور هـــذه العشر الأواخر [1] فمن كان اعتكف معى

---

(١) وقد ورد فيما روى عن أبى سعيد الخدرى أن جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم لما اعتكف العشر الاوسط إن الذى تطلب أمامك ، يريد ليلة القدر .

مكتبتنا العربية

فليثبت فى معتكفه ، وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها فابتغوها فى العشر الأواخر ، وابتغوها فى كل وتر ، وقد رأيتنى أسجد فى ماء وطين ، فاستهلت السماء فى تلك الليلة فأمطرت فوكف المسجد فى مصلى النبى ﷺ ليلة إحدى وعشرين فبصرت عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظرت إليه انصرف من الصبح ووجهه ممتلىء طينا وماء » .

٦ — وروى البخارى عن عبادة بن الصامت قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال : خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيرا لكم ، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة .

فى هذا كله دلالات واضحة على أن ليلة القدر لها فضلها وشرفها ، ولها مزيتها وراء ما ثبت لها بنزول القرآن فيها ، وانها تتكرر وتتجدد ، وأن مظنة موافقتها هى العشر الأواخر من شهر رمضان ؛ فإنها لو كانت خصوص الليلة التى نزل فيها القرآن لما كان هناك معنى لتحريها ولا الأمر به بعدما انقضت تلك الليلة ومرت .

ولا يصح أن يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقصد بأمره بتحرى ليلة القدر ولا باعتكافه العشر الأوسط أو الأخير إلا إحياء ذكرى الليلة التى نزل عليه فيها القرآن وتكريمها ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن لتخفى عليه هذه الليلة العظيمة فيجهل موقعها من الشهر الذى كانت هى إحدى لياليه حتى يتحراها باعتكاف العشر الأخير من رمضان ويأمر بتحريها فى ذلك من يريد إحياء ذكراها فى كل عام . هذا بعيد غاية البعد ؛ وإذا لا يستقيم ما يقوله بعض الناس اليوم ارتكانا إلى ما اختاره المرحوم الشيخ محمد عبده من أنه ليست هناك ليلة تسمى ليلة القدر غير تلك الليلة التى نزل فيها القرآن ، وهى ليلة واحدة لا تتكرر ، وأنه لا معنى للاحتفال بها فى كل سنة إلا أن يكون المقصود من ذلك إحياء ذكرى تلك الليلة كما نحيى ذكرى العظماء وذكرى الليالى والأيام التى اشتهرت بوقائع وحوادث لها خطر وشأن .

وإذا لم يكن لاحتفال الناس بليلة القدر معنى سوى إحياء ذكراها فماذا يقال فى تحرى رسول الله ﷺ هذه الليلة وأمره الناس بتحريها ؟ .

هنا نجد الأستاذ الإمام عليه الرحمة يعمد إلى الأحاديث الواردة فى ذلك فيضرب عليها بكلمة ويرى أنه بذلك قد خلص منها :

مكتبتنا العربية

يقول: إن تلك الأحاديث رواياتها مضطربة، وأغلبها ضعيف، والكثير منها موضوع ومثل ذلك لا يصح الأخذ به فى باب العقائد.

ولكنه - رحمه الله - لم يبق لنا أى هذه الأحاديث موضوع وأيها ضعيف وبماذا كان ضعف هذا الضعيف، ولم يكشف كذلك عن الاضطراب الذى يصح معه أن يضرب صفحاً عن أحاديث أخرجها البخارى وغيره عن جماعة من الصحابة يروى أحدهم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان»، ويروى آخر أنه قال: «تحروا ليلة القدر فى الوتر فى العشر الأواخر من رمضان»، ويروى ثالث قوله عليه الصلاة والسلام: «التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر فى تاسعة تبقى، فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى».

فهل هذا هو الاضطراب الذى يأبى معه قبول الأحاديث؟

نحن لا نجد بين ما أوردناه من أحاديث الأمر بالتحرى شيئاً من الاضطراب فى السند أو المتن بحيث يقدح فى صحتها ويوجب طرحها؛ وكل ما فيها إنما هو اختلاف بالإجمال والتفصيل أو بوضع لفظ مكان مرادفه. وإذا كان جميع الناس - إلا من لا يعتد برأيه فى هذا المقام - على أنه يجوز رواية الأحاديث بالمعنى ما دام ذلك لا يخل بما قصد الرسول صلى الله عليه وسلم إفادته من المعنى فالاختلاف الذى أشرنا إليه لا يضر فى شىء ولا يصح معه دعوى الاضطراب الذى تطرح من أجله الأحاديث.

«وبعد» فقد تبين مما قدمناه من الكلام على المعنى الأول لكلمة «القدر» أنه الفضل والشرف وعلو المنزلة، وأن ليلة القدر لها شرف وفضل بنزول القرآن فيها من غير شك، لكن لها - وراء ذلك - شرفا وفضلا بما خصها الله به مما سنعرض للكلام عنه فيما يلى؟ وأنه من أجل ذلك قد اختارها الله تعالى لتكون ليلة افتتاح الوحى ونزول أول ما أنزل من القرآن

«وأما عن المعنى الثانى، وهو «التقدير» فقد اختار الشيخ الامام فيه أيضا خلاف ما جرى عليه جمهور المتقدمين من العلماء:

قال - رحمة الله عليه: «سميت الليلة ليلة القدر إما بمعنى ليلة التقدير، لأن الله ابتدأ فيها تقدير دينه وتحديد الخطة لنبيه فى دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه».

فهو يحمل التقدير على خصوص ما يكون بالقرآن من الارشاد والبيان وتحديد طريق

مكتبتنا العربية

السعادة والفصل بينها وبين طرائق الشقاوة والضلال ، ويقول إن هذا هو المراد مما ورد فى سورة الدخان من فرق الأمر الحكيم فى تلك الليلة ، فالأمر الحكيم إنما هو أمر الرسالة والأوامر والاحكام لا شىء آخر سواها ، هذا هو ما يرتضيه من معنى التقدير ومعنى فرق الأمر الحكيم .

وغريب جداً أن يحمل التقدير على ذلك المعنى الذى لا يخرج عما يتعلق بالوحى والرسالة وتحديد الدين أحكام الشريعة .

ونحن إذا كنا نتساهل فنقبل تأويل المرحوم الشيخ محمد عبده لهذا التقدير والتحديد ونقول إنه ليس بلازم فى تسمية الليلة ليلة التقدير أن تقدر فيها جميع أصول الدين وتحدد جميع أحكام الشريعة بل يكفى أن يكون بدء ذلك كله فى تلك الليلة - إذا كنا نتساهل فنقبل هذا التأويل فليس من السهل أن يقبل ما يؤدى إليه مما يضيع معه معنى الاخبار فى قوله تعالى « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » أليس يكون معناه حينئذ : « إنا أنزلنا القرآن - أى ابتدأنا إنزاله فى الليلة التى بدأنا فيها بإرسال الوحى بالرسالة وبتحديد الشريعة وأحكام الدين ؟ واذا يكون حاصل المعنى . إنا ابتدأنا إنزال القرآن فى الليلة التى ابتدأنا فيها بإنزال القرآن ، وهذا شىء لا يقبله عاقل ولا يصح أن ينزل على مثله كلام عوام الناس فما بالك بكلام رب العالمين ؟ .

وكذلك الحال فى آية الدخان : « فيها يفرق كل أمر حكيم » ؛ فإنه متى كان هذا الأمر الحكيم هو ما يختص بالرسالة والوحى والأوامر والاحكام - كما يقول الأستاذ الامام - كان المعنى أنه يفرق ويبين ويفصل فى تلك الليلة الوحيدة التى لا تتكرر ولا تتجدد على مر الدهور والاعوام كل أمر حكيم من أمور الدين وأحكام الشريعة . وإذا كان معلوما بالضرورة أن تلك الليلة التى نزل فيها أول ما نزل من القرآن لم يبين فيها كل أمر حكيم من أمور الشريعة والدين فكيف يكون تأويل آية الدخان التى تنطق بأن الليلة المباركة وهى ليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم ؟.

نحن نوقن أن الأستاذ الامام - عليه سحائب الرحمة - شعر ببعض الحرج فى تأويل الآية على النحو الذى يوافق ما يرمى إليه من المعنى فأراد أن يخلص من هذا الحرج بتقرير « أن ابتداء نزول القرآن كان فرقا بين الحق والباطل وكل ما جاء منه كان كذلك ، ثم توالى النزول بعد الليلة الأولى بما هو من نوع ما نزل فيها كما قال « إنا كنا مرسلين رحمة من ربك » ؛ فصح أن ينسب اليها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم ، لأن كل ما جاء فيها كان أمرا حكيما فرق به

مكتبتنا العربية

بين الحق والباطل وبداية لما يكون بعده من مثله ، كما صدق قوله : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » مع أنه لا يكون بينة وفارقا بين الحق والباطل إلا ما ظهر للناس منه وهو ما نزل وبلغ اليهم بالفعل أو كان بسبيل أن يبلغ ، فليس الأمر الحكيم الذى يفرق فى الليلة المباركة إلا أمر الدين والاحكام ، اهـ

فهو يقول : إن ما نزل من القرآن فى الليلة الأولى التى جاء فيها الوحى أمر حكيم فرق به بين الحق والبـــاطل وهو بداية لكل أمر حكيم جاء به القرآن بعد ذلك وفرق به بين الحق والباطل فكأن كل أمر حكيم جاء به القرآن من أوله إلى آخره قد كان فى ليلة الوحى الأولى .

ونحن نقول إن هذا شىء فى غاية التكلف لا ينبغى أن يلجأ إليه فى تفهم آيات القرآن الكريم .

يقرر الأستاذ الإمام أن كل ما جاء فى تلك الليلة كان أمرا حكيما . وهـذا حق لا مرية فيه

ويقرر أن ما جاء فيها كان بداية لما جاء بعده من الأمر الحكيم . وذلك حق أيضاً لا ينازع فيه منازع .

ولكن ذلك كله لا يسوغ أن يقال إن بيان كل أمر حكيم قد كان فى تلك الليلة .

وليس من هذا القبيل قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات » ؛ فانه إذا كان القرآن ـ كما يقول الأستاذ الإمام ـ يطلق على جميع الكتاب العزيز وعلى أى جملة منه وكان كله هداية وفى كل جملة منه هداية صح أن يقال : إن القرآن نزل فى شهر رمضان ما دام قد نزل جزء منه فى هذا الشهر ، ولا سيما أن هذه الآية لم تقل إن شهر رمضان قد أنزل فيه القرآن كله كما جاء فى آية الدخان : « فيها يفرق كل أمر حكيم » .

ثم إن فرقا كبيرا بين أن يقال : إن ما نزل فى تلك الليلة كان كله أمرا حكيما وأن يقال : إن كل أمر حكيم نزل فى تلك الليلة ، فلا يصح الخلط بين هاتين القضيتين ولا التخطى من إحداهما إلى الاخرى بدون وسيلة صالحة .

ولهذا لا يسعنا إلا أن نسير فى معنى « ليلة القدر والتقدير » على ما جرى عليه المتقدمون من العلماء .

مكتبتنا العربية

فليلة القدر على هذا هى الليلة التى تقدر فيها الآجال والأرزاق والأقوات ، وتضبط فيها شؤون سائر الكائنات وتحدد صفاتها وأحوالها .

غير أنه ينبغى أن يعلم أنه ليس المراد من تقدير هذه الاشياء فى ليلة القدر بدء تقديرها وإنشاء تحديد مواقيتها وضبط شؤونها وأحوالها ؛ فان ذلك أزلى سبق به علم الله وإرادته منذ القدم ، وإنما معنى ذلك إظهار هذه الامور للملائكة وكشفها لهم ليضبطوها فى صحفهم ويقوموا فيها بما أمرهم الله .

وهذا هو ما اختاره ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى وحرر القول فيه قبله الإمام النووى الذى اعتمد فيه على ما قرره الأئمة الاعلام:

قال النووى : قال العلماء : سميت ليلة القدر لما تكتب فيها الملائكة من الأقدار لقوله تعالى : « فيها يفرق كل أمر حكيم » ؛ ورواه عبد الرزاق وغيره من المفسرين بأسانيد صحيحة عن مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم وقال التوبشتى : « إنما جاء القدر بسكون الدال وإن كان الشائع فى القدر الذى هو مؤاخى القضاء فتح الدال ليعلم أنه لم يرد به ذلك : وإنما أريد به تفصيل ما جرى به القضاء واظهاره وتحديده فى تلك السنة لتحصيل ما يلقى اليهم فيها مقدارا بمقدار » اهـ

أى فالقدر بفتح الدال هو تقدير الاشياء وتحديدها فى الأزل ؛ وهذا ليس الكلام فيه. وأما القدر بسكون الدال فهو تحديد ذلك للملائكة وضبطه وإظهاره لهم فى الليلة التى تسمى ليلة القدر من ليالى كل سنة .

وخلاصة القول فى هذا أنه إذا أخذت كلمة « القدر » بمعنى التقدير فلا يصح أن يقصر هذا التقدير على تقدير أمر الرسالة وتحديد أحكام الشريعة وإنما هو تقدير كل شىء أراد الله إعلام الملائكة به وإطلاعهم عليه ليقوم كل منهم بما وكل اليه من ذلك . وهذا هو معنى فرق الأمر الحكيم . فالأمر الحكيم ليس هو خصوص أمر الرسالة والقرآن ؛ وإنما هو كل أمر اشتمل على الحكمة ووافق الواقع واقتضت الإرادة الالهية نفاذه فى الكون من شؤون الدين والدنيا ؛ يطلع الملائكة منه فى ليلة القدر كل سنة على ما أراد كونه فيها .

وهذا هو الشرف وعظم الشأن الذى خص الله به ليلة القدر .

مكتبتنا العربية

ويتلخص مما قدمناه أن ليلة القدر هى ليلة من كل سنة ، فتتكرر بتكرر الأعوام ، وإن الأحاديث الصحيحة قد طلبت تحريها والتماسها رجاء موافقتها بالعبادة وعمل الخير ، فإن الجزاء على ما يكون من ذلك فى ليلة القدر خير من الجزاء على ما يكون منه فى ألف شهر .

ولكن أى ليلة هى من ليالى السنة ؟ وهل هى ليلة معينة فى ذاتها لا تنتقل فى أشهر السنة أو أنها تنتقل فيها أو فى شهر رمضان خاصة فى لياليه كلها أو فى العشر الوسط منه أو فى العشر الأواخر ؟

قد اختلف العلماء فى ذلك اختلافا كبيراً . والذى رجحه ابن رشد فى مقدمات « المدونة » أنها تنتقل باختلاف الأعوام ، ولكن فى شهر رمضان خاصة . قال : وهذا هو الذى ذهب إليه مالك والشافعى وأحمد بن حنبل وأكثر أهل العلم ؛ وهو أصح الأقاويل ، وأولاها بالصواب .

ويرى ابن رشد أنها تختص فى تنقلها - فى الأغلب من حالها - بالعشر الوسط وبالعشر الأواخر من رمضان ، وأن هذا القول هو الذى يتمشى مع جميع الأحاديث الصحيحة الواردة فى هذا الشأن .

ويقول إن الأغلب أنها تكون من العشر الوسط ليلة سبع عشرة وليلة تسع عشرة ، ومن العشر الأواخر فى الأوتار منها .

ويقرر ابن حجر فى فتح البارى أن أرجح أقوال العلماء فى ليلة القدر أنها فى وتر من العشر الأخير ، وأنها تنتقل فى أوتار هذا العشر .

وقال ابن القيم فى « زاد المعاد » فى بيان هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى اعتكافه - أنه عليه الصلاة والسلام كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل واعتكف مرة فى العشر الأول ثم الأوسط ثم العشرة الأخيرة يلتمس ليلة القدر ، ثم تبين له أنها فى العشر الأخير فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه عز وجل . اهـ .

ويمكن أن يستخلص من هذا كله أن أرجح الأقوال فى ليلة القدر أنها تنتقل فى أوتار الثلث الأخير من رمضان .

وكذلك اختلف العلماء فى أنه هل لليلة القدر علامات تظهر لمن وفقت له ؟ .

مكتبتنا العربية

والذى اختاره الطبرى أنه ليس لها شىء من العلامات وأنه لا يلزم فيها رؤية شىء أو سماعه . أما العلامة التى حدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى - أنه عليه الصلاة والسلام رأى فى منامه أنه يسجد فى ماء وطين وأن ذلك قد تحقق صبيحة ليلة إحدى وعشرين من رمضان فهى لا تدل على أن علامة ليلة القدر فى كل سنة أن ينزل فيها المطر أو يشتد ؛ كما لا يدل ذلك على أن ليلة القدر تكون دائما ليلة إحدى وعشرين من رمضان . وإنما كان ذلك علامة على ليلة القدر فى تلك السنة لا غير . قال ابن جرير وذلك أنا شهدنا سنين كثيرة ينقضى فيها رمضان دون مطر مع اعتقادنا أنه لا يخلو رمضان من ليلة القدر .

عبد الرحمن ناجى
عضو جماعة كبار العلماء

****

التجديد فى الادب

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

التجديد فى الأدب إنما يكون من طريقتين :

فأما واحدة : فإبداع الأديب الحى فى آثار تفكيره ، بما يخلق من الصور الجديدة فى اللغة والبيان .

وأما الأخرى : فإبداع الحى فى آثار الميت ، بما يتناولها به من مذاهب النقد المستحدثة وأساليب الفن الجديدة .

وفى الإبداع الأول إيجاد مالم يوجد ، وفى الثانى إتمام مالم يتم . فلا جرم كانت فيهما معاً . حقيقة التجديد بكل معانيها ، ولا تجديد إلا من ثمة ، فلا جديد إلا مع القديم .

مصطفى صادق الرافعى

مكتبتنا العربية

كفاحنا تقليداً في الفقه

تتمة الحديث

ذكرنا في الكلمة السابقة أن كثيراً من مشاكلنا التي تتطلب حلولا تتفق وشريعة الله وقرآنه وسنة رسوله لم تعرض في الأزمنة المتقدمة، فكيف نطالب بالإتيان بنص من الكتب السالفة فيها! ولو أنها عرضت في تلك الأزمنة لكان من الراجح جداً أن نرى أولئك الفقهاء قد عالجوها بما يتفق والصالح العام في زمانهم.

وانتهينا من الحديث إلى أن الأمر جد خطير، وأن مشكلة الاجتهاد والتقليد والوقوف عند نصوص الفقهاء بلغت الذروة من التعقيد، وأننا صرنا في مفترق الطرق، وأن علينا أن نختار الطريق الذي يجب أن نسير فيه؛ حتى لا ندع الأمر فوضى، وحتى لا تظل الشبيبة في ذبذبة وحيرة بين الجمود وبين الطفرة.

ونحب أن نذكر الآن أن الأحكام الشرعية، كما نعرفها من القرآن وسنة الرسول ﷺ ومن أقوال الفقهاء أصحاب المذاهب معللة، وإن كانت بعض هذه العلل احتاجت أو تحتاج إلى شيء من الجهد والتعمق للوقوف عليها.

كما يجب أن يكون معروفا أن الشريعة لا تأمر بشيء أو تنهى عن شيء إلا لتحقيق مصلحة معتبرة عند الشارع، فما جاء الإسلام إلا لتحقيق مصلحة الأفراد والجماعة، ومن المسلم به في الفقه وأصوله أن الحكم يجب أن يدور مع علته وجوداً وعدما، ولم يصب الفقه الإسلامي بالعقم أو العجز عن متابعة الزمن إلا لأن الفقهاء المتأخرين - وكذلك الأعم الأغلب من فقهاء اليوم - وقفوا عند نصوص أسلافهم وتجاهلوا اعتبار المصلحة وتقديرها.

إذا، الدعوة اليوم إلى الإجتهاد ليست بدعا من الأمر، بل هي دعوة كان يجب أن نشتد لها منذ زمن طويل، وهي دعوة طبيعية تتفق والحياة التي نحياها وما نجيء به من مشاكل وحوادث لم تعرض لأسلافنا رضوان عليهم. وفي سائر البلاد الإسلامية من يجب أن يكون قد توفر له بفضل الله أدوات الاجتهاد ومؤهلاته، وهؤلاء فرض يجب عليهم القيام به وإن ضاقت بهم صدور بعض المتعنتين الجامدين على التقليد!

مكتبتنا العربية

ولا ينبغى أن يُظن أن الدعوة إلى الاجتهاد دعوة إلى نسخ شىء من الأحكام التى ثبتت بالكتاب أو السنة ، بعد أن أتم الله على المسلمين نعمته بإكمال دينه وشريعته . كذلك لا ينبغى أن يظن أن فى هذه الدعوة دعوة إلى التجهم لشىء من نصوص القرآن المحكمة أو السنة النبوية الشريفة الصحيحة ، فمعاذ الله أن ذهب أو يذهب أى مسلم إلى شىء من هذا ما دام قلبه عامرا بالله ودينه وشريعته المطهرة .

ولكن الذى نلهج بالدعوة إليه ، وهو السبيل للاجتهاد الصحيح ، هو أن نقتدى بالصحابة والتابعين ومن سار سيرتهم من الفقهاء المجتهدين ، رضى الله عن الجميع وجزاهم خير الجزاء عن دينه وشريعته . وذلك بأن نسلك السبل التى سلكوها لمعرفة علل الأحكام الفقهية أولا ، ثم تبين المصلحة الحقيقية المعتبرة التى تهدف إليها هذه الأحكام ثانيا ، وأخيراً أن ننظر للنصوص والآثار بهذا الضوء ثالثا . وبهذا ، يتطور الفقه ويحيا حياة قوية صالحة ، وبهذا يستطيع أن يلبى حاجات الزمن فى ضوء القرآن والسنة دائما .

ولنأخذ الآن فى شىء من التفصيل لبعض ما أجملناه ، ثم نأتى ببعض المثل التى نتبين منها كيف سلك الصحابة ومن إليهم من التابعين والفقهاء المجتهدين ، كما نتبين منها بوضوح أن النظر بعين القداسة لنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة لم يمنع ولا ينبغى أن يمنع من الاجتهاد والفقه ، ما دمنا نسير دائما فى فلك هذين المصدرين العظيمين المقدسين للشريعة الإسلامية .

قلنا إن الحكم الشرعى يدور مع علته ومع المصلحة وجودا وعدما ، وهذا ما يجب أن نفهمه تماما ونراعيه حين التطبيق ، ففى ذلك باب من أبواب الاجتهاد ، ونكتفى هنا ببعض المثل التى لها دلالتها :

١ — روى أبو داود فى سننه [١] أن رسول الله ﷺ قال : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، ولكن ليخرجن وهن تفلات » ، أى غير متطيبات . وأنه قال : « لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن » . ثم مضى زمن الرسول ﷺ وتغير الحال ، وصار خروج النساء للمساجد الذى أباحه الرسول ﷺ مظنة فساد اجتماعى فرأى البعض عدم الوقوف عند هذا النص رعاية للمصلحة التى تقتضى المنع ، دون أن يكون فى ذلك أى مخالفة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ومقصده .

---

(١) جـ ١ : ٢٢١ طبعة مطبعة السعادة عام ١٩٥٠ .

مكتبتنا العربية

وهنا نرى سيدتنا عائشة رضى الله عنها تقول ، رواه أبو داود أيضا (ص ٢٢٢) : « لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المسجد ، كما منعه نساء بنى إسرائيل » . ثم نرى عبد الله بن عمر يقول : قال النبى ﷺ « ائذنوا للنساء إلى المساجد بالليل » ، فقال ابن له : « والله لا نأذن لهن فيتخذنه دغلا ، والله لا نأذن لهن » ، فسبه وغضب وقال : أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذنوا لهن ، وتقول : لا نأذن لهن !

٢ — ومثال آخر نأخذه من موقف عمر مع أبى بكر رضى الله عنهما فى مسألة نصيب المؤلفة قلوبهم من الصدقات ، وهو مثال معروف ، فقد كان الرسول ﷺ يعطى هؤلاء الناس نصيبهم من الزكاة الذى شرعه الله لهم فى سورة التوبة من القرآن ، وذلك تأليفا لهم على الإسلام واتقاء لما قد يكون منهم من عدوان . وكذلك كان يفعل الصديق أبو بكر من بعده ، حتى إنه أقطع عيينة بن حصن والأقرع بن جابس قطعة من الأرض وكتب بذلك كتابا .

ولكن عمر بن الخطاب الملهم الذى وافقه القرآن فى مواطن غير قليلة ، أخذ الكتاب فتفل فيه ومحاه وقال : إن رسول الله كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل ، وإن الله قد أغنى الإسلام ، إذ هبا فاجهدا جهدكما لا يرعى الله عليكما ! فما كان من الخليفة الأول إلا أن رضى ولم ينكر هو ولا غيره على الفاروق رأيه وما ذهب إليه [1] . ومعنى هذا أن الحكم الأول كان لعلة استوجبته ومصلحة قصد إليها ، فلما ذهبت العلة وصارت المصلحة فى ترك الإعطاء تغير الحكم ، وكان فى المنع تقوية لثقة المسلمين بأنفسهم وعدم حاجتهم لتألف هؤلاء الناس وأمثالهم .

٣ — ومثال ثالث يتصل بالتسعير ، نعنى بالنهى عنه من الرسول ثم إباحة بعض الفقهاء المجتهدين له ، فقد روى أبو داود فى سننه [2] أن الناس قالوا يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبنى بمظلمة فى دم أو مال » . إذا لم يرض الرسول بالتسعير حتى لا يكون هذا سببا فى أن يكره الناس على بيع أموالهم بما لا يرضون من الأثمان .

---

(١) انظر فى هذا أحكام القرآن للجصاص ، طبع مصر عام ١٣٤٧ هـ ، جـ ٣ ، ١٥٣ .

(٢) جـ ٣ ، ٣٢٠

مكتبتنا العربية

لكن بعض الفقهاء من التابعين أولا ، ثم ممن جاء بعدهم ثانيا ، رأوا جواز التسعير رعاية للمصلحة ودفعاً للضرر عن المستهلكين مستوحين فى هذا أنه لاضرر ولا ضرار فى الإسلام ، ومن هؤلاء التابعين سعيد بن المسيب وربيعة بن عبد الرحمن ويحيى بن سعيد . وهذا الرأى منهم فيه ، كما يقول أبو الوليد الباجى[1] المتوفى عام ٤٧٤ هـ ، نظر لمصالح الناس ومنع للإفساد عليهم ، وليس فيه جبر على الباعة حتى يكون منافيا للذلك ، ولكنه منع من البيع بغير هذا السعر على حسب ما رآه الإمام من المصلحة فيه للبائع والمبتاع ، ولا يمنع البائع ربحاً ولا يسوغ له ما يضر بالناس . ولعلنا جميعاً ، معشر المشتغلين بالفقه ، نوافق تمام الموافقة على هذا الرأى وتعليله ، ونراه محققا للمصلحة العامة هذه الأيام .

٤ — ونذكر أخيراً هذا المثال مكتفين به وبما سبقه ، لأن المثل لما نريد كثيرة وهى على جمل الذراع لمن يريد من الباحثين ، وهو خاص بحل التزوج من النساء الكتابيات كما جاء بالقرآن ، ولكن من الثابت أن حذيفة تزوج بيهودية أيام عمر بن الخطاب فأمره بتخلية سبيلها لا لأن التزوج بها حرام شرعا ، بل دفعاً لفساد يخشى منه ، ودفع الفساد من المصالح التى تقصد بالطلب والتحقيق بلا ريب . وفى بيان هذا الفساد يذكر عمر فى كتابه لحذيفة : « إنى أخاف أن يقتدى بك المسلمين فيختاروا نساء أهل الذمة ، وكفى بذلك فتنة لنساء المسلمين » ![2]

وهنا ، نذكر أن فى عدم منع مثل هذا الزواج ضرراً أكبر من ذلك متى وقع فى ظروف خاصة ولأناس مخصوصين - نريد أن نقول إن زواج الشباب المثقف فى البلاد التى ابتليت باستعمار فرنسا من فرنسيات ، يضر بقضية الوطن ضرراً كبيراً إذ يجد هؤلاء الشبان من زوجاتهم الفرنسيات تعويقاً كبيراً لهم عما يجب عليهم من جهاد المستعمرين .

وكذلك الحال فى البلاد التى يكون فيها المسلمون أقلية بين غير المسلمين ، وفى هذا أتذكر أنى استحسنت منذ سنين ، ما عرفته من أحد تلاميذنا بكلية أصول الدين بالأزهر ، وهو أن مفتى بولونيا أفتى بتحريم زواج المسلمين هناك من غير المسلمات ، خشية أن يضيع المسلمون بين الكثرة الكاثرة هناك من غير المسلمين .

---

(١) فى شرحه لموطأ مالك ج ٥ . ١٨٠ .

(٢) راجع أحكام القرآن للجصاص ، ج ٢ : ٣٩٧ ؛ كتاب الآثار للامام محمد بن الحسن الشيبانى طبع الهند ، ص ٧٥ .

مكتبتنا العربية

وبعد ! إن هذه الأمثلة وسواها كثير ، من نحوها أفتى فيه الفقهاء بجوازه ، استحسانا ، من المعاملات ، ترينا أن الحكم الشرعى يتبع العلة والمصلحة دائما ، وأن من الواجب علينا فى هذا الزمن أن نعنى أهم عناية بالاجتهاد من هذا الباب على الأقل وحينئذ يكتسب الفقه الإسلامى حياة وقوة فقدهما منذ سد باب الاجتهاد ، وحينئذ يستطيع هذا الفقه أن يعيش مع الزمن ويلبى حاجات كل عصر .

على أننا نرى واجباً أن نتقدم أخيراً بهاتين الملاحظتين :

الأولى : أنه ليس فى شىء من ذلك كله نسخ لحكم مثبت بنص من الكتاب أو السنة ، وإنما هو فهم لهذه النصوص وتفهم لعلل الأحكام التى جاءت بها وللمصالح التى كانت تهدف لتحقيقها ، فالنص الذى جاء به الحكم يبقى قائماً للأريب ويجب العمل به متى كان محققاً للمصلحة التى قصدها الشارع . فنهى الرسول ﷺ عن التسعير مثلا ، كان لعدم وجود ما يقتضى التسعير فى زمنه اقتضاء لازماً كما نحس هذه الأيام ، ولو كانت الحاجة الملحة تدعو للتسعير فى زمنه لقال به حتما .

الثانية : لا يمكن أن نقول بأن الأحكام الشرعية كلها قابلة للتغير تبعاً للمصلحة ، فهناك منها العدد الأكبر الذى لا يتغير بحال ؛ مثل حرمة الربا ، وشرب الخمر ، والزنا ، إلى غيرها من الأحكام التى لا تتغير بحال إلى آخر الدهر . وإنما الكلام هو فى طائفة من الأحكام الفقهية التى نرى الفقهاء يذهبون إليها فى أزمان خاصة لمناسبتها حينذاك ، ثم لا تكون محققة للمصلحة التى يصح اعتبارها شرعاً فى أزمان أخرى ، وذلك ككثير من المعاملات التى أجازها الفقهاء استحساناً فى عصور مختلفة ، ومن قال إن كل الأحكام الفقهية هى شرائع أبدية فقد أعظم على الله الفرية [1] !

هذا ، ونسأل الله التوفيق والسداد ، ونستغفره مما قد يكون الصواب جانبنا فيه .

دكتور

محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة بكلية الحقوق ـ جامعة فؤاد

---

(١) ومن العجب أن جمهرة أئمة الفقه أصحاب المذاهب يجعلون ما يسمى « بالمصالح المرسلة » أصلا من أصول الفقه وأدلته ، ثم لا نحاول نحن هذه الأيام الانتفاع بهذا الأصل وتطبيقه مع الحاجة لذلك حاجة ماسة واضحة !

مكتبتنا العربية

السنة

من صفات القائد

حاضر العالم الإسلامى ـ نهضاته ـ قادته ـ القيادة المثلى ـ القائد الأعلى ـ صفاته ـ الدعوة إلى التخلق بأخلاقه ـ الجود والشجاعة ـ مصدرهما ـ أثرهما فى بناء المسجد .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس ، وكان أجودَ الناس ، وكان أشجع الناس ؛ ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ! فانطلق الناس قبل الصوت ! فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس لأبى طلحة عُرْى ، فى عنقه السيف وهو يقول : لم تُراعوا لم تُراعوا . قال : وجدناه بحرا ، أو إنه لبحر . قال : وكان فرسا يبطأ . رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم .

* * *

فى حاضر العالم الإسلامى نهضات إصلاحية متعددة النواحى : فمنها التشريعى ، ومنها التهذيبى ، ومنها الاقتصادى ، ومنها التوجيهى ، إلى غير أولئك مما يكمل بعضه بعضا ، ويشد بعضه أزر بعض ، ويتعاون فى جملته وتفصيله على البعث والتحرير ، والإنشاء والتعمير ، أو حينما نحاول إحسان الظن ـ على إعادة مجد الإسلام وإحياء فضائله الأولى ـ والأعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى .

لا جرم أن لكل نهضة من هذه النهضات قائدا مسئولا عنها ، وعن مدى إخلاصه وإصلاحه فيها ، ثم عن مدى توجهه وتوجيهه إلى الخير حتى ينجزه فى أقرب زمن مستطاع ، من أقرب طريق مشروع ، فكم من مشروعات نافعة أماتها البطء فيها ، أو الحقد الدفين على مبتكريها ، أو كثرة الخلاف والتعقيد فى طرائق إنفاذها !!

مكتبتنا العربية

وعلى قدر المهمة الملقاة على عاتق القائد مسئوليته ، وعلى حسبها يكون حسابه أمام الله والتاريخ ! .

ولما كان ، من الحقائق التى شاع العلم بها فى العالم الإسلامى بالعشرين السنة الأخيرة أن المسلمين إلى خير ولكن الضعف فى القيادة ، كما جاء فى الجزء السابق من هذه المجلة ، على لسان رئيس تحريرها الجليل ـ أحببنا أن نذكر قادتنا بشىء من صفات قائدهم الأعلى ، غير مدافعٍ ولا منازعٍ ، صلوات الله وسلامه عليه ، عسى أن يتخذوا منها نبراسا يضىء لهم طريق القيادة المثلى ، ويهديهم فى كل نهضة إصلاحية للتى هى أقوم .

* * *

وفى مقدمة هذه الصفات التى نذكّر بها قادتنا ، الجود ، والشجاعة وقد بلغ فيهما وفى غيرهما صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى ، والغاية القصوى ، مما لا مطمع لأحد ـ كائنا من كان ـ أن يدانيه فيها ، بله أن يساويه .

فاذا كان صلوات الله عليه ـ بنعمة ربه ـ أحسن الناس ، فى كل صفة من صفات الخير ، وكل فضيلة من مكارم الأخلاق ، فذلك لأنه تعالى شأنه أدبه فأحسن تأديبه وهذبه فأكمل تهذيبه ، وآتاه ما لم يؤت أحدا من خلقه ، وأثنى عليه بما هو أهله ما لم يثن على أحد قبله ...

وإذا كان ﷺ أجود الناس ، فلذلك لأنه أوثق الناس بربه ، ولا ريب أن كرم العبد وإنفاقه على قدر ظنه بسيده ، وحسبك أنه ما سئل عن شىء قط فقال لا ، إن كان عنده أعطاه وإلا سكت ، أو قال لسائله : ما عندى شىء ولكن ابتع على ، فاذا جاءنا شىء قضيناه . وقد قال له عمر ذات مرة : ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فرؤيت الكراهية فى وجهه ﷺ حتى إذا قال له رجل من الأنصار : أنفق يا رسول الله ولا تخش من ذى العرش إقلالا ، تبسم وعرف البشر فى وجهه ، وقال : بهذا أمرت .

مكتبتنا العربية

وإذا كان ﷺ أشجع الناس كافة ، فلأنه أجود الناس كافة ، وذلك لأن الجود والشجاعة صفتان متحالفتان لا تكادان تفترقان ، وينبوعهما هو الثقة بالله تعالى والإيمان به .

وما من شجاع إلا وقد أحصيت عليه هفوة أوعدت عليه كبوة ، إلا سيد الشجعان صلى الله عليه وسلم ، فقد فرت الفرسان من حوله غير مرة وهو مقبل لا يبرح ، وثابت لا يدبر ولا يتزحزح . ومن آيات شجاعته ما رواه أنس رضى الله عنه فى هذا الحديث من أن أهل المدينة اضطربوا وفزعوا ذات ليلة وظنوا أن عدوا أغار عليهم ، فأسرع أناس من شجعانهم نحو الصياح الذى سمعوا ، فما راعهم إلا أن يجدوا رسول الله ﷺ عائداً بعد أن استبرأ الخبر ، واستكشف الأمر واطمأن على المدينة وأهلها ثم طمأنهم وأزال مخافتهم .

ومن عجيب فروسيته وشجاعته أن يركب فرساً لأبى طلحة معروفاً بالبطء والعجز وسوء السير ، يعتليه عاريا من السرج فيثبت عليه وهو متقلد سيفه فى عنقه ، ثم يتقلب الفرس سريعاً ببركته ﷺ كأنه بحر .

وأبو طلحة هو زيد بن سهل الأنصارى الخزرجى ، زوج أم سليم والدة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ وراوى هذا الحديث . كان من فضلاء الصحابة وشجعانهم وذوى الجود والكرم منهم ، وكان راميا مشهوراً ، يحثو بين يدى رسول الله ﷺ فى ميدان الحرب ويقول :

نفسى لنفسك الفداء ووجهى لوجهك الوقاء

ثم ينثر كنانته بين يديه . وكان يتطاول بصدره ليقى به رسول الله ﷺ ويقول : نحرى دون نحرك .

ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ تخلفوا بخلقه وبلغوا من الشجاعة والكرم والفضل ، بمقدار حبهم له وإيمانهم به وذلك ميزان سليم مستقيم ، توزن به فضائل من بعدهم إلى يوم القيامة .

* * *

وبعد ، فلسنا بسبيل تفصيل جوده وشجاعته ﷺ ، وعظيم أثرهما فى صادق الإيمان به من أمته ، فقد تكفلت بذلك المؤلفات الكثيرة فى سيره وشمائله وإن لم يبلغ الغاية فى شرح

مكتبتنا العربية

مكارمه وفضائله . . ولكننا بسبيل الدعوة إلى التخلق بأخلاقه عامة ، وبهاتين الفضيلتين منها خاصة ، إن كنا جادين فى نهضاتنا ، صادقين فى عزماتنا ، واثقين بعون الله لنا على احتمال التبعات الجسام الملقاة على عواتقنا .

وأجدر الناس بقبول هذه الدعوة والاستجابة لها هم قادتنا وأولو الأمر منا ، إن كانوا يؤمنون بأنه صلوات الله وسلامه عليه هو قائدهم الأعلى ، وأنهم لن يحققوا لأممهم ما يرجون لها من العزة والسيادة ، إلا إذا كانوا تحت رايته ، مستظلين فى ظل هدايته .

* * *

وإذا ذكرنا الشجاعة فلا نعنى بها مجرد الشجاعة الحربية التى تفسر بأنها ثبات القدم عند مواقع القتال ، ومكافحة الأبطال ، وإنما نعنى بها الشجاعة فى أوسع معانيها وأبعد مراميها ، ولاسيما الشجاعة الأدبيه التى تقصد إلى مناصرة الحق ، وإظهاره فى إخلاص وصدق ، دون مبالاة بذى جاه أو سلطان . وان تؤتى هذه الشجاعة أكلها ، إلا إذا تقبلناها من أهلها ، وشجعناهم على المضى فيها ما كانوا إلى الخير داعين ، وإلى الحق قاصدين « يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » .

وإذا ذكرنا الكرم فلا نعنى به ما ينفق من أموال طائلة فى مظاهر الفخر والأبهة ، فإن ذلك إسراف وتبذير ، عظيم الضرر وخيم العاقبة ! وإنما نعنى به الأريحية للإنفاق فى سبيل الله وتحرير الوطن وإحياء موات الأمة ، وإزاحة ما ضرب عليها من الذلة والمسكنة .

إن هذه المثل العليا التى ندعوا إليها القادة والمشرفين على نهضاتنا الحاضرة ، وفى مقدمتها الشجاعة والكرم والتضحية والبذل ليست من أمهات الفضائل وحسب . ولا من صفات القائد المثالى وكفى ، ولكنها إلى ذلك كله من الدعائم الأساسية الأولى ، لتحرير الشعب ، وإنقاذ الوطن ، وبناء المجد .

طه محمد الساكت

مكتبتنا العربية

الاستعمار يقرب من نهايته

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

خاض الغرب معركة استعماره للشرق فى القرنين الماضيين مستعيناً بما كان يسود ظروف تلك المعركة من متناقضات . فالغرب كان قد أخذ يستنير بمعارفه المادية ويقوى بآلاته الصناعية وأنظمته المبتكرة ، وأسلحته الجديدة غير أن لجج الظلام كانت قد بدأت تغمره بنزعات الإلحاد والتحاسد والجشع والبغى والفراغ السياسى من الدافع الأعلى ، كما يقول المؤرخ ولز ، بينما الشرق كان قد أخذ ينحط بضعف حكوماته وتخلفها وتقاطعها ، وإن كانت شعوبه لم تزل يومئذ ممتازة ببقية كريمة من الأخلاق النبيلة كالقناعة والتراحم والأمانة والثقة حتى لقد شهد المسيو جومار أحد مهندسى الحملة الفرنسية على مصر بأنه رأى بعينه الغلال وبضائع التجار تكدس على ساحل النيل فى فرضة بولاق التى كان فيها جمرك القاهرة ، فلم يكن يمسها أحد بسوء ليلا ولا نهارا مع أنها متروكة فى العراء بلا حراسة ولا خفراء .

فالاستعمار كان فى القرنين الماضيين بغيا من القوة المادية على شعوب ذات فضائل وأخلاق منتهزاً فرصة الضعف الذى دب إلى حكومات تلك الشعوب الطيبة الأعراق الآمنة فى أوطانها السعيدة بقناعتها وأمانتها وتراحمها .

وكان الغرب يمن على الشرق فى استعماره بأنه حمل إليه الحضارة والنظام والمعارف ، وهو لم يحمل إليه من الحضارة إلا قشورها ، ومن النظام إلا ما يجعل الشرق آلة فى يد الغرب ومن المعارف إلا ما يستعمر به القلوب والعقول بعد استعمار الأرض وخيراتها ، وبذلك كان الغنم فى كل هذه الأمور للمستعمر ، وغرمها على الشعوب التى رزئت باستعماره بلادها واستغلاله كنوزها وخيراتها .

هذه هى قصة استعمار الغرب للشرق فى سيرة هولندا مع الأندونيسيين ، وفى سيرة انجلترا مع الهنود وسكان ملايو والمصريين والسودانيين ، وفى سيرة فرنسا مع الجزائريين والتونسيين والمراكشيين .

مكتبتنا العربية

إن استيلاء فرنسا على الجزائر مثال من أمثلة التاريخ على الظروف المتناقضة التى نشأ عنها الاستعمار . فالشعب الجزائرى كان يومئذ من أقوى شعوب الأرض بأخلاقه وحيويته بينما حكومة الجزائر التى كانت تتولى أموره كانت من أفسد الحكومات فى الأرض وأضعفها وأحقها ، والمستعمر كان يستعد قبل ذلك طويلا للبغى على الجزائر ويتخذ لذلك مختلف الذرائع التى تنافى الدافع الأعلى .

فلما وقعت الواقعة خارت قوى القائمين بالحكم على الجزائر ، وتخلفت الحكومة العثمانية التى كانوا تابعين لها من أن تؤدى واجبها فى هـــذا الموقف ، وهنا تجلت حيوية الشعب الجزائرى وأخلاقه فنظم صفوف جهاده بقيادة الأمير عبد القادر وظل يجاهد ببطولة منقطعة النظير مدة ثمانية عشر عاما ، ومن ذلك الحين إلى الآن والحوادث تبرهن على ضعف المستعمر الأدبى وفراغه السياسى من الدافع الأعلى . وعلى قوة الشعب الجزائرى الأدبية وحيويته فى مقاومة مالا يستطيع مقاومته إلا أعظم الأمم بطولة من صنوف البغى الاستعمارى الذى لا يجنح إليه إلا أضعف الدول فى أخلاقها ومبادئها الأدبية ، وقس على حيوية الجزائر حيوية جارتها فى الشرق والغرب ، تونس والمغرب الأقصى ، ولو أن مؤرخا من الحكماء أمثال فولتير وجيبون وولز أراد أن يقارن بين قوة فرنسا وضعفها فى بداية استعمارها لشمال أفريقيا ونهايته وبين قوة المغاربة وضعفهم بين تلك البداية والنهاية لحكم مطمئناً بأن فرنسا اليوم تعانى فى شمال أفريقيا أعراض الاضمحلال بالنسبة إلى ما كانت عليه فى سنة ١٨٣٠ . بينما ضحايا بغيها من المغاربة لم يزدهم البغى إلا قوة وحيوية وقد استيقظوا من غفلتهم وتخلصوا من ضعف حكوماتهم وأصبحوا من نتائج الفوز والفلاح قاب قوسين أو أدنى .

وما يقال عن فرنسا فى شمال أفريقيا يقال مثله عن الهند التى شاهدنا بأعيننا وشاهد التاريخ معنا عواقب الاستعمار البريطانى فيها واضطراره إلى الانسحاب من تلك الربوع وازدهار الحيوية فى باكستان والهند حتى صارت منهما دولتان من كبريات الدول ، وشاهدنا كذلك عاقبة الاستعمار الهولندى فى أندونيسيا بعد أن رسخت أقدامه فيها ٣٠٠ سنة فاضطر أخيراً إلى التسليم بالأمر الواقع .

لقد شب عمرو عن الطوق ، بل لقد استيقظ العملاق من نومه فأخذ يبحث عن مكانه اللائق بين الأمم ، وإن الحوادث المتكررة برهنت على أن اعتماد الاستعمار على قوته المادية

لا تجد به نفعاً وأنه إنما أتى من ناحية ضعفه الأدبى لأنه قائم على البغى ، وآخر الشواهد على ذلك هذه المؤامرة الاستعمارية على إخراج نحو تسعمائة ألف فلسطينى من وطنهم الذى هم أصحابه منذ دهور ، وتشريدهم فى العراء لإحلال أجانب غرباء فى أرضهم وأملاكهم الشرعية ومثل هذه المؤامرة لا يمكن أن يرضى بالاشتراك فيها إلا الذين يعيشون فى فراغ سياسى من الدافع الأعلى كما يقول المؤرخ ويلز والاستعمار الذى يعيش فى هذا الفراغ المخزى لا شك أنه اليوم أضعف مما كان فى بداية بغيه قبل مائة سنة ، أما فريسة الاستعمار التى وقعت فيما مضى بين يديه بسبب ضعف حكوماتها المنهافتة وأخذت تنقه من الضعف الذى جرتها إليها تلك الحكومات ، وقد نهض فيها رجال يحسنون التعاون مع شعوبهم ، ولا شك أن يقف الجميع معاً أمام الاستعمار الضعيف موقف المؤمن بحقه الحازم فى دفاعه عنه المصمم على التخلص من هذا العدو الذى أنهك جشعه .

وإنى أقدم لأمتى النصيحة مخلصاً بأن أقوى أسلحتها لمقاومة الاستعمار أنما هو الأخلاق والدين هو الذى يهدى إلى مكارم الأخلاق وإذا كان على ولاة الأمور أن يفكروا فى توفير أسباب القوة المادية وتنظيم استعمالها ، فإن على كل فرد من أفراد الأمة أن يتسلح بالأخلاق وأن يتعامل بها مع أفراد أمته وأن يعلم أن أعظم رسالات الله وأكملها إنما جاءت للتعامل بمكارم الأخلاق .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

****

الحق يؤخذ ولا يعطى

كتب برناردشو إلى مستر بلت يقول : « أخشى أننا سنلاقى أوقاتا عصيبة فى الهند . ولكن على الهنود وعلى المصريين أيضا أن يعملوا على تحقيق حريتهم ، فليس فى وسعنا أن نطلق سراحهم ما لم تجابهنا الهزيمة ويتداعى صرح الامبراطورية فى جهات أخرى » .

وقد تحققت فراسة برناردشو ، وتداعى الصرح ، وخرج الاستعمار من الهند وسيخرج من كل مكان .

مكتبتنا العربية

الأردن والبلقاء في تاريخ الإسلام

كنت في زيارة أحد كبار شيوخ العلم بمصر ، فوجدت عنده جماعة من زعماء العرب ، ومن بينهم عربي ذو مركز سياسي ممتاز ، وقد أخذ الحضور يتحدثون عن أحوال بلاد المسلمين والعرب وقضاياهم مع الاستعمار ووجوب تعاونهم على تحرير أوطانهم وديارهم من سيطرة الأجانب واستعمارهم ، وجرى الحديث عن شرقي الأردن ، وإذا بالسياسي العربي يقول : بأن اسم « الأردن » أو « شرقي الأردن » لم يكن معروفا عند العرب من قبل ، وإنما ابتكره مهندس أمريكي واستحسنته السلطة الإنجليزية ، ومن ثم صار إطلاقه على تلك الإمارة أو المملكة التي عرفت باسم : « شرقي الأردن » .

فقلت له : إن اسم إمارة الأردن مسجل في تاريخ الإسلام ومعروف لدى العلماء من قبل ألف سنة ، وليس هو اختراعا أمريكيا ولا ابتكاراً انجليزيا . فعجب من ذلك وقال : صدقوني إذا قلت لكم إني لم أسمع بهذا قبل الآن .

من أجل ذلك وبيانا للحقيقة والواقع وخدمة لتاريخ الإسلام وتاريخ فتوحاته في بلاد الشام التي منها الأردن والبلقاء كتبت هذه المقالة :

إن البلاد التي يطلق عليها في هذا الزمان اسم « شرقي الأردن » هي أراضي ومدن وقرى تجمعها كورة البلقاء من بلاد الشام ، شرقي بيت المقدس وعاصمتها عمان ، ومن أشهر مدنها الكرك والصلت وإربد ومعان وجرش والطفيلة والشوبك وغيرها ، وكلها واقعة على الجانب الشرقي لنهر الأردن كما تقع فلسطين على جانبه الغربي .

ولقد ورد اسم الأردن والبلقاء في الحديث النبوي الشريف وفي كتب التاريخ والسير وفتوح البلدان ومعاجمها ، وفي تلك الجهات كانت (واقعة مؤتة) التي استشهد فيها الأمراء جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ، رضي الله عنهم ، وقبورهم موجودة إلى هذا الزمان في قرية تسمى (المزار) قرب الكرك ، وإلى تلك الجهات كان بعث جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه في خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد انتقال النبي ﷺ

مكتبتنا العربية

إلى الرفيق الأعلى ، وتدل النصوص الواردة فى تاريخ الإسلام على أن كورة الأردن وجند الأردن كانت تطلق منذ فتحها المسلمون على منطقة من الأراضى والمدن والقرى واقعة فى جهات الغور الشامى وما حولها أكثرها على الجانب الغربى لنهر الأردن وبعضها على جانبه الشرقى ، وأيام الحروب الصليبية فى عهد صلاح الدين حدثت فى أراضى الأردن الشرقية عدة معارك بين جيوش المسلمين والصليبيين الذين اتخذوا من إمارتهم الصليبية فى الكرك وما حولها قاعدة لمهاجمة الحجاز وشواطئ البحر الأحمر وأراضى سيناء والعقبة ، حتى هزمهم جيش مصر وأسطولها بقيادة حسام الدين لؤلؤ ، فأباد جندهم وغرق أسطولهم .

الأردن والبلقاء فى الحديث الشريف .

روى الترمذى والحاكم عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « حوضى من عدن إلى عمان البلقاء » الحديث وأخرجه السيوطى فى الجامع الصغير ورمز له بعلامة الصحيح : وأخرج القاضى مجير الدين المقدسى الحنبلى فى (الأنس الجليل) ج ١ ص ٢٠٧ ، عن ربيعة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ « لا تزالون تقاتلون الكفار حتى تقاتل بقيتكم جنود الدجال ببطن الأردن ، بينكم النهر ، أنتم غربيه وهم شرقيه » قال ربيعة فقال المحدث من أصحاب رسول ﷺ : « فما سمعت بنهر الأردن إلا من رسول الله ﷺ » .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

غزوة مؤتة فى البلقاء سنة ٨

قال أبو الفتح بن سيد الناس (عيون الأثر فى المغازى والسير) ج ٢ ص ١٥٣ :

غزوة مؤتة وهى بأدنى البلقاء من أرض الشام فى جمادى الأولى سنة ثمان وكان سببها أن رسول ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدى بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم فعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فأوثقه ثم قدمه فضرب عنقه صبراً ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره ، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر عنه ، فبعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤته وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » ، فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف ، ثم مضوا حتى نزلوا معان من أراضى الشام ، فبلغهم أن هرقل قد نزل مآب فى أراضى البلقاء فى مائة ألف من الروم وانضم إليهم من لخم والقين وبهراء وبلىّ مائة ألف منهم عليهم رجل من بلى يقال له مالك بن رافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان

مكتبتنا العربية

ليلتين ينظرون فى أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا ، فإما يمدنا بالرجال وإما يأمرنا بأمره فنمضى له ، فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : « والله يا قوم إن الذى تكرهون للتى خرجتم لها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا ، فإنما هى إحدى الحسنيين : إما ظهور « نصر » وإما شهادة » .

فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب « المتنصرة» بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها «مؤتة» فتعبأ المسلمون ثم التقى الناس فاقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى استشهد ، فأخذ الراية جعفر فقاتل بها حتى قطعت يمينه فأخذها بيساره فقطعت يساره فاحتضن الراية وقاتل حتى قتل رحمه الله وسنه ثلاث وثلاثون سنة ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وقاتل حتى قتل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

بعث أسامة بن زيد على رأس جيش إلى البلقاء وفلسطين :

فى المحرم من سنة ١١ جهز رسول الله ﷺ جيشا إلى الشام وأمر عليهم أسامة بن زيد ابن حارثة . وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء « فى شرقى الأردن » والداروم من أرض فلسطين ، وفى رواية أخرى للطبرى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره أن يوطىء من آبل الزيت من مشارف الشام الأرض بالأردن ، وكان فى هذا الجيش المهاجرون الأولون ومنهم عمر بن الخطاب فقد كان جنديا فى جيش أسامة وبينما الجيش فى الخندق متأهبا للرحيل إلى البلقاء والداروم اشتد المرض برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أن قبضه الله تعالى إلى الرفيق الأعلى إلى ما أراد به عز وجل من رحمة وكرامة ثم اختار المسلمون أبا بكر رضى الله عنه خليفة لرسول الله ، وبحث كبار الصحابة ما ينبغى فى شأن بعث أسامة فاقترحوا على عمر أن يراجع أبا بكر ليأمر بعودة جيش أسامة ، وإذا أصر على بعثه أن يختار بدله قائدا من كبار الصحابة فان أسامة لم يكن يتجاوز عمره حينئذ العشرين سنة ، فذهب عمر إلى أبى بكر وحدثه فى ذلك فاشتد غضبه وقال « والذى نفس أبى بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفنى لانفذت بعث أسامة كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته » .

مكتبتنا العربية

ولما قال له عمر : إن الأنصار أمروني أن أبلغك أن تولي رجلا أقدم سنا من أسامة ، فوثب أبو بكر وكان جالسا فأخذ بلحية عمر ثم قال « ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول ﷺ وتأمرني أن أنزعه ! » ، ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم فاشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن ، فقال : والله لا تنزل ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة حتى انتهى ، ثم قال لأسامة ، إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل . فأذن له . ثم وصاهم أبو بكر وصيته التي تعتبر دستوراً مثالياً لما تضمن الإسلام من رحمة وإنسانية وعدل في معاملة الأعداء . قال أبو بكر : « يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بعيراً إلا لمأكل ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فأخفقوهم بالسيف خفقا اندفعوا باسم الله » .

ثم قال لأسامة : اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ ، ابدأ ببلاد قضاعة ثم ائت آبل « بالأردن » . فمضى أسامة إلى ما أمره رسول الله ﷺ ، وبث الخيول في قبائل قضاعة والغارة على آبل فسلم وغنم . وكان فراغه في أربعين يوما سوى مقامه ومتطلبه راجعاً . (الطبري ج ٣ ص ٢١٢ ١٣) .

الأردن والبلقاء في معاجم البلدان

قال ياقوت في (معجم البلدان ج ٣ ص ١٧٧) : « البلقاء من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان ، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ، وبجودة حنطتها يضرب المثل .

وقال النووي في (تهذيب الأسماء واللغات) ج ٢ ص ١٨ قسم اللغات :

« الأردن الكورة المعروفة من أرض الشام بقرب بيت المقدس ، وهي بضم الهمزة وإسكان الراء وضم الدال وتشديد النون . قال أهل العلم : إنما سمي بذلك من قولهم للنهاس الثقيل أردن » .

مكتبتنا العربية

نهر الأردن :

وقال ياقوت فى (معجم البلدان) : « الأردن بالضم ثم السكون وضم الدال المهملة وتشديد النون . يقول اللغويون أن الأردن النعاس ، وهى أحد أجناد الشام الخمسة ، وهو كورة واسعة منها الغور وطبريا وصور وعكا وما بين ذلك .

ثم قال : والأردن يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب فى وسط الغور فيسقى ضياع الغور وأكثر مستغلهم السكر ومنها يحمل إلى سائر بلاد الشرق ، وعليه قرى كثيرة منها بيسان [١] وقراوة وأريحا والعوجاء وغير ذلك ، وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً فيسقى ضياع الغور وضياع البثنية [٢] حتى يصب فى البحيرة المنتنة « البحر الميت » فى طرف الغور الغربى » .

عدد كور الأردن كما ذكرها ياقوت فى معجمه :

ثم قال ياقوت فى معجمه . ج ١ ص ١٧٦ — ١٧٧ : وللأردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة بيسان وكورة بيت راس وكورة جدر وكورة صفورية وكورة عكا وغير ذلك .

وقال البلاذرى فى فتوح البلدان ص ١٢٣ وياقوت فى معجمه فى ص ١٨٧ . . وفتح شرحبيل جميع مدن الأردن وحصونها ، ففتح بيسان وسوسية وأفيق وجرش وبيت رأس وقدس والجولان وغلب على سواد الأردن وجميع أرضها ، ومما ذكره ياقوت والبلاذرى يتضح أن رقعة إمارة الأردن فى زمن الفتح الإسلامى كانت تشتمل على بلاد بعضها واقع فى أراضى سورية الآن مثل الجولان وبعضها فى أراضى لبنان مثل صور وبعضها من أراضى فلسطين مثل عكا وبيسان وصفورية ، وفى روايتهما أن شرحبيل رضى الله عنه فتح مدينة جرش من الأردن ، وجرش واقعة فى شرقى الأردن وهى مشهورة بآثارها القديمة .

---

(١) بيسان مدينة تاريخية فى شمال فلسطين ، وإليها ينسب القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى كبير وزراء صلاح الدين الأيوبى وبالقرب من بيسان كانت معركة فحل بكسر الفاء وسكون الحاء فى سنة ١٣ هجرية التى انتصر فيها جيش المسلمين على جيش الروم فأصيب منهم نحو ثمانين ألفا لم يفلت منهم إلا الشريد .

(٢) قال ياقوت ج ٢ ص٦ : البثنية هو اسم ناحية من نواحى دمشق وقيل قرية بين دمشق وادرعات

مكتبتنا العربية

سواحل الأردن ومصانع المراكب الحربية فى عكا وصور :

قال البلاذرى فى فتوح البلدان ص١٢٣ ، نقل معاوية قوما من فرس بعلبك وحمص وإنطاكية إلى سواحل الأردن صور وعكا وغيرها سنة اثنين وأربعين » : ثم قال البلاذرى فى ص ١٢٤ ولما كانت سنة تسع وأربعين خرجت الروم إلى السواحل وكانت الصناعة « صناعة المراكب الحربية » بمصر فقط فأمر معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه بجمع الصناع والنجارين وبثهم فى السواحل وكانت الصناعة فى الأردن بعكا ، وقال الواقدى لم تزل المراكب بعكا حتى ولى بنو مروان فنقلوها إلى صور فهى بصور إلى اليوم وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله فى سنة ٢٤٧ بترتيب المراكب فى عكا وجميع السواحل وشحنها بالمقاتلة وقال ياقوت ج ص ١٨٧ ولم تزل الصناعة فى الأردن بعكا إلى أن نقلها هشام بن عبد الملك إلى صور وبقيت على ذلك إلى صدر مديد من أيام بنى العباس حتى اختلف باختلاف المتغلبين على الثغور الشامية . وقال المتنبى يمدح بدر بن عمار وكان قد ولى على ثغور الأردن والساحل من قبل أبى بكر بن رائق :

تهف بصور أم تهنئها بكا وقل الذى صور وأنت له لكا

أمير الأردن وفلسطين فى عهد الدولة الأموية .

وقال ياقوت فى ج ١ ص ١٨٨ وقد نسبت العرب إلى الأردن حسان بن مالك الكلبى لأنه كان واليا على الأردن وفلسطين ، وبه مهد لمروان بن الحكم أمره وهزم الزبيرية (أتباع عبد الله بن الزبير) وقتل الضحاك بن قيس الفهرى فى يوم مرج راهط وكانت ابنته ميسون بنت حسان أم يزيد بن معاوية وإياه عنى عدى بن الرقاع بقوله .

لولا الاله وأهل الأردن اقتسمت نار الجماعة يوم المرج نيرانها

وإياه عنى كثير بقوله :

إذا قيل خيل الله يوما ألا اركبى رضيت بكف الأردنى انسحالها

ونسب الى الأردن جماعة من العلماء وافدة ذكر ياقوت أسماء طائفة منهم .

وقد كان للأردن موقف عظيم فى الحروب الصليبية سنفرد له مقالا مستقلا .

محمد صبرى عابدين
من علماء الأزهر

مكتبتنا العربية

ديوان مجد الإسلام

من بدائع الشاعر الإسلامي الكبير أحمد محرم رحمه الله

بتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

شهداء بدر

استشهد من المسلمين فى هذه الوقعة المباركة أربعة عشر مجاهدا ، ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار . فالأولون هم : عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، وعمر بن أبي وقاص ، وعاقل بن بكير الليثى ، وصفوان بن بيضاء الفهرى وذو الشمالين عمير ، وقيل الحارث ، وقيل عمرو ، بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعى . وأما الأنصار فهم : عوف بن عفراء ، وشقيقه معوذ بن عفراء ، وحارثة بن سراقه ، ويزيد بن قيس بن مالك ، ورافع بن المعلى ، وعمير بن الحمام بن الجموح ، وسعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر ، رضى الله عنهم أجمعين :

طف بالمصارع واستمع نجواها ... والثم بأفياء[1] الخبان ثراها

ضاع الشذى القدسى فى جنباتها ... فانشق وصف للؤمتين شذاها

حلل[2] يروع جلالها ومنازل ... من نور رب العالمين سناها

ضمت حماة الحق ، ما عرف امرؤ ... غزاً لهم من دونه أوجاها

الطالبين به على أعدائه ... موتاً . إذا نشروا الجنود طواها

الخائضين من الخطوب غمارها ... المصطلين من الحروب لظاها

الباذلين لدى الفداء نفوسهم ... يبغون عند إلههم محياها

ما آثروا فى الأرض إلا دينه ... ديناً ، ولا عبدوا سواه إلها

---

(١) الافياء الظلال (٢) حلل :

مكتبتنا العربية

سلكوا السبيل مسددين تضيئه آى (المفضل [١]) يبتغون هداها
قوم هم اتخذوا الشهادة بغية لا يبتغون لدى الجهاد سواها
هم فى حمى الايمان أول صخرة فسل الصخور ، أما عرفن قواما ؟
حملت جبال الحق فى دنيا الهدى بيضا شواهقَ ، ما تُنال ذراها
تؤتى الممالك والشعوب حياتها وتقيم من أمجادها وعلاها
ذهبت ترفرف فى مسابح عزها ومضت يفوت مدى النسور مداها
تجرى الرياح الهوج [٢] طوع مضائها وتخافها ، فتحيد عن مجراها
طاف الغمام ، مهللا بظلالها فسقته من بركاتها وسقاها

* * *

(شهداءَ بدر) أنتم المثل الذىُ بلغ المدى بعد المدى فتناها
علمتم الناس الكفاح ، فأقبلوا ملء الحوادث ، يدفعون أذاها
أما الفداء ، فقد قضيتم حقه وجعلتموه شريعة نرضاها
من رام تفسير الحياة لقومه فدم الشهيد يبين عن معناها
لولا الدماء تراق لم تر أمة بلغت من المجد العريض مناها
أدنى الرجال من الممالك من إذا عرضت منايا الخالدين أباها
وأجل من رفع الممالك مظهرا بانٍ المهج السماح بناها
كم أمة لم توق عادية الردى لولا الذى اقتحم الردى فوقاها
تسمو الشعوب بكل حر ماجد وجبت عليه حقوقها فقضاها
ما أكرم الابطال يوم تفيأوا ظلال المنايا ، يبتغون جناها
راحوا من الدم فى قطارف [٣] أشرقت حمر الجراح بها ، فكن حلاها
لو أنهم نشروا رأيت كلومهم تدمى ، كأنك فى القتال تراها [٤]
ليسوا وإن وردوا المنية للألى غمر البلى ورادهم أشباها

(٢) القرآن الكريم . (٣) الشديدة التى لا تستوى فى هبوبها جمع هوجاء (٣) جمع مطرف وهو الرداء المعلم (٤) جاء فى الاثر الشريف . أنا شهيد على هؤلاء الشهداء ، وما من جريح يجرح فى الله إلا بعثه الله يوم القيامة يدمى جرحه . اللون لون الدم ، والريح ريح المسك وأصيب عبد الله بن عمرو والد جابر رضى الله عنهما فى غزوة أحد بجرح فى رجله فمات ويده على جرحه . فأميطت يده عن وجهه فانبعث الدم ، ثم ردت إلى مكانها فسكن ==

مكتبتنا العربية

هم عند ربك يرزقون [١] فيهم ... وصف الحياة لأنفس تهواها
الله باركها (ببدر) وقعة ... كل الفتوح الغر من جدواها
منعت (ذمار الحق) حين أثاها ... وحمت (لواء الله) حين رعاها
بخل الزمان ، فكنت من شعراتها ... لو شاء ربى كنت من قتلاها [٢]
كم دولة للشرك زلزل عرشها ... بدماء (بدر) واستبيح حماها
فى دولة للمسلمين يشوقهم ... أيامها ، وتهزهم ذكراها
يا ريح الأمم الضعاف : انتقض ... دنيا الشعوب ، وما انقضت بلواها ؟
أمم هواك ما لمست جراحها ... إلا بكت ، وبكيت من جراها
لم أدر إذ ذهب الزمان بريحها ... ماذا من القدر المتاح دهاها ؟
إن الذى خلق السهام لمثلها ... جمع المصائب كلها فرماها

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الجهاد بالنفس والمال

قال رسول الله ﷺ - « لا يجتمع غبار فى سبيل ودخان جهنم فى منخرى رجل مسلم ، وإيمان فى قلب رجل مسلم » .

= ومن الروايات المأثور فى هذا الباب أنه حين أراد معاوية رضى الله عنه اتخاذ مجرى الماء وخلاقته تقع مدافن شهداء أحد فى طريقه أمر الناس بنقل موتاهم ، فأصابت المساحة (المجرفة ونحوها تسكون من الحديد) قدم حمزة رضى الله عنه فانبعث منها الدم .

(١) (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

(٢) المجلة - وإذا بخل الزمان عليك وعلينا بهذه الأمنية العليا أيها الشاعر الاسلامى ، فإن الله عز وجل أكرم الأكرمين ، وهو يثيب بالنيات ، وكما أكرمك بأن جعل شعرك من سلاح الاسلام ، فسيكرمك على نيتك بواسع فضله وكرمه .

مكتبتنا العربية

المرأة في ظلال الإسلام

أعلت الشريعة الإسلامية من قدر المرأة ما لم تعله شريعة ولا قانون وضعي ورفعت مكانها وأحلتها المحل اللائق بها وساوتها بالرجل إلا فيما تأباه طبيعتها وتقصر عنه فطرتها ، فتعبدها بالتكاليف وشرفها بالخطاب كما تعبد الرجل وشرفه ، ووعدها المثوبة والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى . « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ، وقال ﷺ . « إنما النساء شقائق الرجال » وندبها إلى طلب العلم ولم يقصرها على لون منه دون لون فقال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ، وكثيراً ما جلست إليه متعلمة وكان يتعهدها بالحكمة والموعظة الحسنة وطلبت إليه أن يجعل لها يوما يعلمها فيه فأجابها إلى ذلك وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النساء للنبي غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما من نفسك . ووعدهم يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن وعن عائشة رضي الله عنها « نعم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين » ، وفرض لها الإسلام نصيباً في الميراث ، وأباح لها أن تملك ما شاءت من المال وتستثمره بالطرق المشروعة ، وجعل لها أن تدافع عن الأمة فترافق الجيش مداوية مواسية مطعمة ساقية . وعن أم عطية رضي الله عنها : « غزوت مع رسول الله سبع غزوات ، وكنت أخلفهم على الرجال في رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى » كما جعل لها أن تؤمن المستأمن وتجير الخائف . وقد أجارت أم هانىء رضي الله عنها أحد أحمائها فقال رسول الله : « أجرنا من أجرت » . هذا إلى حقوق كثيرة منحها إياها الإسلام ، ولما تزل محرومة من بعضها في هذا العصر وفي أرقى الأمم ، بينما كانت تنكر عليها بعض الأمم السابقة إنسانيتها فضلا عن حريتها وحقوقها . وكانت تضعها بعض الأمم موضع الماشية فتورث من زوجها مع المتاع والبهائم .

وكان بعض العرب يستخزى لولادتها . وفي القرآن الكريم : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون » ، ومن أهم ما عنى به الاسلام من أمور المرأة سلامة عرضها وحسن سمعتها تكريما لها وتقديرا لخطر ذلك في بناء الأسرة وكيان الأمة وإذا

مكتبتنا العربية

استقام شأن المرأة استقام شأن الأمة ، والمرأة منشئة الأجيال وصانعة الرجال ، وبتماسكها فى خلقها وحزمها فى تربية أبنائها تتماسك الأمة ويستمكن بنيانها ، وهى الرائد إما إلى حياة كريمة وإما إلى حياة عليلة سقيمة . وما فسد العالم واضطربت أحواله وتعاورته المحن والنكبات الخلقية والاجتماعية إلا بفساد المرأة وإلقاء حبلها على غاربها واستجابة الرجل لرغباتها وآرائها فصار طوع بنانها تصرفه كما شاء له طيشها وعاطفتها ، وصار ذلك الوضع المقلوب بدعة العصر وآية تقدمه ، وسميت الأوضاع المنكوسة مدنية وتقاليد ينبغى مراعاتها ، وصار من أمارة ذوق الرجل إذا التقى بامرأة فى محفل أو ناد أن يركع لها ويقبل يدها ، وإذا دخلا منزلا أو ركبا سيارة أو قطاراً كان من آداب السلوك أن تتقدمه وعليه أن يبدأ بأشعال سيجارتها ، ورأيها الأعلى فى اختيار ما تأكل الأسرة أو تلبس ، إلى أمثال هذه السخافات التى وفدت إلينا كما تفد الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة .

إن الشعوب التى تشكو الانحلال الخلقى ترى أن من أهم الأسباب فى ذلك فساد المرأة وخروجها عن الجادة فى سلوكها ، وقد حرمت كنيسة روما دخول المرأة الكنيسة فى ثياب فاضحة لا تلائم جلال المكان ووقار العبادة .

وقد سلك الإسلام فى سبيل صيانة المرأة وحسن سمعتها طريقا يساوق الفطرة ، ويشهد بصحته الواقع والتجربة ، فحرم أن تهيأ للرجل والمرأة فرصة الاجتماع والخلوة ، فإن الخلوة أساس الشر وجرثومة الإثم ، ولا شك أن بين طبيعتى الرجل والمرأة تعاطفا وانجذابا ، فإذا خلا كل منهما بالآخر أسفرت الحيوانية وتحركت البهيمية وتخاذلت الارادة أمام سلطان الغريزة القاهر ، ونشط الشيطان فى مهمة الإغراء والتزيين ، وما اختلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ، وهناك تحل الفتنة وتتمثل الجريمة .

وتلك قضية المنطق والواقع لا تقبل مناقشة ولا جدالا ، وإنها لسفسطة ومكابرة أن يزعم أنصار الاختلاط أن التعليم أو التهذيب يكفكف من سلطان الغريزة ويكبح جماحها ويجعل الاجتماع مأمون العاقبة ، لأن رغبة كل من الجنسين فى الآخر طبيعة وفطرة ، وما بالطبع لا يتخلف كما يقول الفلاسفة ، ولعلنا لا نعدو الواقع إذا قلنا : إن التعليم وما إليه يضاعف من خطر الاختلاط ويجعل كلا منهما أقدر على التماس الحيل وابتكار الوسائل للوصول إلى الأغراض ، والواقع والتجربة يغنيان عن الاسهاب فى الاستدلال . لذلك كان

مكتبتنا العربية

أنجع الطرق فى وقاية المرأة والاحتفاظ بسمعتها وسمعة المجتمع أن يحال بينهما، وهذا ما أمر به الإسلام، فقد حرم أن يخلو غير المحرم بالمرأة ولو كان ذا قرابة قريبة.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والدخول على المغيبات» فقال رجل من الأنصار: يارسول الله: أفرأيت الحمو؟ قال «الحمو الموت» وقال العلامة النووى: المراد من الحمو فى الحديث أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه لأنهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت قال: وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم وابن العم وابن الأخت ونحوهم ممن يحل لها تزوجه لو لم تكن متزوجة، وجرت العادة بالتساهل فيه فيخلو الأخ بامرأة أخيه فشبهه بالموت».

وبالغ الإسلام فى الاحتياط فحرم أن يخلو الرجل بامرأة أجنبية فى سفر أو حضر ولو كان سفر الطاعة يغلب على الظن فيها حسن النية وسلامة الطوية ومجافاة الريب كالسفر الى الحج ونحوه، وأوجب على المحرم أنه يرافقها فى سفرها أيا كان السفر، وجعل هذه المرافقة مقدمة على كل شأن من شئون الدنيا والدين، فلو كان الرجل على أهبة الجهاد فى سبيل الله وسجل اسمه فى الغزاة وكتب فى قائمة الجند كان عليه أن يترك ذلك الواجب الخطير لمرافقة زوجه أو قريبته صيانة لها واحتفاظا بسمعتها، وفى الحديث: لا تسافر امرأة إلا ومعها محرم فقال رجل: يارسول الله اكتتبت فى غزوة كذا وكذا وخرجت امرأتى حاجة فقال: اذهب فحج مع امرأتك.

وقد أهمل المسلمون هذا الهدى الإسلامى، واسترخت الرقابة على النساء وأفلت عن أيديهم زمام العفة ووقعت فيهم السنة السوء وساءت الظنون بالعتيات وتهددتهن العنوسة والبوار. وإذ من العجب أنه يباح الاختلاط بين شابات الأسر وشبابهم لمجرد الجوار أو التعارف أو لمجرد التلويح بالخطبة، فاذا قدم الخطيب الشبكة كان ذلك جواز المرافقة والمخالطة وصك الامتزاج والانسجام، يتزاور الخطيبان بمقتضاه ويرتادان الملاهى والخلوات فى اطمئنان من أعين الرقباء وأولياء الأمور.

فأين موقف المسلمين من تعاليم الدين؟ إن الدين يخشى على المرأة من أقاربها الأقربين ويحتاط لرفع الخطر لتحريم الخلوة بها، والمسلمون على ما ذكرنا من الإجمال والتفريط. ولم يكتف الإسلام لتحريم الخلوة بالمرأة بل احتاط كذلك بسد ذرائع الفساد بالاختلاط وقطع السبل إليه، فحرم على المرأة أن تبدى زينتها إلا لمن يحل لها أن تبديها له، وأمر المؤمنين والمؤمنات أن يغضوا أبصارهم عما لا يحل لأن الأنظار حبائل الشيطان.

مكتبتنا العربية

والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغير موقوف على الخطر

قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظوا فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

ومن أعظم الجرائم في نظر الإسلام الزنا ، وعقوبته الجلد لغير المحصن والرجم أي القتل بالحجارة للمحصن وشدة العقاب على قدر عظم الجريمة ، كما أن من أعظم الجرائم القذف بالزنا ، وعقوبته الجلد ثمانين جلدة . قال الله تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فأن الله غفور رحيم » .

شرع الإسلام هذه الأحكام رعاية لمصلحة المرأة واحتفاظا بشرفها وكرامتها وحرصا على مستقبلها . ورأس مال المرأة الشرف والكرامة والسمعة الطيبة ، والمرأة كالدرة في صدفها كلما زادت تحجبا ازدادت إشراقا ولمعانا ، والمبالغة في العرض تغري بالطلب إلا المرأة فإن كثرة العرض ترخصها وتبخس قيمتها وتورث الرغبة عنها وقد جنى السفور والتبرج على المرأة وأورثها سوء ظن الشبان بها والإعراض عنها ، وخلق لنا مشكلة اجتماعية استعصت على العلاج وهي مشكلة إعراض الشبان عن الزواج التي تحس بوطأتها الأسر الكريمة إشفاقا على مستقبل فتياتها .

وأن من أكبر الجرائم في تاريخ المرأة المصرية جريمة السفور التي زعمته حقا دأبت على المطالبة به ووجدت من الرجال من يظاهرها عليه حتى تمت الجريمة وحصلت عليه . ولقد جنت المرأة وجنت الأمة المر من ثمره ، وحسبنا من ثماره هذه الفوضى الخلقية التي نعاني آثارها ، وإنا لنرجو أن يكون لهذه التجربة آثارها في ردع المرأة عن الاسترسال في المطالبة بحقوق أخرى تحاول في تهوُّر كسبها ولعمري لهي الخسارة التي سيكشف الزمن عنها إن قدر لها أن تبلغها .

مكتبتنا العربية

إن الشعوب التى سبقتنا إلى منح المرأة هذه الحقوق المزعومة التى تطالب بمثلها المرأة المصرية بدأت تعترف بخطئها فيما عملت وتحس بخطر ممارسة المرأة لهذه الحقوق وتصايح عقلاؤها بوجوب النظر فى حالة المرأة ووجوب أن تعود إلى وظيفتها الطبيعية كأم وربة أسرة مكانها المنزل ووظيفتها القيام عليه وعلى أطفالها بالرعاية والتهذيب ، وليس مكانها المعمل أو النادى أو البرلمان ، فإن ذلك خروج على الطبيعة وانصداع فى كيان الأسرة والأمة ينبغى أن يعالج حتى لا يتفاقم الشر ويستفحل الداء ، ولن تقنع المرأة المصرية بما يقوله علماء الإسلام فى هذا الموضوع لأنها تتهمهم بالتحامل والجمود ، وقد تكون أقرب إلى الاقتناع بما يقوله مفكرو الأفرنج فنعرض هنا بعضاً مما قالوه عن تجربة بعد ممارسة المرأة لهذه الحقوق .

تحدث أحد هؤلاء المفكرين عن طبيعة المرأة فقال : « أن أظهر علامات الجيل المنحل المضطرب تدخل المرأة فى الحياة العامة من وراء الستار فإن اهتمام المرأة بالشئون العامة كان دائما أكذوبة ووسيلة للاتصال بالرجال وحيلة انتقام من بعضهم أو بعض النساء المتزاحمات على مصالح شخصية ، فالمرأة بطبيعتها تنفر من الحياة العامة ولا تطمئن لها ولا تلقى بنفسها فى أحضانها إلا للشهوات ، سواء أكان فى أمور الدين أو فى أمور الدنيا ، وكل ما ظهرت به فى هذا السبيل كان بدعة سيئة ومخزاة ومدرجة للفجور » .

وقال آخر فى الكلام عن نتيجة دخول المرأة فى البرلمان : « ولكن هذه التجربة بل المحنة لم تسفر عن نتيجة سارة ، وكل ما فى أمرها أن بضع نساء ذوات مال ومنصب جلسن بين الرجال واتخذ هيئة خاصة بالقبعات وألوان الثياب أو اعوجاج الخصور أو خفض الجفون ، ولم نسمع لإحداهن كلمة جامعة أو موعظة حسنة أو رأياً خصيبا يخرج الأمة من الظلمات إلى النور » .

ذلك أخف ما قاله هؤلاء المصلحون فى هذا الصدد ونمسك عن باقيه إشفاقا على المرأة وعملا بتعاليم الإسلام فى صيانتها وحسن سمعتها ، وعسى أن تستفيق المرأة ويستفيق أنصارها وتستبين لهم مواطن الصواب والمصلحة للمرأة والأمة ويقلعوا عما تورطوا فيه مشكورين .

أبو الوفا المراغى

مكتبتنا العربية

محمد قائد الإسلام

بعد الحديث عن جيش الإسلام يأتى الحديث عن قائده !

يقول القائد العسكرى المشهور الفيلد مارشال ويفل فى كتابه القادة والقيادة : « يجب أن يكون القائد عفيفاً وقوراً قنوعا ، يتحمل الشاق من الأعمال ، متوسط العمر ، فصيحاً ، رب عائلة ، وينتمى إلى بيت ذى شهرة ، ومؤدبا ودوداً سهل الاقتراب منه ، زين الطبع ... »

هذا ما سجله ذلك القائد الكبير الذى حنكته تجارب الحروب ، فى كتابه الذى أخرجه فى ختام حياته العسكرية مسجلا فيه خلاصة تجاربه وأفكاره . فإذا نحن نظرنا إلى ما قال ، حسبناه كأنما درس صفات رسول الله قائد جيش الإسلام ، فوقف من دراسته على هذه الفضائل الذاتية الحميدة فأوردها فى كلامه وهو على ثقة تامة أنها إذا اجتمعت فى قائد كان قائداً مثالياً ...

فلقد اجتمعت هذه الصفات الحميدة جميعاً فى محمد قائد جيش الإسلام ، بل لقد اجتمعت فيه صفات حميدة غيرها لا حصر لها ...

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

شرف النسب :

لم يزل النبى ﷺ ينتقل من خير الآباء حتى انتهى إلى كبير مكة وقريش فى الجاهلية عبد المطلب بن هاشم ، ثم إلى أبيه عبد الله ، فهو ذو نسب زكى ، وإلى ذلك يشير قوله : « إن الله اصطفى من ولد ابراهيم إسماعيل ، واصطفى من اسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار » .

وكذلك يقول عمه أبو طالب :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها

وإن حصلت أنساب عبد منافها ... ففى هاشم أشرافها وقديمها

وإن فخرت يوما فإن محمدا ... هو المصطفى من سرها وكريمها

والحق معه ، فلم يكن فى آبائه مغمور ، بل كلهم سادة قادة ...

مكتبتنا العربية

كريم النشأة :

كان الله تعالى يريد كرامة رسوله ، فجعله تحت حراسته ورعايته ، وحفظه من أدناس الجاهلية ، حتى كان أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم حسباً وأرجحهم حلما ، وأصدقهم قولا ، وأبعدهم عن الفحش ، حتى عرف بين أهل مكة فى حداثة سنه بالامين ، لأنه استوفى من مكارم الأخلاق كل مكرمة لم ينلها إنسان قبله ولا بعده ، كل ذلك لأن الله تعالى تولاه حتى خاطبه بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم) وحتى حدّث هو عن نفسه فقال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

كمال العقل :

لقد كان الرسول ﷺ من كمال العقل والعلم فى الغاية القصوى التى لم يبلغها بشر سواه ، وعلى الرغم من أنه لم تسبق له ممارسة ، ولا مطالعة كتب يتعلم منها أخبار الماضين ، فقد تبين من التاريخ أنه أعقل العالمين . أنظر إلى حسن تدبيره وسياسته للعرب الذين كانوا أهل عزة وإباء وانطلاق ، مع الطبع المتنافر المتباعد ، وكيف احتمل جفاءهم وصبر على أذاهم بكل سياسة وحكمة وبعد نظر ، حتى انقادوا إليه ، والتفوا حوله ، وقاتلوا فى سبيله أهليهم وآباءهم وأبناءهم ، واختاروه على أنفسهم ، وهاجروا معه ، وتركوا أوطانهم وأحباءهم

احترام النفس والتواضع .

كان رسول الله يعرف قدر نفسه ، ويحترمها ، فكان بريئا من الرياء والتصنع ، مستقل الرأى ، لا يدعى ما ليس فيه ، ولم يكن متكبرا ولا ذليلا ، بل لقد كان فى ثوبه المرقع الذى كان يرقعه بنفسه يخاطب بقولة الحق أكاسرة الفرس وقياصرة الروم . وكان لا يؤخر عمل اليوم لغده ، وما عبث قط ، ولا ظهر فى قوله وفعله روح اللهو ، وكان يكره أن يحوط نفسه بالمظاهر الكاذبة أو مظاهر السلطان والملك فكان يقول لأصحابه « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم . إنما أنا عبد الله ، فقولوا عبد الله ورسوله » . وخرج على جماعة من أصحابه متوكئاً على عصى فقاموا له فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم بعظم بعضهم بعضا »

الصبر وقوة الاحتمال والثبات على المبدأ .

أما الصبر وقوة الاحتمال ، فقد كان النبى فيهما المثل الأعلى ، لقد أوذى فى الله فى نفسه وأصحابه فلم يلحقه جزع ، بل كان شجاعا حكيما ، وصبورا كريماً ، فكم ناله من أذى المستهزئين

مكتبتنا العربية

وكيد المنافقين ، فما لج بالشكوى ، بل كان دأبه الصبر مع التفويض لله تعالى حتى جعل له من أمره فرجا .

وكان يقابل الأذى بالصبر الجميل ، ويعامل أعداءه بالمداراة ويتألفهم بحسن المصانعة ، فكان يقابل الحمق والحزق بالحلم والرفق ، والصلف واللجاج بالوداعة والأناة . . وحسبنا أن نلقى طرفا على تاريخ الدعوة الإسلامية لنعرف كيف كان النبي مثالا فى الثبات على المبدأ وهى فضيلة كبيرة فى القائد .

أنظر كيف لبث ثلاث سنين يدعوا إلى الإسلام أقواما جفاة لا دين لهم إلا عبادة الأصنام ، وحجتهم أنهم يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم ، وأخيرا لم يسلم إلا ثلاثة عشر رجلا فأى نجاح هذا ؟ لاشك أنه غير مشجع ، ولكنه ظل ثابتا على مبدئه ، مستمرا فى دعوته بكل عزم وإرادة .

ثم أنظر إليه وهو يقول لعمه وهو يحاول إقناعه بالرجوع عن قريش وترك الدعوة « والله يا عم : لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ، ما تركته ! »

الوفاء :

والوفاء كذلك فضيلة إذا تحلى بها القائد كان قائداً عظيما ، إذ بالوفاء يأسر القائد قلوب رجاله ، ويرفع روحهم المعنوية إلى قمتها ، ولقد كان النبي ﷺ شديد الوفاء بالعهد ، يروى أن عبد الله بن أبي الحمساء طلب إلى النبي أن ينتظره فى مكان ما حتى يأتيه بشىء ثم نسى حتى ذكر ذلك بعد ثلاثة أيام فجاء إلى الرسول فإذا هو فى مكانه فقال « يا فتى لقد شققت على ، أنا هاهنا منذ ثلاث انتظرك » .

وبعد وفاة خديجة رضى الله عنها كان دائم التحدث عنها والترحم عليها والعطف على أحبائها ، يقول أنس رضى الله عنه : كان رسول الله إذا أتى بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة إنها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة .

الشجاعة والنجدة :

كان الرسول فى ذلك المثل الذى لا يجارى ، والقدرة المنقطعة النظير ، قال ابن عمر : ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ . وأى شجاعة أعظم

من أنه قام لأمر الله وحده ، ومضى قدما يدعو أقواما ليس عندهم من مكارم الأخلاق إلا ما كان مرتبطاً بالعزة والأنفة مما كان يؤدى كثيراً إلا شن الغارات والحروب وإهراق الدماء .

ولقد فزع أهل المدينة ليلة إذ سمعوا صوتا قويا غير عادى ، فانطلق بعض الناس نحو الصوت فتلقاهم رسول الله راجعاً قد سبقهم إلى الصوت وعرف الخبر ، وكان راكبا فرساً عاريا والسيف فى عنقه وهو يقول « لن تراعوا » .

وهكذا كان أسبق القوم إلى النجدة .

حسن الصورة وكمال الخلقة :

لا شك أن لحسن صورة القائد أثراً قويا فى الجنود ، يجعلهم ملتفين حوله ، مخلصين له ، متسابقين إلى تنفيذ أوامره ، متفانين فى أداء واجباتهم .

ولقد كان الرسول مكتملا لجميع نواحى جمال الصورة وكمال الخلقة ، وقد ورد فى هذا الكثير من المأثورات .

وبعد فهذا قليل من كثير من الصفات الحميدة التى تحلى بها الرسول الكريم ، فكان بها قائداً طبيعياً ، وسوف نرى بعد ذلك إن شاء الله عن دراستنا لمعارك الإسلام كيف كان الرسول قائداً حربياً من طراز فريد .

محمد جمال الدين محفوظ
يوزباشى أركان حرب

****

الجدل والعمل

قال الإمام الأوزاعى : إذا أراد الله بقوم سوءاً أعطاهم الجدل ، ومنعهم العمل .

النقد الأدبي وتاريخه

حدثناك فى مقال ماض أن النقد صار فناً تؤلف فيه الكتب ، بعد أن كان شذرات منثورة وخطرات عابرة . وسأحدثك فى هذا المقال عن كتاب من خيرها فى رأيي وأحبها نفسى وأقربها إلى الروح العلمية وأجمعها لآراء النقاد وأحفلها بالرائع الممتع ، ذلك كتاب (الموازنة بين أبى تمام والبحترى) لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى . كان ذلك الكتاب ينبوعا لما ألف بعده ومصدراً من مصادر البيان العربى ومادة للذين كتبوا فى علوم البلاغة وذخيرة نفيسة للذين يدرسون النقد وتاريخه .

بدأ الآمدى يعرض علينا آراء الأدباء فى الشاعرين العظيمين ، فذكر أن علماء اللغة والأدب فرق ثلاث : فريق يفضل البحترى وهم الكتاب الأعراب والشعراء المطبوعون الذين يؤثرون سهولة العبارة وصفاء الديباجة ووضوح المعنى ، وفريق يقدم أبا تمام وهم أهل المعانى والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميلون إلى الدقة والأخذ بطرف من الفلسفة . وآخرون يسوون بينهما . وينكر الآمدى على القائلين بالتسوية ويذكر أنه لا يفصح بتفضيل أحدهما على الآخر إنما يعرض عليك مساوئهما ومحاسنهما ويدعك وحكمك ، وذلك عنده أمثل الطرق وأشبهها للإدراك السليم والكشف عن وجه الحق . وكان الظن بهذا العالم ألا يشفق من الفصل فإن شخصية الكاتب لا تظهر بهذا العرض الرخيص .

ثم أخذ يقص عليك حجج الخصمين ويبسط آراءهما ، وخلاصتها أن أبا تمام أستاذ البحترى بشهادته ، وصاحب مذهب فى البديع عرف به وأخذ عنه ، وله الروائع التى تنقطع دونها الآمال والمعانى الفريدة التى سحرت البحترى فسرقها وقاس ذرعه بها ، إلى علم باللغة وأسرارها لم يعهد لأمثاله من الشعراء .

وينكر أصحاب البحترى التلمذة ولا يدفعون الصحبة ، ويقولون إن البديع موجود فى القديم حفل به مسلم بن الوليد من غير أن يجور على المعنى أو يتحيف سلامة النسج ، ثم جاء أبو تمام فأفرط فيه فاستكره الألفاظ وأضل المعانى وترك السامعين والقارئين ، يظعنون على عمياء - ولو أنه قبل من هذا الأمر عفوه وسار فيه على سجيته لبلغ فيه جسيما وبرز على كثير من الشعراء . ثم أخذ فى الموازنة فرسم لنفسه طريقا عبر عنها بقوله « وأنا أبتدىء بذكر مساوىء الشاعرين لأختم ببيان محاسنهما ، وأذكر طرقا من سرقات

أبي تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره، ومساوىء البحتري في أخذ ما أخذه عنه وغير ذلك مما غلط فيه، ثم أوازن من شعريهما بين قصيدتين إذا اتفقنا في الوزن والقافية وإعراب القافية، ثم بين معنى ومعنى فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه، وأفرد بابا لما وقع في شعريهما من التشبيه وبابا للأمثال أختم به هذا الكتاب وأجعله مرتبا على حروف المعجم ليقرب تناوله إن شاء الله».

سار الآمدي على هذا النهج وأطنب في سرقات أبي تمام مع اعترافه بأن الطاعنين عليه لا يجعلون السرقات من كبير عيوبه لأنه باب قلما يخلو منه أحد، واحتفل في بيان أخطائه ورد تأويل الصحيحين لها، وذكر كثيراً من استعاراته القبيحة وطباقه وجناسه الخارجين عن حدود الاعتدال. ومس البحتري مساليا في باب السرقات وبرأه من عيوب الإفراط في البديع لأنه مولع بتهذيب ألفاظه سالك سبيل الأولين من الأخذ بنصيب منها حين تأتي عفواً لا تكد خاطراً ولا تجني على معنى. ثم ختم الكتاب بذكر محاسنهما والموازنة بين معان اعتوراها وهي ترجع إلى بكاء الديار والوقوف على الأطلال ومساءلتها والدعاء لها. ولم نجد في النسخ التي بأيدينا ما وعد به من ذكر بابي التشبيه والأمثال، فجائز أن يكون الكتاب قد عدا عليه الزمن، أو تكون الأحداث قد عاقته عن الوفاء بوعده. وأياما كان فالقارىء لا يشعر بأن الرجل قد انتهى إلى غايته وأن الكتاب بلغ نهايته فاستراح إلى الخاتمة المقدرة له.

والآن بعد هذا العرض الوجيز لكتاب الموازنة أحب أن أدون لك مؤاخذاتي على الآمدي:

ظهر تحيز الآمدي للبحتري وتحامله على أبي تمام في غير موضع من كتابه، حتى كأنه موكل بالرد عليه لا حكم عادل يتجنب الهوى، فهو رقيق متأول إن مس البحتري بعيب، عنيف مجسم للظل مكبر للهنات إذا تناول أبا تمام. وجملة ما اعتد به على أبي تمام إغرابه في استعمال الغريب، وخروجه على أوضاع اللغة، وانحرافه عن قواعد النحو، وإسرافه في التماس البديع، وإفراطه في طلب الاستعارة، ومجافاته لطريقة الأوائل في صوغ الشعر حتى عسر فهمه على أئمة اللغة، وحتى قال بعضهم إن كان هذا شعرا فكلام العرب باطل. وقال آخر إنه يرمي بالدرة في بحر من خرء فمن يغوص عليها ليأخذها؟ وأما البحتري فهو عنده حذو المتقدمين ما فارق عمود الشعر مع طبع سليم وقريحة مواتية ونظر صائب في أعقاب

معانيه وألفاظه ، حتى خرج شعره حسن الرصف جميل الوصف واضح المعنى ، يصل إلى قلبك قبل وصول لفظه إلى سمعك ، فلا عيب فيه إلا إذا حاكى أبا تمام فى بعض مذاهبه أو استعار منه بعض معانيه فإنه تزل به قدمه ويهوى به إلى الحضيض تقليده .

أما أنا فأرى أبا تمام أحد أربعة خدموا العربية خدمة عظمى ، ولولاهم لكان الشعر العربى جدبا كالصحراء التى نبت فيها ودرج عليها : لولا أبو نواس وأبو تمام وأبو الطيب المتنبى وأبو العلاء المعرى لكان شعراً ساذجا لا حظ فيه لفكر ولا أثر فيه لخيال . وبفضل هؤلاء الشعراء صار أدباً عظيما يسامى آداب الأمم الراقية التى أخذت حظا كبيرا من الحضارة وبلغت مبلغا جسيما من نضوج العقل وصفاء الذوق وسمو الوجدان ، وأخذ العلماء يتفرغون له ويتناولونه بالدرس والبحث ، ويؤلفون فيه الكتب فيكشفون للناس عن ثروة عقلية وجمال فنى جدير أن تعشقه نفوس محبة للكمال مؤثرة لحياة روحية نبيلة .

هؤلاء شعراء عباقرة مبدعون سمت بهم عبقريتهم أن يعيشوا فى ظلال العجز وإن شئت فقل فى ظلال التقليد ، فهما عندى عبارتان متساويتان فى المعنى ، والفرق بينهم وبين أمثال البحترى كالفرق بين المجتهد والمقلد هذا يحسن الاتباع وذاك يجيد الإبداع ، ومن هنا غلط فى فهم هؤلاء اللغويون الواقفون عند نصوص اللغة وبعض الأدباء الذين يرون المزية فى اتباع الأوائل لاعتقادهم أن الأول ما ترك للآخر شيئا وأنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان وأن الخير كله فيما كان عليه الآباء ، فهم يريدون إلينا أن نشبه أعجاز النساء بكثبان الرمل والفلفل ببعر الآرام وأن نقف ونحن فى قصور شامخات على ربوع ميتة وأطلالها نبكيها ونستبكيها ونركب إلى حاجاتنا الجمال فى الصحراء وإن كنا فى عصر الذرة . يا له من هوان للبشر وللخليقة جمعاء فإن راعى الأدباء مقتضيات العصر وفتحوا أبوابا جديدة للفكر وخرجوا باللغة من الحصار المضروب عليها قالوا فارقتم عمود الشعر وجانبتم طرائق المتقدمين وأكثروا من هذا الذى يمر به العاقل فيزدريه . وأعود بك إلى تلك العيوب التى نسبوها إلى أبى تمام والتى هجنت شعره عندهم وهونت من أمره عليهم وحطته عن مرتبة أمثاله .

أما استعماله الغريب فهو رجل طالت ملازمته للشعر جاهلية وإسلامية وفيه كثير من هذه الألفاظ فكثر ترادها على لسانه وتكرارها فى شعره فلم تعد غريبة بل انتقلت إلى حد المألوف الذى يأنس المرء له ، وليس كل غريب يقبح استعماله بل هناك غريب لا تجد معدلا عنه وتجد المعنى يقتضيه والنظم يطلبه والكلمة المجاورة تحن إليه . اقرأ إن شئت قول الله تبارك وتعالى « تلك إذا قسمة ضيزى » ثم ضع بدلا منها كلمة « جائرة » التى ترادفها ثم تحس

مكتبتنا العربية

نفسك واستفت حسك أيجد لهذا البدل ما كان يجده من اللذة لتلك ، وأيحدث عنده من النشاط والطرب ما كانت الكلمة الأولى تحدثه ؟ أيشعر بهذا اللحن الموسيقى العنيف الذى يحرك القلوب القاسية وينبه الأذهان الغافلة ويدعوها الى التفكير فى غرابة هذه القسمة ، الى هذا التجاوب العجيب بينها وبين الفواصل الأخرى فى الآيات الكريمة .

إذاً فالغريب قد يكون أليق بالموضع من المستعمل المأنوس ، ومع أن فى الغريب إحياء لجانب من جوانب اللغة فقد تدعو إليه القافية أو الفاصلة أو غرابة الفكرة أو عدم وجود المتعارف أو غير ذلك مما يمر بالشاعر فيلتمسه اختياراً أو يلجأ إليه اضطراراً ، وليس معنى هذا أنى أسوغ الإكثار منه ، ولكننا نأخذ منه بقدر الضرورة وحين نجد أنفسنا مدفوعين إليه ، والمقام هو الحكم الذى يحسن بالأديب أن ينزل على حكمه فلا ضير على أبى تمام فى استعماله إذا سنحت له حالة من تلك الحالات التى فى إيثارها مراعاة لمقتضى الحال كما يقول البلاغيون ، وأما الخروج على أوضاع اللغة وقواعد النحو فالحق أن اللغويين مجمعون مختلفون فيما بينهم : يظن الرجل منهم أن اللغة ما انتهى إليه علمه ولا شىء وراء هذا ولبعضهم تحكم يزرى به ويصفه بالقصور العقلى مثل قوله لم تقل العرب هذا ولا تعرف العرب إلا هذا . وما النحاة بأقل منهم فى هذا الباب . وهؤلاء وهؤلاء لا يصلحون للحكم بين الشعراء ولا يحسنون التمييز بين جيد الشعر ورديئه .

يتحدث الجاحظ عن أبى عمر الشيبانى فيقول : رأيته يكتب أشعاراً ليدخلها فى أبواب التحفظ والتذاكر ، وربما خيل إلى أن أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون أبداً أن يقولوا شعرا جيدا لمكان أعراقهم من أولئك الآباء ، ولولا أن أكون عيابا ثم للعلماء خاصة لصورت لك فى هذا ما سمعت من أبى عبيدة ومن هو أبعد فى وهمك من أبى عبيدة .

والخصومة من قديم قائمة بين اللغويين والنحاة ، وبين الأدباء والشعراء . والرواة يحدثوننا أن ابن إسحاق الحضرمى استدرك على الفرزدق حين قال :

على عمائنا تلقى وأرحلنا على زواحف نزجيها محاسير

فقال ربر بالكسر معرضاً له بالإقواء فى البيت فأصلح الفرزدق قائلا :

على زواحف تزجيها محاسير

ثم هجاه الفرزدق بقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى موالياً

مكتبتنا العربية

فعاد ابن إسحاق فقال كان عليه أن يقول مولى موال .

وتآخذ اللغويين والنحويين دونت فيها كتب ، ومنهم من تطاول على تصحيح روايات القرآن فليس عجيباً ألا يسلم منهم أبو تمام .

وكان الشعراء يشعرون بتحذلق هؤلاء وتهافتهم فيبالغون فى السخرية منهم ويصنعون من الشعر ما يعيبهم ، والأغانى يحدثنا أن الفرزدق كان يرسل البيت معقداً معاياة لعلماء النحو واستهزاء بهم ، وأحسب أن معقد أبى تمام من هذا الضرب الذى يقصد به العبث بالنحاة . وأما إفراطه فى الاستعارة فهذا من طبيعة الشاعر العبقرى لأنه يجد فى نفسه من المعانى مالا تحيط به حقائق اللغة فيعود بالمجاز ويتوسع فى القول ومؤرخو الأدب الانجليزى يذكرون أن الشاعر الخالد شكسبير كان يفعل ذلك يقولون إن أهم ما يمتاز به أسلوبه هو كثرة الاستعارات فتجد فى الجملة الواحدة استعارتين أو أكثر .

بقى ما يعنونه عليه من غموض المعانى ، وأنا أهجم عليك بغير ما تنتظر : إنى لست من أنصار هذا الوضوح الذى يطيلون الثناء على البحترى من أجله ، ويجعلونه المعيار الذى تقاس به أقدار الأدباء ، إن انكشاف المعانى انكشافا تاما يوجد فى كلام العامة وأشباههم وما وجد فى كلام قط إلا زهد فيه إن القصيدة التى لا أجمع لها نفسى وأنفى من أجلها الخواطر عن ذهنى من الأدب الرخيص الذى كتب عليه الفناء والذى يقرب مأتمه من عرسه ويغلب صوت نعيه على صوت المبشر به إن جمال الصورة الشعرية فى عمقها وفى سفر الفكر بينك وبينها وفى تقليب البصر فى أعطافها ، وما قيمة صورة شعرية لا تشحذ ذهناً ولا ترقى ذوقاً ؟ إن التواء الحسناء يغرى بها وتمنعها يهيج نار الشوق إليها ، وبقدر دنوها منك يكون انصرافك عنها . وقد تفهم من الصورة الشعرية غير المعنى الذى أراده الشاعر ، وقد يفهم غير كما غير معنا كما ، فإن ذلك أدل على تأصلها فى باب البلاغة ، وأظهر لمواطن الفصاحة فيها . يقول أنا تول فرانس : لكل صورة شعرية عدة معان ، فأى معنى وجدته كان عندك معناها الحقيقى . والشاعر الفذ هو الذى يعوذ أحيانا بالابهام ليورث الصورة ضربا من الحسن ، كما يلجأ الرسام إلى الظل فى تجميل الصورة ، ولكن على شريطة ألا تحجب محاسنها بل يكون هذا الظل أعرق لها على إظهار كمالها ، وإلى اللقاء مع الآمدى إن شاء الله .

عبد الغنى اسماعيل
أستاذ بكلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

الأزهر وتاريخنا الدستوري

بعطى بعض المؤرخين صورة خاطئة لتاريخنا القومى ، إذ يصورون الشعب فى صورة المستكين المستسلم الذى لا يعرف لنفسه حقاً ، وقد أشار إلى هذا الخطأ حضرة الرئيس اللواء محمد نجيب فى خطابه التاريخى الخالد الذى ألقاه عند افتتاح أعمال لجنة الدستور [١] فقال : « لقد كان تاريخ هذا الماضى - ماضى أمتنا - ضحية من ضحايا أعداء تلك الأمة . فلقد أوهموا ناشئتنا وعلموا معلمينا أننا كنا كماً مضيعاً لا يأبه به الحاكمون ، ولا يحفلون بوجوده . وهذا كذب صراح أود أن أصححه فى دار النيابة وفى يوم الدستور » . والحقيقة أن الشعب المصرى لم يتخلف عن ركب التطور والتقدم ، فقد قام وعلى رأسه شيوخ الأزهر - وكانوا رسل الثورة وقادتها - بمقاومة الطغاة فى بسالة نادرة المثال . ويصف حضرة الرئيس فى خطابه المذكور هذه المقاومة بقوله « إن أبناء مصر لم يكفوا عن استكمال حقوقهم ورد العدوان عن دستورهم غير المكتوب : دستور حرية أفرادهم ، وشرف عقائدهم ، والتزام الحاكم لصالحهم : فالغلاف الخارجى لحياة المصريين فى القرنين الماضيين غلاف الاستسلام والإذعان والمهادنة : غلاف خادع كاذب ؛ وأنا باسم الأمة أزيحه من مكانه ، بل باسمها أمزقه تمزيقاً ليتضح للعالمين صورة مصر الحرة على حقيقتها » .

ثم أشار حضرة الرئيس فى خطابه التاريخى إلى ثورتين هامتين تعتبران من أسبق الثورات الدستورية العالمية ، إحداهما كانت بقيادة أكبر علماء ذلك العصر وهو الإمام أحمد الدردير ، والأخرى بقيادة شيخ الأزهر فى ذلك الوقت الشيخ عبد الله الشرقاوى رحمهما الله تعالى .

ثورة الإمام الدردير رحمه الله تعالى [٢] : —

فى يوم من أيام ربيع الأول عام ١٢٠٠ هـ (يناير عام ١٧٨٦ م) نهب حسين بك شفت وجنوده داراً لشخص يدعى أحمد سالم الجزار بالحسينية جهاراً نهاراً ظلماً وعدواناً . فثارت ثائرة الأهالى ، وتشاوروا فيما يجب عليهم أن يفعلوه واتفقوا أخيراً على الالتجاء إلى أقوى

---

(١) يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٥٣ .

(٢) الجبرتى طبعة بولاق جـ ٢ ص ١٠٣ - ١٠٤ .

مكتبتنا العربية

العلماء شخصية وأوسعهم نفوذا وهو الإمام الدردير ، فاجتمع الأهالى فى اليوم التالى للحادث ويمموا شطر الجامع الأزهر وقصدوا الشيخ وأخبروه بالواقعة . فغضب الشيخ على استهتار الأمراء وتعسفهم ، ونادى فى الجماهير غير هياب ولا وجل : « أنا معكم ، وغداً تجمع أهالى الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم وننهب بيوتهم كما نهبوا بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم » ، وأمر الشيخ بدق الطبول على المنارات إيذانا بالاستعداد للقتال ، وتزامت الأخبار بين الأهالى فأسرعوا نحو الأزهر للاشتراك فى المعركة ، وكانت أخبار الجماهير الهائجة قد وصلت إلى إبراهيم بك وبلغه تصميم الإمام الدردير على قيادة الشعب ضد الأمراء ، وكان يعلم مقدار ما للشيخ من نفوذ ومكانة عند الأهالى ، فخشى أن يستفحل الأمر ويؤدى الى ضياع سلطته فى مصر ، فأرسل نائبه ومعه أحد الأمراء الى الامام الدردير واعتذر له عما حدث ، ووعد بأن يكف أيدى الأمراء عن الناس . كما قرر توبيخ حسين بك شفت على صنيعه وطلب قائمه بجميع ما نهبه ليأمره برد ذلك الى صاحبه وهكذا وضع هذ الامام قاعدة دستورية هامة وهى احترام الحاكم لإرادة المحكومين .

ثورة الشيخ عبدالله الشرقاوى رحمه الله تعالى وكان شيخاً للأزهر عام ١٢٠٨ هـ [1] .

فى شهر ذى الحجة عام (١٢٠٩ هـ) (١٧٩٥) اشتكى فلاحو قرية من قرى بلبيس الى الشيخ عبد الله الشرقاوى من ظلم محمد بك الألفى ورجاله ، فبلغ الشيخ الشرقاوى الشكوى إلى كل من مراد بك وإبراهيم بك ، وخاطبهما فى كف أذى محمد بك الألفى عن الفلاحين فلم يفعلا شيئا . فما كان من الشيخ الشرقاوى رحمه الله تعالى إلا أن عقد اجتماعا فى الأزهر حضره العلماء وتشاوروا فى الأمر فاستقر رأيهم على مقاومة الأمراء بالقوة حتى يجيبوا مطالبهم ، وقرروا إغلاق أبواب الجامع الأزهر وأمروا الناس بغلق الأسواق والحوانيت استعدادا للقتال

وفى اليوم التالى : ركب الشيخ الشرقاوى ومعه العلماء وتبعتهم الجماهير وسار الجميع إلى منزل الشيخ السادات يستشيرونه فى بدء المعركة ، وكان قصر إبراهيم بك قريبا من قصر الشيخ السادات ، فراعه احتشاد الجماهير هناك ، وعلم باجتماع العلماء عند الشيخ السادات ، فبادر بإرسال أيوب بك الدفتردار ليسأل عن مرادهم .

(١) نفس المرجع جـ٢ ص ٢٥٨

مكتبتنا العربية

فقالوا له : نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها وأحدثتموها .

فأجابهم قائلا : لا يمكن الإجابة إلى هذا كله فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات.

فقالوا له : هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الاكثار من النفقات وشراء المماليك ، والأمير يكون أميراً بالإعطاء لا بالأخذ !) .

فقال لهم : حتى أبلغ . وانصرف ولم يعد لهم بجواب .

صمم العلماء فى هذا المجلس على أن يخوضوا المعركة مع الأمراء ، وإما أن يستشهدوا أو ينالوا حقوق الشعب كاملة . وأعلنوا أهالى القاهرة بعزمهم ، فتقاطرت الجماهير صوب الأزهر وباتوا هم والعلماء داخل المسجد وحوله .

هال إبراهيم بك ما بلغه من احتشاد الشعب ومرابطته مع العلماء استعدادا للقتال . فأرسل إلى العلماء يعتذر إليهم ويبرىء نفسه ملقيا التبعة على شريكه فى الحكم مراد بك ، بل ذهب إلى أبعد من هذا إذ يقول « أنا معكم وهذه الأمور على غير خاطرى ومرادى » وأرسل مراد بك يستحثه لعمل شىء ويخيفه عاقبة الثورة التى توشك أن تنفجر .

وفى اليوم الثالث للثورة توجه والى مصر إلى منزل إبراهيم بك واجتمع مع أمراء المماليك وقرروا إيجاد حل سريع حاسم قبل أن يفلت الزمام فتشتعل الثورة ، وأرسلوا إلى العلماء ليحضروا الاجتماع ، فحضر الشيخ السادات والسيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ الأمير وطال الحديث بينهم وكان مداره حول حقوق الشعب ، ولم يستطع ابراهيم بك ولا مراد بك ولا الأمراء المكابرة فى هذه المرة ، فقد كانت القاهرة تغلى كالمرجل وكانت أشبه ببركان يوشك أن يثور وكان الشعب المتكتل فى الخارج يلوح مهددا متوعدا ، وانتهى هذا المجلس التاريخى بموافقة الأمراء والوالى على القرارات[1] الآتية :

أولا : لا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها مندوبو الشعب .

ثانيا : أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم .

ثالثا : ألا تمتد يد ذى سلطان إلى فرد من أفراد الأمة إلا بالحق والشرع .

---

(١) ذكر هذه القرارات حضرة الرئيس فى خطابه الذى افتتح به أعمال لجنة الدستور .

مكتبتنا العربية

وكان القاضى الشرعى حاضرا فحرر (حجة) تضمنت هذه القرارات وقع عليها الوالى وختم عليها ابراهيم بك وأرسلها إلى مراد بك فختم عليها أيضا وانحلت الأزمة . ورجع العلماء يحيط بكل منهم موكب من الأهالى وهم ينادون (حسب ما رسمه ساداتنا العلماء بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية) .

ولو تأملنا فى هذا النص الذى ساقه مؤرخ مصر الجبرتى ودققنا النظر فى قوله (حسب ما رسمه ساداتنا العلماء) لوجدنا أن هذه العبارة الظاهرة تحمل مبدأ دستوريا هائلا : وهو أن الأمة مصدر السلطات .

وقد أشار حضرة الرئيس فى خطابه المذكور إلى هذه الحجة بقوله « وقد توافق رأى أكثر المؤرخين الفرنجة على أن هذه الحجة بمثابة وثيقة (إعلان حقوق الإنسان) سبقت بها مصر غيرها » .

وقد طبق وكلاء الشعب ويمثلهم العلماء والأعيان هذا المبدأ ـ مبدأ الأمة مصدر السلطات ـ على والى مصر خورشيد باشا حين عجز عن ضبط الأمن فى البلاد ، إذ عقدوا مؤتمرا وطنيا يوم ١٣ صفر عام ١٢٢٠ هـ وقرروا عزل الوالى ؛ ولما رفض الإذعان لهذا القرار قام العلماء والأعيان والشعب بتنفيذ قرار الأمة بالقوة ودارت رحا الحرب بينهم وبين الوالى وكانت الأوامر خلال المعركة تصدر باسم السيد عمر مكرم والعلماء بصفتهم وكلاء الأمة ، وأجبروه أخيراً على الإذعان لقرار الأمة فى ٢٩ جمادى الأولى عام ١٢٢٠ هـ .

هذا وقد سجل التاريخ للعلماء السابقين مواقف مجيدة فى الدفاع عن حقوق الشعب نذكر منهم الإمام شمس الدين محمد الحنفى المتوفى عام ٨٤٧ هـ ، والشيخ شمس الدين الديروطى الواعظ بالأزهر الشريف والمتوفى عام ٩٢١ هـ ، وشيخ الإسلام الإمام محمد بن سالم الحفنى المتوفى عام ١١٨١ هـ .

نستنتج من هذا كله أن العلماء والشعب خلال صراعهم العنيف فى سبيل نيل حقوق الأمة استطاعوا أن يستخلصوا عدة مبادىء كانت تدار بوجبها شئون الحكومة وتحفظ بمقتضاها حقوق الرعية ، حتى انتهى الأمر إلى إعلان حقوق الإنسان وأن الأمة مصدر السلطات ، وتعتبر هذه المبادىء أهم الأصول التى بنيت عليها الدساتير الحديثة .

أحمد عز الدين عبد الله خلف الله
المدرس بمعهد دسوق

مكتبتنا العربية

غرور

من العوارض البارزة والأحداث الظاهرة ما يطوف بالجماعات فيتغلغل فى صفوفها ، ويتمكن بين أفرادها ، ويلم بالأمة فى غزوه المنكر ونزوله الملح ، فتخضع فترة من الزمن لسلطانه ، وتعيش ردحا من الدهر تترنح تحت وطأته . تتمرد عليه حينا وتخبت له أحيانا . تحاول أن تبعد عنه آنا وتستسلم لغواشيه المطبقة وطوفانه المغرق آنا آخر . حتى إذا قوى منها العزم ، واستحصد لديها الحزم ، ونفذت الإرادة ، استطاعت أن تفلت من آصاره وتتخلص من قيوده .

ولمام الظواهر التى لا تحب ولا تستساغ ، أمر عادى يتسرب إلى الأفراد ويتفشى فى الجماعات ، ما دامت النوازع الإنسانية والأطماع البشرية والأهواء والشهوات تضطرم فى النفس وتفور فى الجسد

ولكن الذى لا ترضاه العقول السليمة ، ولا يطمئن إليه التفكير الصحيح ، ولا تقره شريعة رب العالمين ، أن نقع فريسة للعوارض المهلكة والأدواء القاتلة ، والأمراض النفسية الخبيثة فلا نحاول التمرد عليها والخلوص من أوزارها .

قد يغفل الضمير أو تغفو المشاعر الإنسانية وتهجع فى النفس قوة المراقبة فيدخل عليها الداء من حيث لا تقدر ، ويتسرب اليها الوهن من حيث لا تشعر . ولكن العاقل الذى يحاسب نفسه لا يلبث أن ينتزعها مما يحل بها من آفة ويتسلط عليها من داء . ولعل هذا أبرز فارق بين البر والفاجر ، فإن البر سريع الإفاءة إلى ربه ، كثير الإقلاع عن ذنبه ، شديد الندم على ما يبدو منه من مخالفة ، أما الفاجر فهو دائما سادر فى لهوه ، ممعن فى غيه لا يوقظه إلا القوارع المجلجلة والمحن العاصفة .

مكتبتنا العربية

إن الأفراد والجماعات لاتصاب بعلة مميتة وآفة لعينة مقيتة ، تدمر نظامها وتحطم تناجها وتفسد أمرها وتضعف الثقة فيها وتعدم التعاون بينها ، مثل آفة (الغرور) فهو أساس كل شر ومصدر كل فساد وسبب كل هلاك . وما أحبط أعمال الناس وأصارها إلى الإخفاق والجدب ومكن بينهم العداوة والبغضاء ودعا إلى الخصام والشحناء وأشاع الذعر والخوف والاضطراب إلا داء الغرور حين يستولى على النفوس ويستبد بالقلوب ، فيحول مودتها إلى عداوة وصفاءها إلى كدر وإخلاصها إلى ضغينة وحسد .

يغتر المرء بجهده وعمله ويخدع جاهلا فى كفايته وقدرته . ويخيل اليه الوهم الكاذب والسراب الخادع والعقل الخائر والتفكير الضحل أن قوته فوق القوى ، وقدرته لا توازيها قدرة . هو فى نفسه عالم يفقه أدق مشاكل العلم وأعقد مسائله ، وهو سياسى يدرك من خفايا السياسة الداخلية والخارجية ما يستعصى على الآخرين ، وهو بين الأدباء أديب بارع الفكر ، رائع الخيال . هو فى كل شىء أشد الناس فهما وأصدقهم حكما وأنفذهم نظراً وأعمقهم غوراً وأسماهم فكراً ، لا يقبل فى ذلك جدلا ولا مناقشة . وبهذه الفكرة الخاطئة والنظرة الباطلة ، والوهم الكاذب لا يمكن أن يلتقى بالناس فى عمل مشترك أو تعاون مفيد . وهل يلتقى فى نظره السقيم الثرى بالثريا أو يجتمع الخامل والعبقرى .

ويدعى إلى سلوك طيب يكون له وللناس فيه خير ، فتأبى عليه نفسه وينفر طبعه ويداخله الحنق والغضب لأن سلوكه فيما يرى أقوم سلوك وأدبه ارفع ومقامه أسمى من أن يتطاول إليه نصح أو توجيه وقبح الله الغرور .

ويراد على الإحسان فى عمله والإجادة فى إنتاجه ، فيستفزه الغضب وتستثيره الحدة لأن عمله أحكم صنعا وأدق أداء وأعظم من أن يتطاول إليه متطاول .

ويفسد فى الأرض ويستسلم لنزوات الشر ودوافع الإثم وتمتد عينه ويده إلى ما حرم الله عليه ، فإذا وجه إليه نقد أخذه الحقد واستبد به الغرور لأنه عند نفسه فوق أن يخضع لنقدات الناقدين .

وهكذا يدخل الفساد على الأمة ويتسرب إليها الداء ويبدأ فيها الشر والعوج ، كل فرد أمة وكل شخص دولة : فهو مستقل فى رأيه مستبد بفكره ، لا سلطان لأحد عليه ثم يجىء

مكتبتنا العربية

بعد ذلك الضلال فى الرأى والخطأ فى التقدير والتخبط فى السلوك . لأن ما استقر فى النفوس من الغرور قد أفسدها وأظلم آفاقها ، فلم يعد أحد يصغى إلا لما تهتف به شهوته وتضطرم فيه نزوته وينزع إليه هواه .

وهكذا يتداعى بناء المجتمع وتضطرب أركانه وتختل موازينه وتتضاءل قوته وتنحل عروته بما يشيعه الجاهلون من فساد ، وما يأتيه المغرورون من حمق .

إن فى الغرور ادعاء واجتراء : ادعاء يسلب الإنسان وقاره الخلقى وحليته النفسية ، واجتراء يثير فى الأنفس الحقد على الناس والضغينة بينهم فيقطع ما اتصل من أسباب المودة ويفسد ما صلح من عوامل الألفة ، ويهدم ما يقوم من رغبة فى التعاون والجهاد فى هذه الحياة .

ولقد أراد الله تعالى لهذه الأمة القرآنية أن تعيش سليمة من الآفات بريئة من الأدواء والعلل ، وأن تتربى تربية نفسية لا يداخلها شوب من الفساد ، ولا عامل من الانحلال ، فحذرها الله جل شأنه بما شرع من آداب واستن من سنن ، أن تستسلم لداء أو تخضع لآفة . ولقد قال جل شأنه (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) .

ثم أشار جل شأنه إلى أن مصدر هذه الآفة تأميل فى طول عيش ، أو طمع فى طيبات الحياة وزينة الدنيا ، أو رغبة فى الاستمتاع بنعمة الولد وهكذا فقال : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت . إن الله عليم خبير) .

يجب أن نعالج ما يعترينا من نقائص ، وما يتفشى بيننا من أوزار ، ويجب أن نربى أنفسنا على ما يلتمع فى تاريخنا من روائع الصور وبارع الأمثلة التى كتبت هذا التاريخ وبنت ذلك المجد . وليعلم أولئك الذين يخفون إلى الاقتداء فى الشر ويسرعون إلى الاحتذاء فى الضرر ، أن الاتباع فى الخير والاقتداء بمن مضوا من سلفنا الصالح يغرس فينا الفضيلة ويسددنا نحو النهج القويم .

لقد كان عمر بن الخطاب حريصاً أشد الحرص على أن يكسر نخوة نفسه ، وأن يستل داء الغرور من كل من يحيط به . فهو الذى أمر المصرى أن يضرب ولد عمرو بن العاص

مكتبتنا العربية

ثم يضع الدرة على صلعة عمرو ليذهب ما عسى أن يكون قد داخله من خيلاء الحكم وكبرياء السلطان . وكان رضى الله عنه يحاول دائما أن يقتل ما فى نفسه من نخوة ويطرد ما يمكن أن يساورها من وسواس .

يقول عروة بن الزبير : رأيت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، وعلى عاتقه قربة ماء . فقلت : يا أمير المؤمنين إنه لا ينبغى لمثلك هذا . فقال : أنه لما أتتنى الوفود سامعة مطيعة مهادنة دخلت نفسى نخوة فأحببت أن أكسرها . ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها فى إنائها .

ويروى الأحنف بن قيس أنه كان بصحبة أمير المؤمنين عمر فجاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن فلاناً ظلمنى فأعدنى عليه . فرفع درته وضرب بها رأسه وقال : تدعون عمر وهو معرض لكم ، حتى إذا شغل فى أمر المسلمين أتيتموه ، تقولون أعدنى .

فانصرف الرجل متذمراً فقال عمر : على بالرجل . فجىء به إليه ، فألقى إليه الدرة وقال له : اقتص ! فقال : بل أدعه لله ولإرادة ما عنده . وانصرف .

يقول الأحنف . ثم جاء عمر فدخل منزله ونحن معه فصلى ركعتين ثم جلس وقال : يا ابن الخطاب كنت وضيعاً فرفعك الله ، وضالا فهداك الله ، وذليلا فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس فجاء رجل يستعديك على من ظلمه فضربته . ماذا تقول لربك غدا ؟ فجعل يعاتب نفسه أشد المعاتبة .

ويقول رجاء بن حيوة : كنت ليلة عند عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فضعف المصباح ، فقام رجل ليصلحه فقال : اجلس ، فليس من الكرم أن يستخدم المرء ضيفه .

ثم قام بنفسه فأصلح السراج . فقال رجاء : أتقوم إلى السراج وأنت أمير المؤمنين ؟ فقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز بمثل هذه السير النقية والأخلاق الطاهرة والآداب الكريمة تعز الجماعات وتسعد الأمم .

عبد الحميد محمود السلوت
المدرس فى كلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

الدين في أوربا وعلاقته بالعلم

— ٣ —

كان التيار الذى طبع النصف الأول من القرن التاسع عشر بطابعه — سواء أكان ذلك فى الجانب الدينى أم الأدبى — هو تيار تلك الحركة القوية التى دعيت فى التاريخ باسم الحركة الرومانتيكية ، والتى كانت إحدى نتائج الانقلاب الثورى الفرنسى ، والتى امتد سلطانها إلى أكثر دول الغرب .

ولما كان لا يعنينا الآن من هذه الحركة غير الدين من حيث علاقته بالعلم ، فقد وجب أن نقصر حديثنا اليوم على ذلك . وبجموع القول فى هذا الشأن هو أننا إذا تعقبنا الفكر الدينية فى ذلك العصر ألفينا أن أسبها العامة فى المحيط الثقافى تعتمد على مبادىء « جان جاك رسو » "Jean Jacques Rousseau" الذى يمكن أن يعتبر ضمن طلائع تلك الحركة الرومانتيكية ممن أعدوا القول لذلك الانقلاب كله وهيئوا النفوس لاستقباله . ويمكن أن نوجز أقوال « رسو » فى الديانة بأنها إيمان نابع من داخل النفس ، منبثق من شغاف القلب ، منبجس من أعماق العواطف الإنسانية .

وعلى جملة من القول يمكن حد الدين على حسب قوله بأنه بجموعة من المبادىء التى بلغ الشعور بوجودها أقصى آوجه وإن لم يكن من الممكن التدليل عليها بالبرهان العقلى ، أو تأييدها بالحجة المنطقية القاطعة لأنها لا تعدو كونها وثبات روحانية غير معتمدة على المقدمات العقلية ، ولم تنشئها تأملات نظرية . وموضع هذا الدين هو إرضاء حاجات القلب وقيادة السلوك الخلق .

ولا جرم أن هذه النظرة إلى الدين تجعله عاطفياً بحتاً وتنتهى به إلى الانفصال نهائياً عن العلم ، بل تجعله ينطق بلغة غير لغة العلم ، ويسير فى الحياة على غير نهجه وبغير أسلوبه ، وبهذا يستطيع كل منهما أن يتجه فى طريقه نامياً متطوراً اتجاه الخطين المتوازيين اللذين لا يلتقيان مهما امتدا .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن العاطفة قد استطاعت أن تساير الديانة المسيحية

مكتبتنا العربية

مسايرة تختلف مع مسايرة العقل الذى كثيراً ما يبدو متعارضاً معها، وقد نشأ هذا التعارض من أن مظاهرها تخاطب القلوب والمشاعر أكثر من مخاطبة الفكر، وتعتمد على الحب والإيثار أكثر من اعتمادها على المتعقلات الفلسفية أو المدركات النظرية. ولا ريب أنها تنتزع — عن طريق هذه الاتصالات العاطفية — كثيراً من النتائج الناجحة المثمرة.

وأيا ما كان فإن آراء «رسو» فى الدين والسياسة والأخلاق والتربية كانت — منذ أواخر القرن الثامن عشر — نقطة البدء التى صدرت عنها الأفكار الحديثة فى أوربا كلها، بل كانت أساس النهضة الدينية الجديدة التى تبعت الحركة الرومانتيكية التى بعثت الدين من مرقده بعد تلك الصدمة العنيفة التى تلقاها من الثورة الفرنسية ثم حددت موقفه بإزاء العلم.

ومجمل هذا الموقف إذ ذاك هو أن الدين لا يعتمد على العقل، بل على القلب، وأن له مبادئه وأسانيده ومنتجاته التى تفرض نفسها فرضاً على العقل باسم سلطان أعلى منه. ولقد انتقل التيار الثقافى فى ذلك العهد بل الحياة كلها من جانب الفكر الذهنى إلى جانب أولئك الذين كانوا — دون أن يأبهوا للعقل الحر ولا للعلم المستقل وأن يعبثوا بعقد صلة بينهم وبين الفلسفة — قد جعلوا يتركون الدين يمتد فى حرية معتمدا على سلطانه الذاتية التى لا تعرف لم، ولا تعترف بكيف، وهى القلب والتقاليد والعقيدة، وكان عمل أولئك القوم يكاد يكون محصوراً فى إنماء القوة الروحية وتفخيمها. ولكى نمثل لهذه الحركة يجب أن نشير إلى كاتبين من زعمائها، أحدهما فرنسى، والآخر ألمانى فأما الأول فهو «شاتوبريان» "Chateaubriand" طليعة أدباء فرنسا الذين أيقظوا الحركة الدينية من سباتها واستعادوا لها صحتها التى أنهكتها الثورة، بل أوشكت أن تأتى عليها، وذلك لأن هذا اللون من الإيمان قد بدأ فى فرنسا أدبيا قبل كل شىء. ولقد ظهرت طوالعه الأولى فى كتاب «عبقرية المسيحية "Le Génie du Christianisme" تأليف «شاتوبريان».

ومجمل القول فى هذا السفر أن مؤلفه — صادراً عن مبدأ «جان جاك روسو» وهو سيادة سلطان العاطفة — قد عول على أن يبدل الحياتين: الفردية والاجتماعية اللتين لم تكونا بعد قد أفاقتا من تلك الهزة القاسية التى أصابتهما بها الثورة الفرنسية فزلزلت كيانهما الدينى أن يدخل فيهما كل الطقوس والتقاليد الكاثوليكية فى صورها العملية وأشكالها الواقعية. وليس هذا فحسب، بل إنه لم ير فى هذه الطقوس وتلك التقاليد إلا ظواهر ثانوية لا يؤيدها

مكتبتنا العربية

العقل فضلا عن أنها لا تدخل فى نطاقه ألبتة ، وأكثر من ذلك أنه اندفع فى هذه السبيل إلى حد أن وضع تفاصيل هذه الظواهر الخارجية فى مرتبة واحدة مع ما يحتويه الدين من المبادىء الخلقية السامية ، واتخذ من النوعين كليهما الدليل على سماوية عنصره . ومن أسانيد ذلك عنده أن جميع هذه التفاصيل تتجه مباشرة إلى الخيال وتأسر القلب وتسحر الوجدان الإنسانى وتواسيه ، وتهديه وتقويه ، وتنعشه وتحمسه ، وبالإجمال : تترك فيه أعمق الأثر . ومن العبارات التى وردت فى مؤلفاته فى هذا الشأن قوله : إن السبيل التى يجب اتباعها اليوم هى الاتجاه من المعلولات ، إلى عللها ، والتدليل على أنه ليست المسيحية سامية لأنها من عند الله ، بل إنها من عند الله لأنها سامية ، وعلى أن ما يشتمل عليه الناقوس من شعر وجدانى يتجه إلى الشعور مباشرة هو أقوى من حجج الأقيسة المنطقية لأننا نشعر بالأول حيا فى كوامن نفوسنا بينما لا تكترث قلوبنا للثانية .

ومن هذا يتبين المرء أن « شاتوبريان » شاعر حقا ، وأنه لا يكترث أدنى اكتراث بالمعرفة ما دام أن عقيدته وتقاليده التى يعرض بذلك الأسلوب الفصيح البليغ نتائجها الخيرة الساحرة ، وأنه سواء عليه أكانت هذه الثمار نتيجة من أصول موجودة وحقيقة أم كانت مجرد أخيلة عابثة قصدنا بها إرضاء رغباتنا وأحلامنا .

ومهما يكن من شىء فإن التيار الذى كان يقتاد الحركة الرومانتيكية بفرعيها : الدينى والأدبى فى أوروبا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر هو تيار تلك الآراء السالفة التى تتركز فى أن العاطفة هى القاعدة الوحيدة ، وأن الغاية التى يهدف إليها الإنسان الراقى هى أن يشعر بأنه يحيا ، وأن يهب نفسه تماما للشعر والهوى أو شدة الانفعال والحماسة التى تهز النفس ، وأن يفر من المجردات التى لا تعنى إلا العقل المحض .

وهنا ينبغى أن نسائل أشياع هذه المبادىء قائلين : ألا تخشون — إذا وهبتم أنفسكم للعواطف على هذا النحو — أن تضعوا أنفسكم على طرفى نقيض مع العلم ؟ ولا ريب أن الجواب على هذا السؤال هو أن الرومانتيكى الأصيل يجهل أو يتجاهل هذه المشكلة ، فبينما يشتغل العالم بالتحليل والتعليل والاستنباط ، نراه هو يكتفى بأن يحيا ويؤمن ويحب . وأكثر من ذلك أنه هو يعود فيسأل بدوره دهشاً : كيف يجرؤ العلم أن يحاول أن يسلب منه أنيته ؟

مكتبتنا العربية

وأما ثانى هذين المفكرين فهو « اشلاييرماكير » "Schleiermacher" (١) الألمانى الذى سطع نجمه فى أوائل القرن التاسع عشر والذى ثبت ذلك المبدأ الرومانتيكى فى قلب الدين وإن كان فى صورة أقرب إلى ما بعد الطبيعة منها إلى الأسلوب الأدبى الذى انتحاه « شاتوبريان » . وهاك مجمل آرائه مرسومة فى عباراته .

ليس فى مكنة العقل ولا الإرادة نقلنا إلى المنطقة الدينية لأن الدين ليس نوعاً من المعرفة الموضوعية ، ولا لوناً من القواعد الخلقية المقررة ، وإنما هو حياة ومران . ولهذه الحياة منبعها الخاص فى أعمق جانب من جوانب كينونتنا وهو العاطفة . وليس من الممكن الاتجاه إلى الدين صدوراً عن المعرفة بالدين ، وبعبارة أوضح لا يمكن اتخاذ معرفة الدين أساساً للتدين ، لأن الدين أمر أولى ينطق به الشعور بادىء ذى بدء . ولأن المرء إذ يشعر بديا بالافعال الدينى هو يئى بالبحث عن وسيلة يشرح بها دخيلة نفسه ، وينقب عن برهان يبرر به الشعور أمام عقله ، ثم هو لا يكتفى بذلك ، بل يحاول أن يوضح طبيعة حالته النفسية وأسبابها .

وهكذا ينتهى به بحثه وتأمله إلى العثور على ضالته المنشودة ، وهى شعوره بالعلاقة المطلقة التى تصل المخلوق بالخالق وليست الحياة الدينية شيئاً آخر سوى إنماء هذا الشعور وإشعاعه ، إذ هو الذى يثير الأفراد بهيئة لا يستطيعها العلم ولا تظهر بها الأخلاق . وهذا الشعور لا يمكن شرحه بوساطة الفكر ، ولكن عن طريق الرموز التى هى وحدها القديرة على تقديم ذلك الشرح إلى الوجدان والتى تجعل نقل بيان الانفعالات الدينية إلى الغير أمراً ممكناً .

على أن العلم نفسه لا يستطيع أن يضع أية عقبة فى سبيل خلق الرموز الدينية المختلفة ولا فى سبيل قبولها واعتناقها .

ومجمل القول عند « إشلاييرماكير » هو أن الموجود أسمى من المعرفة وقبلها ، وأن حياة النفس والعاطفة هى أسمى الحقائق ، وأن كل ما يوجد من مظاهر هذه الحياة الروحية من قواعد وطقوس وتعبيرات وكائنات ومادة ليس له من قيمة إلا بمقدار ما يكون رمزاً لتلك الحقيقة التى هى أسمى من كل تعقل .

---

(١) هو أحد الفلاسفة اللاهوتيين الألمان ، وقد ولد فى بريسلو سنة ١٧٦٨ وتوفى فى سنة ١٨٣٤

مكتبتنا العربية

بان من كل هذا أن العلائق بين العلم والدين كانت - فى النصف الأول من القرن التاسع عشر - إيضاحاً لثنائية كاملة ، فكل من العلم والدين كان مستقلا عن الآخر فى أهم النقط التى تميز كلا منهما على حدة ، فكان العلم يبسط سلطانه على العقل ، بينما يختص الدين العاطفة بخطوته ، وبفضل هذا الاستقلال فى السلطان ، كان من الممكن وجودهما فى وجدان واحد دون منازعة ولا عداء ، بل قل إنهما كانا على وئام . وعن طريق هذا الوئام نفسه كان لكل منهما جميع أنواع الأمن والاطمئنان والسلام والحرية .

بيد أن هذه الهدنة فى الواقع لم تدم إلى منتصف القرن التاسع عشر ، إذ أن مواجهات جديدة لم تلبث أن نشأت بين العلم والدين ، فكان من نتائجها تلك المعارك الحامية الوطيس التى سنراها فيما بعد .

الدكتور محمد غلاب

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

من نثر شوقى

الوقت آلة الرزق إذا استعمل ، وآفة الرزق إذا أهمل ثقة العاطفة شهر ، وثقة العقل دهر .

من أخل بنفسه فى السر ، أخلت به فى العلانية ، يستريح النائم من قيود الحياة ، كما يتروح السجين ساعة فى فناء السجن الفضائل حلائل ، والرذائل خلائل .

فى الغمر تستوى الأعماق

الصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الجماعات .

العاقل من ذكر الموت ولم ينس الحياة .

مكتبتنا العربية

التعبير في الفن

ينبغي أن تعتمد نظريات النقد السليمة على دعامتين هما التقويم والتعبير . ونحن قد لا نستبين الطريقة التي تتخذ بها تجاربنا القالب الذي تصاغ فيه ، فإننا كائنات اجتماعية درجت على التعبير عما يخالجها منذ نشأتها . إلا أنه من الحقائق المعروفة ، أننا نصل إلى كثير من طرق تفكيرنا وشعورنا ، بالوراثة عن آبائنا وأجدادنا . فالتعبير عن هذه الأفكار والمشاعر أبعد غوراً ، وأوغل قدما مما قد يتراءى لنا في كثير من الأحايين . والعقل البشري نفسه ، قد اكتسب تركيبه الخاص ، بحيث يتلاءم مع عملية التعبير التي شغلت الإنسان منذ مئات الآلاف من السنين التي مرت عليه خلال تطوره ، بل وقبل ذلك بكثير . بل إن كثيراً من السمات التي تميز عقلنا البشري ، تعود إلى وظيفته كآلة نستخدمها في التعبير ...

أما تجاربنا التي تصادفنا في حياتنا ، فلا بد لها أن تتشكل قبل أن نعبر عنها ، بل إنها لتصاغ في القالب الذهني الذي نستطيع به التعبير عنها . وقد كانت قدرة الإنسان على التعبير عن أغراضه ، والإفصاح عن مراميه ، في مقدمة الأمور التي استغرقت مرحلة طويلة من مراحل الانتخاب الطبيعي .

والفنون هي أسمى قالب يمكن أن ينصرف إليه نشاطنا الفكري ، وقدرتنا التعبيرية . وعلى هذا الضوء يتضح لنا كثير من الأمور المعقدة الغامضة التي قد تثار حول التراكيب والقوالب الفنية ، والتي منها سبق الشكل والقالب على الفكرة والموضوع ، ومنها أيضاً الموضوعية ، وإقصاء المؤثرات الذاتية ، مما يدعو إليه ويلح فيه علماء الجمال في الطبيعة والفن . بيد أنه ينبغي لنا اصطناع كثير من الحذر في نظرتنا للفنان ، فهو قوة معبرة ، قلما ترى نفسها في هذا الضوء . فهو حين يأخذ في إبراز تجاربه الذهنية ، لا يلقي إلى جهوده التعبيرية بالا ، ولا يحفل بها قصداً ؛ وحين نسأله عن نتاجه الفكري ، نجده يراه شيئا جميلا في ذاته ، يضفي على نفسه الشعور بالبهجة والارتياح ، ويعبر عما يخالجها من أحاسيس عميقة وعواطف مشبوبة . أما أن نتاجه سوف يقرأ ، ويتلقى منه الكثيرون ما يختلط به من

مكتبتنا العربية

تجارب ، وما يداخله من مران ، فكل هذه أمور عرضية ، ومسائل فرعية ، لا تعنيه ولا تدخل فى حسابه .

فالفنان لا يتجه قصدا لإتقان التعبير ، بقدر اتجاهه مثلا إلى بلوغ الكمال فى إبراز قصيدته ، أو مسرحيته ، أو تمثاله ، أو لوحته الفنية ، أو غيرها من نتاج فكرى ، يسعى إلى تصويره فى الصورة التى ترتاح إليها نفسه . وهو يرمى إلى تجسيم زاده الفكرى ، ومعينه الذهنى ، وجعل نتاجه مطابقا لتجاربه ، ومتفقا مع مرانه كل الاتفاق ، مما يضفى عليه روعة فنية ، قد يغض منها كثيرا توجيه اهتمامه وعنايته للتعبير وحده ، وليس فى وسع الفنان أن يتريث ليتدبر رأى الجمهور القارىء ، أو الطبقات المثقفة منه خاصة ، فى نتاجه الفكرى ، وهل يقبل عليه ، أو يعرض عنه . وهو يصيب وينهج النهج القويم حين يبتعد بفنه عن هذه الاعتبارات جميعا . فكثيرا ما أدى تركيز انتباه الأديب أو الفنان فى إتقان التعبير ، وفى توجيه نتاجه الفكرى لجمهور قارىء (ونستثنى من ذلك قلة نادرة من الفنانين كان شكسبير مثلا إماما لهم) إلى التهوين من شأنه والغض من نتاجه الفكرى .

ولسنا نبغى بتجاهل الفنان للعنصر التعبيرى الذى ينقل فكرته للقارىء ، لسنا نبغى بذلك أن نهون من قيمته وأهميته ، فإن الجهد الذى يبذله الفنان فى إخراج نتاجه الفكرى سليما متقنا لا بد أن ينتهى به ، فى تضاعيف الطريقة التى يسلكها ، إلى إبراز الجلال الذى ننشده للفن فى مظهريه الفكرة والقالب . بل إننا نستطيع القول مطمئنين ، إن الفنان حين يقصد إلى إبراز ما يخالجه من مشاعر وأفكار ، وحين ينصرف عن العناية بالصورة والاحتفال بها ، فإن تلك الصورة نفسها تكون أروع وأبهى منها ، لو أنه أنفق جل وقته وفكره فى إتقانها وحدها . ذلك أن مقياس الجمال والجلال فى النتاج الفنى ، وبالتالى تأثيره فى القراء ، إنما يكون بقدر ما يشتمل عليه من التوافق والإنسجام بينه وبين ما يعبر عنه الفنان من تجارب ومران .

ولكن الفنان ، مهما بالغ فى الابتعاد عن توجيه نتاجه الفكرى لجمهور قارىء ، ومهما أنكر رغبته فى إثارة غرائز الناس ، والتأثير فيهم بما ينقله إليهم من تجارب ، فإنه لن يجد فى الواقع دليلا واحدا يصرفنا عن النظر للتعبير والنقل للقراء ، كهدف من أهم أهدافه غير المباشرة ، وغاية من أسمى الغايات التى تنتهى إليها مراهبه

مكتبتنا العربية

ولطالما أساء النقاد ، وعلماء الأخلاق ، ورجال التربية ، وعلماء الجمال ، إلى حد بعيد ، فهم الفن ، واستيعاب الدور الذى يمثله بين كافة ألوان النشاط الذهنى للإنسان وليس من اليسير تفسير المدى الذى ذهب إليه كل هؤلاء حين أخطأوا فهم الفن ومراميه ، فمنهم من أرهفت أذواقهم ، ودقت ملكاتهم ، واكتملت مواهب الاستجابة لديهم ، بيد أنهم بلغوا فى إساءة فهم الفن ومراميه مبلغاً كبيرا ؛ ومنهم من يعرف ماهية الفن ، وما ينبغى نحوه ، وهؤلاء جلهم من بين أهل الفن أنفسهم ، غير أنهم أعرضوا عن تفسيره تفسيراً واضحاً جلياً ، وربما وجده الكثيرون منهم شيئاً بالغاً فى الوضوح والجلاء ، ومن ثم لم يكن فى نظرهم ، فى حاجة إلى مزيد من الإيضاح . أما من حاول منهم القيام بتلك المهمة ، فقد خانته اللغة ولم يسعفه التعبير . ولا مراء فى أن العقبة العسيرة التى حالت دائما دون تفسير ألوان الفن واستيعابها ، إنما كانت تكمن دائما فى اللغة والتعبير .

وفى الواقع ، إننا لم نكن يوما ما فى حاجة إلى فهم الفن ، واستيعاب أثره فى حياتنا ، بقدر حاجتنا لذلك فى الوقت الحاضر ... وربما أخذت تلك الحاجة فى الازدياد كلما تقدم بنا الزمن .

وليست الفنون سوى وعاء يودع فيه أهلها أسمى تجاربهم ، وأجدرها بالتسجيل . فهى ثمرات تنضج فى أثمن اللحظات من حياة أشخاص ممتازين حين تبلغ سيطرتهم على تجاربهم ، وقدرتهم على توجيهها ، مبلغاً كبيرا ، يعينهم على تمحيص الحياة ، والغوص إلى مكنونها ، وكشف أسرارها والنفاذ إلى أعماقها .

ونحن قد نستطيع نقل تجاربنا البسيطة التافهة ، دون الاستعانة بتلك الأدوات الذهنية الرفيعة ، أما التجارب الدقيقة الخفية الغامضة ، فهى تبدو للكثيرين منا بعيدة عن الوصف عصية على التعبير والنقل ؛ إذ أنها لا تخضع لغير الفن ، الذى تجرى فى قنواته طبيعة مواتية ، ولا تلين إلا للفنان . الذى يلهو بها كما يلهو الساحر ببضاعته أمام الناس ، فيملك عليهم لبهم ويسلب عقولهم ، ويشغل أسماعهم وأبصارهم .

حمزه محمد الشيخ
ليسانسيه فى الآداب ودبلوم فى الصحافة
من جامعة القاهرة

مكتبتنا العربية

العلم.. بين الاساتذة والطلاب

فى هذه الفترة بين عام دراسى أوشك أن ينقضى ، وبين عام جديد يستقبله المدرسون والطلبة بعد أشهر الاستجمام ، رأيت أن أتحدث إلى إخوانى مدرسى المعاهد وأبنائهم الطلبة بما ينبغى للفريقين أن يطيلوا التأمل فيه عندما يفرغون من فترة الاستجمام ، استعداداً لاستئناف عهد جديد فى الحياة الدراسية .

إن أجمل ما فهمه المسلمون من معانى « العلم » قول أبى حامد الغزالى فيه : إنه عبادة القلب ، وصلاة السر ، وقربة الباطن إلى الله ، وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر من الأحداث والأخباث ، فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته من خبائث الأخلاق .

وهذا الفهم الجميل لمعنى العلم فى الإسلام إذا كان ينبغى لمدرسى المعاهد الأزهرية وطلبتها أن يجعلوه دستوراً لهم فى حياتهم الدراسية فى جميع المعاهد ، فإن أولى ما ينبغى لهم أن يتخذوه دستوراً فى هذا العهد الذى أخذ يتجدد فيه نظر الأمة إلى جميع أوضاعها استعداداً لاستئناف حياة سعيدة مباركة النتائج ويانعة الثمرات إن شاء الله .

من المأثور على رسول الرحمة ﷺ أنه كان يقول لأصحابه - وهم الطبقة الأولى من طبقة العلم فى تاريخ الإسلام - : إنما أنا لكم مثل الوالد لولده

وإن المدرس فى المعاهد الإسلامية ينبغى له أن يستقبل سنته الدراسية المقبلة بهذه الروح العالية وبهذا الأدب الإسلامى الرحيم ، فيكون لطلبته مثل الوالد مع الولد ، روى الذين دونوا ترجمة الإمام الفاتح أسد بن الفرات أنه لما كان يأخذ العلم عن الإمام محمد بن الحسن الشيبانى تلميذ الإمام أبى حنيفة ، كان الإمام محمد بن الحسن إذا رأى تلميذه أسد بن الفرات غلب عليه النوم وهو يسهر فى تلقى العلم عنه نضح على وجهه رشاشا من الماء ليجدد له نشاطه شفقة منه عليه ورغبة منه فى أن ينهض إلى مستوى الإمامة فى العلم . ولولا أن محمد بن الحسن

مكتبتنا العربية

تأدب بأدب الإسلام وعمل بالمبدأ المحمدى فى أن يكون لتلميذه كما يكون الوالد لولده لانتهز فرصة غلبة النوم على تلميذه وأرجأ الدرس إلى الليلة الثانية ، هذا مع ما نعلمه من مقام الإمام محمد بن الحسن فى الدولة وكثرة أعماله العلمية ، لكنه لما كان يعلم أن من أدب الإسلام أن يكون التلميذ من أستاذه بمنزلة الولد من الوالد التزم مع أسد بن الفرات هذا الأدب الرحيم ، وكان من نتيجة نبوغ أسد بن الفرات وقيامه للملة الإسلامية بما لا يقوم بمثله إلا أفذاذ النوابغ من صفوة البشر .

وهذا الشيخ ابن التلمسانى أحد كبار علماء شمال أفريقيا سأله السلطان عن مسألة فقال : « إن تلميذى فلانا يحسن الجواب عنها ، فوجه السلطان السؤال إلى تلميذ ابن التلمسانى ، فأحسن الجواب ، فأجازه وأحسن منزلته ، وكان ابن التلمسانى أعلم من تلميذه فيما سأله عنه السلطان لكنه لاعتباره تلميذه بمنزلة ولده أراد أن ينوه به فى حضرة السلطان كما لو كان ولده حقا.

والطلبة فى دستور الإسلام عرفوا كيف يقابلون هذا العطف الأبوى من أساتذتهم بما يكافئه من حرمة ومحبة وإجلال . ومن أقدم الأمثلة على ذلك ما رواه الشعبى أن زيد بن ثابت صلى على جنازة ، ثم قربت إليه بغلته ليركبها ، فبادر إليه عبدالله بن عباس فأخذ بزمام البغلة ليساعده على الركوب ، فقال له زيد : خل عنه يابن عم رسول الله ، فأجابه ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقد حافظ ذرية ابن عباس على هذا الأدب من التلاميذ نحو أساتذتهم بعد أن صار بنو العباس ملوك الدنيا ، فقد نقل برهان الإسلام الزرنوجى فى كتاب تعليم المتعلم ، وهذا الكتاب ترجمة رولاند إلى اللغة اللاتينية وطبعه فى مدينة أوتراخت بألمانيا قبل نحو مائتين وخمسين سنة ، أن أمير المؤمنين هارون الرشيد بعث ابنه إلى الأصمعى ليعلمه العلم والأدب ، فرآه يوماً يتوضأ وابن الخليفة يصب الماء على رجله فعتب الخليفة على الأصمعى لأنه لم يأمره بأن يصب الماء بإحدى يديه ويغسل رجل أستاذه باليد الأخرى ، ورأى أن تقصير ابنه فى ذلك تقصير فى أدب التلميذ مع أستاذه .

وروى الزرنوجى فى هذا الكتاب أيضاً عن شيخه برهان الدين صاحب الهداية أن أحد كبار أئمة بخارى وهو فى حلقة درسه فى المسجد رأى ابن أستاذه يمر أمام باب المسجد فقام له تعظيما لحق أستاذه .

مكتبتنا العربية

وقد علمنا من سيرة ابن خلدون أنه لما رزىء بوفاة كبار شيوخه (وكان منهم قاضى القضاة محمد بن عبد السلام والرئيس أبو محمد الحضرمى والعلامة محمد بن ابراهيم الآبلى) ضاق به وطنه فترك مقامه الوجيه الذى وصل إليه فى قصر الإمارة ورحل عن تونس إلى الجزائر والمغرب الأقصى ، لأن مقام أساتذته كان فى نفسه فوق كل مقام .

وهذه المحبة الصحيحة التى يكنها التلميذ لأستاذه هى التى حملت العالم أحمد بن القاضى على أن يقول فى شيخه المنجورى : «وصارت الدنيا تصغر بين عينى ، كلما ذكرت أكل التراب لسانه ، والدود لبنانه » .

ومن ذلك قول ابن عرفة :ـ

إذا لم يكن فى مجلس الدرس نكتة وإيضاح أشكال بأحسن صورة

الأبيات . فيجيبه تلميذه الآبى بقوله :

يميناً بمن أولاك فى العلم رتبة وزان بك الدنيا بأحسن زينة

لمجلسك الأعلى كفيل بكلها على حينما عنه المجالس ولت

ووقت خروج جنازة أستاذنا الشيخ عمر بن الشيخ من منزله ليصلى عليها فى جامع الزيتونة ذكرت خروجه منه لدرس كتاب الموافقات والشيوخ ينتظرونه بموضع الدرس ، وذكرت قول أحد الأساتذة فى قصيدة القاها عند ختم الكتاب :

إذا عمر بن الشيخ وافى لدرسه تعال التقت دار بملء جفان

ففاضت عيناى بالدموع .

إن هذا الأدب الإسلامى الذى جعل من الطلبة أبناء للأساتذة كفلذات أكبادهم ، وجعل من الأساتذة آباء لتلاميذهم ، يعطفون عليهم أكثر من عطف الآباء على أبنائهم ، هو الأدب اللائق بنا أن نرجع اليه لنجدد فى تاريخنا عهداً سعيداً ، فننعم به ونسعد بنعمته ، والطلبة الذين يكتسبون من دراستهم مثل هذا الأدب ينالون به من السعادة أضعاف ما ينالون به من دراسة العلم مهما تقدموا فيه .

مكتبتنا العربية

١٢٤٢٠

الختـــــــــان

نريد عرض بعض المشكلات الجنسية التى تهم الشباب والتى لها وانوجيها الوجهة الطبية أثر حسن ، ولكن يمنعنا الحياء لأننا لم نعتد عرض هذه المشكلات على صفحات الصحف والمجلات ، وإن كنا قد اعتدنا معالجتها فى الكتب . وقد كدنا نساير هذا الحياء فينا ونمشى على مقتضاه لو لا إلحاح بعض القراء فى أن نعالج هذه المشكلات ، وقد رأينا الحاجة ماسة والفائدة مرجوة ، وقـــد استشرنا الدين فرأيناه يقول لا حياء فى الدين ، ورأينا من نساء الصحابة من تسأل النبى ﷺ عن أمور قد يستحي منها ، عن خولة بنت حكيم أنها سألت النبى ﷺ عن المرأة تحتلم فى منامها ، فقال إذا رأت الماء فلتغتسل .

فاعتزمنا أن نعرض هـــذه المشكلات : كالعادة السرية وموقف الدين منها ، وكالختان فى الذكر والأنثى وموقف الدين والعلم منها ، وسنبدأ بالكلام على الختان .

الختان فى التاريخ :

قال هيرودت المؤرخ اليونانى القديم إن الختان معروف منذ زمن بعيد فى مصر والحبشة ومنه يعلم أن المصريين والحبشة كانوا يمارسون الختان منذ زمن متقدم ، ويقال إن السوريين والفينيقيين أخذوا عادة الختان عن قدماء المصريين .

وفى سفر التكوين الإصحاح السابع عشر الآية التاسعة وما بعدها إلى الآية الرابعة عشرة : أن الله فرضه على إبراهيم وعلى جميع ذريته وجعله علامة الاتفاق والعهد بينه وبينهم .

وهو مذكور أيضاً فى قوانين موسى سفر اللاويين الإصحاح الثانى عشر الآية الثالثة وسفر الخروج الثانى عشر الآية ٤٥ و ٤٨ ، وقد حرص عليه اليهود فهم يختنون أطفالهم الذكور فى اليوم الثامن بعد ميلادهم .

وكان الختان متبعا فى أول عهود المسيحية ثم نبذه الرسل ولم تأخذ به الكنيسة فلم يبق إلا فى الحبشة .

وللختان عند اليهود قيمة رمزية إذ أنه عبارة عن عهد مبرم بين الله وإسرائيل يزكيه الدم ، وهو تعبير عن طهارة النفس ، وكان أنبياء اسرائيل يسمونه طهارة القلب ، ووجد الرحالون عادة الختان متبعة فى جميع أنحاء إفريقية السوداء ، ويظهر أن شعوب الأزتيكيين فى أمريكا القديمة كانوا يعرفونها ، كما أنها مألوفة بين الشعوب الأسترالية الأصلية .

مكتبتنا العربية

والمسلمون يؤدون عملية الختان بناء عن أمر الرسول بها ، وهم يختتنون فى سن الثامنة وما بعدها من العمر .

والختان فوائد صحية وهو وقاية من أمراض تنشأ عن الالتهاب الجلدى .

والخفاض وختان الانثى ، غير منتشر انتشار ختان الذكور ، وهو معروف بين الساميين والحاميين فى جنوب غرب آسيا وفى إفريقية ، وبين الزنوج فى جنوب إفريقية وشرقها ، وفى غرب السودان ، وعند قبائل أخرى ممن تسمى بالشعوب البدائية فى وسط إفريقيا وفى أستراليا وفى أمريكا ، ويلاحظ أن الآلات التى تستعمل فى الخفاض عند هذه الشعوب الأخيرة هى آلات بدائية مما يدل على أن هذه العادة ترجع إلى أقدم العصور .

الختان عند المسلمين :

هو قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص ، قال الماوردى ختان الذكر قطع الجلدة التى تغطى الحشفة والمستحب أن تستوعب من أصلها عند أول الحشفة وأقل ما يجزىء ألا يبقى منها ما يتغشى به ، وقال إمام الحرمين المستحق فى الرجال قطع القلفة وهى الجلدة التى تغطى الحشفة حتى لا يبقى من الجلدة شىء يتدلى ، ونقل عن الرافعى أنه يتأدى الواجب بقطع شىء مما فوق الحشفة وإن قل ، بشرط أن يستوعب القطع تدوير رأسها ، قال النووى وهو شاذ والأول هو المعتمد ، والمستحق من ختان المرأة ما ينطلق عليه الإسم ، وقال الماوردى ختانها قطع جلدة تكون فى أعلى فرجها كالنواة أو كعرف الديك ، ويطلب ألا تستأصل .

مذاهب فقهاء الإسلام فى الختان وأولهم :

وأقوال علماء الفقه فى الختان ثلاثة : الأول أنه واجب فى حق الرجال والنساء ، والثانى أنه سنة فيهما ، والثالث أنه واجب فى الرجال دون النساء . حجة أصحاب القول الأول قوله ﷺ من أسلم فليختتن ، وقوله لأم عطية ، وكانت خافضة أشمى : ولا تنهكى ، وقوله ﷺ : يا نساء الأنصار اختضبن غمسا واختفضن ولا تنهكن وإياكن وكفران النعم .

وهذه الأحاديث طعن فى رجالها حتى قال ابن المنذر : ليس فى الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع [1] وحجة أصحاب القول الثانى قوله صلى الله عليه وسلم : الختان سنة فى الرجال

(١) وممن ذكر أحاديث الختان ونقد العلماء لها الامام محمد بن على الشوكانى فى نيل الاوطار شرح منتقى الأخبار ج ١ ص ١١٢ و ١١٣

مكتبتنا العربية

مكرمة فى النساء ، وقد طعن أيضا فى رجاله ومع كونه لا يحتج به ليس فيه ما يدل على المطلوب لأن السنة فى لسان الشارع أعم من السنة فى اصطلاح الاصوليين ، والحق أنه لم يقم دليل صحيح يدل على الوجوب فى النساء .

وخفاض المرأة موضوع يبحث فيه العالم الشرعى لبيان حكمه فى الشرع ، والعالم بوظائف الاعضاء ليبين وظيفة هذا العضو الذى يقع عليه الخفاض والعالم الاجتماعى ليبين آثار الخفاض الاجتماعية : أهى آثار حسنة أم آثار سيئة .

وعلم وظائف الأعضاء يرى أن هذا العضو حساس وأنه معين على إتمام عملية التخصيب ، وأن قطعه وإنهاكه يبعد الشهوة ، واتمام العملية من المرأة الذى به تتم عملية الإخصاب ، ومن ذلك يرى بعض علماء الاجتماع أن الخفاض سبب فى انتشار المخدرات فى البلاد التى تزاوله ومنها مصر لأن الزوج يجد شهوته أقرب من شهوتها ، وأنه ينهى قبل انتهائها ، ويشعر أن هذا يجعل العملية ناقصة تسبب ألما للزوجة وذلك يدعو إلى بغضها فيريد أن يكمل هذا النقص فيه ويجعل موافاة الشهوتين على قدره فيستعين ببعض العقاقير التى شاع خطأ أنها تبطىء موافاة الماء من الرجل وذلك الحشيش والأفيون والمعاجين التى يدخلان فى عناصرها ويزيدون فيقولون :

إذا أريد القضاء على آفة استعمال الحشيش والأفيون والمواد المخدرة فينبغى القضاء على أسبابها وهو خفاض المرأة لتكون المرأة طبيعية ويكون الرجل طبيعياً فلا يحتاج إلى هذه المواد كعنصر مساعد .

وأن على العالم الشرعى بعد ذلك أن يبحث فى نصوص الشرع ويرى هل هذه النصوص ملزمة حتما للخفاض فلا مندوحة عنه ، أم ليست كذلك ففيه مندوحة عنه . قد علمنا أقوال الفقهاء وأقوال رجال العلم فى ختان المرأة ، وعلمنا أن من الفقهاء من قال بأنه مكرمة وليس بواجب ومنهم من قال ليس فى الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع .

والعلم يرى أنه يضر بالحياة الزوجية ويؤدى إلى انتشار المخدرات بين الرجال ، فإذا ثبت كل ذلك فأمره سهل جداً فليس على من لم تختتن من النساء من بأس ومن اختتنت فيجب ألا ينهك هذا العضو منها ، وإذا منع فى مصر كما منع فى بعض البلاد الإسلامية كتركيا وبلاد المغرب فلا بأس ، والله الموفق للصواب .

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

في رحاب الفن :

الفكاهة في الأدب العربي

إن الضحك خلة إنسانية ، ولذا قال بعض الفلاسفة في تعريف الإنسان : إنه حيوان ضاحك ، كما قال البعض الآخر : إنه حيوان ناطق .

وذلك لأن الضحك ظاهرة تفرد بها دون سائر الحيوان .

أما قهقهة القرد فليست من الضحك إلا في الصورة والصوت ، والببغاء قد تحاكي الإنسان الضاحك كما تحاكي الإنسان المتكلم .

ولكنها جميعاً أصداء وأصوات ليس لها من التميز المنطق نصيب .

فالضحك ظاهرة نفسية يعبر بها الضاحك عن حالة عقلية ولكن لماذا يضحك الضاحك ؟ .

لقد بحث كثير من الفلاسفة وعلماء النفس في هذه الظاهرة ، واختلفت آراؤهم في تعليلها .

ففريق يرى أن الضحك حركة جسدية أو عملية جثمانية تنشأ من تحول الإحساس فجأة من الأعصاب إلى العضلات . فإن من المقرر في علم النفس أن التأثر إذا اشتد وألحف على الأعصاب تجاوزها إلى العضلات فظهر عليها في حركة عنيفة أو رفيقة على حسب قوته واشتداده .

فإذا حبس التأثر أو الانفعال في طريقه فجأة . تحول بغير إرادتنا من الأعصاب إلى أسهل العضلات حركة وأسرعها تأثراً وهي عضلات الوجه والشفتين ثم عضلات العنق والرئتين فتتحرك بالابتسام أو بالضحك أو بالقهقهة ، أو بالوقوف والاختلاج عند من يغلبه الضحك وتهتز له عضلات الجسم كله .

والدليل على ذلك عند أصحاب هذا الرأي هو أننا نضحك إذا غلبنا التأثر وتحول من العصب إلى العضل أيا كان الموحى به والباعث عليه ، فنضحك من الغيظ والألم ، ونضحك الضحكة الهستيرية التي يفرج بها المكروب عن أعصابه المكظومة كأنما يخفف عنها بنقل شيء من ضغط الاحساس عليها إلى العضلات .

مكتبتنا العربية

والفكاهة تضحكنا لأنها تفاجىء التفكير بحالة غير مرتقبة وتعجله عن انتظار النتيجة فى طريقها الممهد المألوف .

ومن أصحاب هذا الرأى (هربرت سبنسر) وهو من فلاسفة القرن التاسع عشر .

فى كل نكتة أو فكاهة ، شىء من هذا التحول ، ولذلك تعد النكتة أو الفكاهة باردة إذا لم تكن محكمة التلفيق ، متفقة التزييف ، بحيث تهجم على الاحساس هجوما وتفاجىء الذهن مفاجأة .

وهناك مذهب يقول : إن علة الضحك فى الفكاهة هى اختلال فى القياس أو الاطراد على نسق واحد لا يوجب الاطراد . فالفكاهة إنما تنتج من الحقائق المتباعدة والصور المتنائية كقول ابن الرومى فى رجل اصلع :

يأخذ أعلى الوجه من رأسه أخذ نهارا الصيف من ليله

فقد ألف بين صورتين متباعدتين ، وهما أن صلع الرجل جعل وجهه مغيراً على رأسه آخذاً منه كما أن نزايد نهار الصيف يجىء من تناقص ليله .

والضحك فى رأى (مكدوجل) هو وسيلة ابتكرتها الطبيعة لتنشىء ما يشبه التوازن فى نفسية الإنسان ، فهو مضطر بحكم اجتماعه بسائر الأفراد ، وبحكم ما غرز فى جبلته من ميل نحو مشاركة الغير فى همومه وأحزانه أن يحمل كثيراً من مصائب الناس . ولو كلفه المجتمع من هذا العبء ما يكلفه دون أن يحد منه أو ييسر عليه حمله ، لفدحه ذلك العبء وبهظه .

فكان حتما إذن أن نضحك من غيرنا فى المصائب الصغرى لنحزن معهم فى الكوارث الكبرى .

فإذا خدش القط إصبع الطفل ثار منا الضحك ، أما إذا عضه كلب فهشم أصابعه فإنه يتحرك فى نفوسنا الحزن والأسف .

وإذا أصيب رجل فى وجهه برذاذ من الوحل ضحكنا ، أما إذا أصابته شظايا قنبلة فعرضته للخطر حزنا وأسفنا .

ولعل هذا هو السر فى قوله تعالى ممتنا على خلقه ، مذكرا لهم بفضله ومقدرته « وإنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا » .

يقول الجاحظ فى كتابه البخلاء تعليقا على هذه الآية :

مكتبتنا العربية

فوضع الضحك بازاء الحياة ، ووضع البكاء بازاء الموت ، والله لا يضيف إلى نفسه القبيح ولا يمن على خلقه بالنقص .

والرأى عندى أنه ليس للضحك علة واحدة أو سبب واحد ، فالتماس علة واحدة لجميع الضحك خطأ لا يؤدى إلى رأى صائب . لأن الضحك وإن كان اسمه واحدا إلا أنه ليس بظاهرة واحدة حتى يكون له سبب واحد .

اما الأهداف التى تستعمل لها الفكاهة أو الضحك فكثيرة ، منها :

أولا : أن الفكاهة وسيلة يهون بها الإنسان على نفسه عبء الحاضر كما يدرؤه بالنسيان كوارث الماضى ويستعين بالأمل المشرق على ظلمة الغيب المجهول . وليس الإنسان منصرف ولا محيد عن هذه السبل الثلاثة يخفف بها عنف الزمان وقسوة الحدثان . فلولا نعمة النسيان لازدحمت الذاكرة بفوادح الماضى حتى تنوء بحملها . ولولا الأمل لاجتمعت مخاوف المستقبل فيرتد أمامها الإنسان جازعاً فازعاً . ولولا الضحك نواجه به الحاضر لكان لنا من حادثاته ما ينقض ظهورنا ويهد كياننا .

ثانياً : أن الفكاهة أداة اصطنعها المجتمع لتأديب أفراده ، فقد تواضع الناس فى كل جماعة على لون من السلوك لا يجوز للفرد أن يخرج عليه إلا إذا أراد أن يضع نفسه موضع الضحك المتصل ، والفكاهة اللاذعة حتى يرتد إلى حظيرة المجتمع .

فالضحك أو الفكاهة فى هذه الحالة سوط من أسواط التأديب ووسيلة من وسائل الإصلاح .

أنظر إلى قول المتنبى فى رجلين قتلا جرذاً وأبرزاه ليعجب الناس من كبره .

وأيكما كان من خلفه فإن به عضة فى الذنب

فهذه صورة فكهة مضحكة فى هذا البيت : صورة شجار بين رجلين وبين جرذ ، فادعى الشاعر ـ ليسخر منهما ويستهزىء من فخرهما ـ أن أحدهما قد عض الجرذ فى ذنبه .

وهنا تختلط الفكاهة بالسخرية ، فينبغى أن نفرق بينهما .

السخرية من العقل ، والفكاهة من القلب ، فالساخر ينال غيره والفكه قد ينال نفسه .

والساخر يترفع ، والفكه يتساوى ويتنزل ، فالسخر من الارستوقراطية ، والفكاهة من الديموقراطية .

مكتبتنا العربية

وأكثر السخرية سيء خبيث ، وأكثر الفكاهة ودود لطيف .

والسخر يطعن ، والفكاهة تصدم .

على أن من السخرية ما هو رفيق لين يمازجه العطف ويخالطه الرفق وفيه ضحك ، وربما يستخدم فى الأغراض التى تستخدم فيها الفكاهة .

الهدف الثالث من الفكاهة هو أنها تستخدم لونا من ألوان الحجة ، وضربا من ضروب البرهان ، وطريقا من طرق الاقناع . وأوضح مثل لذلك الجاحظ فى كتاباته ، فكان يخلط الحقيقة الجافة بالفكاهة الحلوة ، والجد المسئم بالضحك المؤنس ، والبرهان المقنع بالنهكم الموجع .

لقد توفرت لديه كل أركان الفكاهة السائغة ، والدعابة المسكتة من قصر فى القامة وجحوظ فى العينين ، وسواد فى الوجه ، ودمامة فى الخلقة ، وبشاعة فى المنظر .

وقديما اشتهر بشار بالدعابة المسكتة ، والفكاهة والنكتة اللاذعة المحرجة .

روى صاحب الأغانى عن بعض الكوفيين يقول :

مررت ببشار وهو منبطح على الأرض كأنه جاموسة فقلت له يا أبامعاذ من القائل :

فى حلتى جسم فتى ناحل لو هبت الريح به طاحا

قال : أنا .

قلت فما حملك على هذا الكذب ؟ والله إنى لأرى أن لو بعث الله الرياح التى أهلك بها الأمم الخالية ما حركتك من موضعك .

فقال بشار : من أين أنت ؟

قلت : من أهل الكوفة .

فقال : يا أهل الكوفة ، لا تدعون ثقلكم ومقتكم على كل حال .

دخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدى ، وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد - وكانت فيه غفلة - فقال له : يا شيخ ما صناعتك ؟ .

فقال بشار : أثقب اللؤلؤ .

مكتبتنا العربية

فضحك المهدى ثم قال لبشار : اعزب ويلك ، أتتنا در على خالى ؟ فقال له : وما أصنع به ؟ يرى شيخا أعمى ينشد الخليفة شعرا ثم يسأله عن صناعته .

أتى الجاحظ يوما ثقيل فقال له : قد سمعت أن لك ألف جواب مسكت ، فعلمنى منها . قال الجاحظ : نعم .

فقال له الثقيل : إذا قال لى شخص يا ثقيل الروح ، فأى شىء أقول له ؟ .

فقال له الجاحظ : قل له صدقت يا هذا ولم تكذب .

وقال الجاحظ مرة : ما أخجلنى أحد مثل امرأة رأيتها فى مدينة العسكر ببغداد ، وكانت طويلة القامة وكنت على طعام ، فأردت أن أمازحها فقلت : أنزلى كلى معنا . فقالت : أصعد أنت حتى ترى الدنيا .

والهدف الرابع من أهداف الفكاهة هو التظرف فحسب .

والهدف الخامس أنها قد تتخذ وسيلة لتحميلها خبيث الآراء وفاسد المعتقدات ، والتوارى وراءها لنشر الخطر من الآراء التى لا تبيح قوانين المجتمع نشرها . ففراراً من العقاب ونجاة من الأذى يلبسون الفكاهة تلك المذاهب ويحملون السكة تلك الآراء .

كما حكى الجاحظ عن الشرقى القطامى أن ابن أبى عتيق لقى عائشة رضى الله عنها على بغلة فقال : إلى أين يا أماه ؟

فقالت له : أصلح بين حيين تقاتلا .

فقال ابن أبى عتيق عزمت عليك إلا ما رجعت ، فما غسلنا أيدينا من يوم الجمل حتى نرجع إلى يوم البغلة .

فهذه حكاية أوردها الشرقى لغله ودغله على وجه النادرة لنحفظ ، ويضحك منها ويتعلق بها من غفل وقلت فطنته ، فيكون ذلك أنجع وأنفع لما أراد من التعرض لقدر أم المؤمنين رضى الله عنها .

ومثل هذه الفكاهات كثيرا ما تصدر من المتزندقين والملحدين والإباحيين الخارجين على قوانين الأخلاق وتقاليد المجتمع .

استأذن أبو العيناء يوما على الوزير صاعد بن مخلد ، فقال له الحاجب : الوزير مشغول فانتظر .

مكتبتنا العربية

فلما أبطأ أذنه قال للحاجب : ما يصنع الوزير ؟ قال يصلى . فقال صدقت ، لكل جديد لذة . يعيره بأنه حديث عهد بالإسلام ؛ والهدف السادس أن الفكاهة تتخذ وسيلة من وسائل الشفاعات والتوسط فى قضاء الحاجات لما يعقبها من سرور وما يكتنفها من خفة ومرح . فكم من ظريفة من الخطاب ومليحة من الجواب خلصت من الهلاك .

قال الأصمعى :

خرج الحجاج متصيدا فوقف على أعرابى يرعى إبلا وقد انقطع الحجاج عن أصحابه .

فقال : يا أعرابى ، كيف سيرة أميركم الحجاج ؟

فقال الأعرابى : غشوم ظلوم ، لا حياه الله ولا بياه .

قال الحجاج : فلو شكوتموه إلى أمير المؤمنين .

فقال الأعرابى : هو أظلم منه وأغشم ، عليه لعنة الله .

قال الأصمعى : فبينا هو كذلك إذ أحاطت بالحجاج جنوده ، فأومأ إلى الأعرابى فأخذ وحمل .

فلما صار معهم قال : من هذا ؟ قالوا : الأمير الحجاج .

فعلم الرجل أنه قد أحيط به ، فحرك دابته حتى صار بالقرب منه ، فناداه : أيها الأمير .

قال : ما تشاء يا أعرابى ؟

قال : أحب أن يكون السر الذى بينى وبينك مكتوما .

فضحك الحجاج وخلى سبيله .

ففكاهة الأمة مرآة تصور أخلاقها وأسرار مزاجها .

ولأهل مصر شهرة فائقة فى الفكاهات والدعابة لخفة فى الروح وظرف فى النفس وصفاء فى الطبع وبديهة فى الجواب .

كان للمرحوم الأستاذ عثمان لبيب الذى كان أستاذاً للرياضة بدار العلوم حمار يتنقل عليه فى دروب القاهرة وفى الذهاب للقيام بعمله ، فسرقه اللصوص .

فبلغ الخبر المرحوم الأستاذ محمود سلامه صاحب جريدة الواعظ ، فقال يرثى الحمار المسروق مداعباً مفاكها :

قف بسوق الحمير وانظر مليا هل ترى أدهما أغر المحيا

مكتبتنا العربية

خلسته يد اللصوص صباحا ... موكفاً ملجماً معداً مهيأ
فخلا اصطبله وأصبح قاعا ... صفصفاً خاوى العروش خليا
كان يا حسرتا عليه صبوراً ... قانع النفس راضياً مرضيا
كم ليال على الطوى قد طواها ... حامداً شاكراً ولم يشك شيا
لا لفقر وضيق عيش ولكن ... كان فى الزهد راغباً وتقيا
لو أتاح الإله للبهم رسلا ... كان فى أمة الحمير نبيا
ليت شعرى أين الأمان وهذا ... جحش عثمان قد عدمناه حيا
كان عونا له إذا رام ظلمنا ... وخليلا لدى المقام صفيا
كان ان قلت (هش) أجابك طوعا ... وإن قلت (حا) انتضى سمهريا
لك خير العزاء عثمان ، أما ... سالبوه فسوف يلقون غيا

عبد الوهاب محمودة
أستاذ الأدب العربى - كلية الآداب بجامعة فؤاد

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أول مدرسة للطب فى أوربا

أول مدرسة أنشئت للطب فى أوربا هى المدرسة التى أنشأها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر الأموى فى قرطبة .

وقد امتلأت الأندلس بالمدارس لجميع العلوم فى عهد العرب ، بما لم يكن له نظير فى أى مملكة أوربية أخرى يومئذ .

بل يقال إن جامعة (مونبليه) الطبية فى جنوب فرنسا كان للعرب فضل فى تأسيسها .

مكتبتنا العربية

نظرات فى كتاب الأموال

فى الفقـــه الإسـلامى

للدكتور محمد يوسف موسى

هذا كتاب فى الفقه وضع على نمط جديد . وهو تذليل سبل الفقه وجمع أطراف مباحثه وتقريبه من لغة القانون ونهج الدراسات الحقوقية فى هذا العصر . وقـد استتبع هذا ذكر آراء الفقهاء ووجهة أنظارهم واختيار أدناها إلى مصالح الناس ، مع ذكر رأى القانون بجانب الفقه ، فكان فى ذلك دراسة ممتعة مفيدة . وكان هذا منهجا مفيدا لما يسمونه « الفقه المقارن »

وأحسب أن « الفقه المقارن » حل محل علم يتصل بالفقه ؛ كان يعنى به قديماً ، وقد وضعت فيه التصانيف العديدة ، وهو علم الخـلاف . وأساسه ذكر المسائل الفقهية المختلف فيها ، وذكر الأدلة المذهبية والحجاج لها . وينتصر صاحب الكتاب لمذهبه . وقـد يتحرى سبيل النصفة ، فلا يبالى أن ينتصر لغير مذهبه . وقـد بقى بعض هـذا فى كتب الحنفية ، فهى تعرض لخلاف الشافعية ، وتطيل فى ذكر حججهم والرد عليها .

ولقد أبان الأستاذ الصديق الدكتور محمد يوسف موسى الباعث له على هـذه الخطة المبدعة فى الفصل الذى جعل عنوانه : « الغرض من دراسة الفقه الإسلامى » . ذلك أنه حدث فى الآونة الأخيرة فى عصرنا أن مال بعض من يوكل إليهم سن القوانين فى مصر إلى جعل الشريعة هى الأساس الأول الذى يبنى عليه التشريع ، بعد إقرار مؤتمر القانون المقارن الذى عقد فى لاهاى سنة ١٩٣٨ باعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع . وقد ذكر فى هذا الصدد أن من العقبات فى هذا الغرض الكريم عسر فهم الشريعة من مصادرها الحالية ، ونأيها عن الطرق المذللة التى جرت عليها دراسة القانون . فانتدب الأستاذ للقيام بهذا العمل النبيل وهو خير من يتولى هذا الأمر ، فقد حذق الثقافة الأزهرية والثقافة الغربية التى هى عماد القانون .

وقد بدأ عمله بدراسة (العقد) فى الفقه الإسلامى . والعقد أساس المعاملات ، وبحوثه متفرقة فى كتب الفقهاء . فعنى المؤلف بجمعها ، وتكوين وحدة متماسكة منها ، حتى يتمكن الدارس على بينة منها ، وعلى بصيرة فى أحكامها ، وفهم لمراميها .

---

(١) ص ١٥٤ وما بعدها .

مكتبتنا العربية

وصدر الأستاذ كتابه بمدخل لدراسة الفقه ، ضمنه علماً جماً ، ومعرفة واسعة فى تاريخ التشريع والمذاهب الفقهية ورجالاتها ، وأصول الفقه ، وغير ذلك من الدراسات الجليلة .

ولقد أشاد المؤلف بالفقه الإسلامى ، وأبان عن مآثره ، وجلى من مزاياه وفضله على القانون فى الفصل الذى عقده تحت عنوان « [1] طبيعة الفقه الإسلامى وخصائصه » وهو فصل لا يبين فضله إلا بقراءته ؛ فهو عظيم الخطر ، حميد الأثر .

هذا الكتاب إذن حرىٌ بحسن الاستقبال ، خليق أن يكرم ويعرف له حقه . وقد نال هذا ، فأحسن الناس استقباله . وعرفوا له مكانته وشأنه .

ومن حسن استقباله أن يدرسه الدارسون ، وينقده الناقدون ، وأن يتناول كل ما فيه من دقيقة وجليلة بالبحث والتمحيص .

وكتبت مجلة الأزهر الجليلة فى جزء شعبان ١٣٧٢ (ص ١٠١٨) عن الكتاب فقرظته ونوهت به ، وأولته حقه من الثناء بما هو أهله .

والكتاب الذى عرض لكبرى المسائل وأجل البحوث والدراسات العالية ينبغى أن تكثر الكتابة عنه ، وتسجل شتى النظرات فيه ، عرفانا بجلاله وخطره .

لهذا لم أر من الحديث المعاد ولا الكلام المكرور أن أعيد النظر فيه وأن أدون نظراتى فى هذا البحث .

وهمّى أن أذكر بعض ماغمض فى الكتاب رغبة فى استجلائه ، أو بعض أشياء أرى فيها غير ما يرى الأستاذ ، وسبيلنا جميعاً إن شاء الله التهدى للحق ، وابتغاء طريقه .

١ — فى ص ٢٢ عرض الأستاذ للسنة ، المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن ، ولبيان الرسول عليه الصلاة والسلام للأحكام ، وهو فى هذا يقول : « فكان الرسول إذا سئل عن مسألة أوجدت حادثة تقتضى حكما من الشارع ينتظر الوحى السماوى . فإن نزل بالمراد فيها ، وإلا كان هذا إيذاناً من الله بأنه وكل إلى رسوله أن ينطق بالتشريع اللازم ، ومعلوم أنه لا ينطق عن الهوى ، وأحياناً أخرى كان الرسول يجتهد فى الحكم ثم يصدر رأيه . وهنا لا يقره الله على هذا الرأى إلا إذا كان صوابا » وقد وقفت عند الحالة الثانية ماذا يراد بها ،

---

(١) ص ١٣٦ .

مكتبتنا العربية

إن هنا فروضا ثلاثة : أن يوكل اليه التشريع بمقتضى الوحى ، أو بمقتضى اجتهاده ، أو يصدر التشريع من تلقاء نفسه ، لا يعتمد فيه على وحى ولا على اجتهاد .

والفرضان الأولان لا مجال للمصير اليهما ؛ لأنهما الحالة الأولى والثالثة ، والحالة الثانية مباينة لهما ، فلا تدخل فى إحداهما . فالحالة الثانية اذن أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يشرع الأحكام من غير استناد الى وحى ولا اجتهاد ، فهو لا يتلقى الحكم من الوحى ، ولا يقيس على ما جاء من الوحى أو يستلهم روح الشريعة - كما يعبر المؤلف عن الاجتهاد فى بعض الأحيان - وإنما يرتجل الحكم ارتجالا . فهل يريد المؤلف هذا ؟ .

يقول المؤلف فى ص ١٣٨ : « أساس هذا الفقه إذاً هو وحى الله تعالى . هذا الوحى الذى نجده فى كتابه الكريم . وسنة رسوله العظيم الذى لا ينطق عن الهوى » فتراه يجعل السنة راجعة إلى الوحى . وهذا يوافق ما نقله المؤلف فى ص ١١١ عن الأوزاعى إذ يقول « إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فإياك أن تقول بغيره ، فإنه كان مبلغا عن الله » ويقول الغزالى فى المستصفى ١٢٩/١ « إن بعض الوحى يتلى فيسمى كتاباً ، وبعضه لا يتلى وهو السنة » .

وفى الحق أن ما يرد فى السنة من الأحكام قد يرد تطبيقاً لقاعدة سبق تشريعها . وهذا أمره ظاهر ، ولا يقال : إنه ثابت بالاجتهاد ، فأمره أيسر أن يحتاج إلى ذلك . ومن أمثلته ما رواه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن شراء التمر بالرطب ، فقال النبى ﷺ : أينقص الرطب إذا يبس ؟ قالوا : نعم فنهى عن ذلك . رواه الشافعى فى الرسالة ٣٢٢ ، وهو فى الموطأ .

ومن السنة ما جاء بوحى ظاهر لا مرية فيه ، وذلك كبيان الصلاة وأنها خمس ، فقد أوحى إليه ذلك فى ليلة الإسراء ، كما هو معروف ، ومن ذلك مقادير الزكاة ، وغيرها ، وهذا يطرد فى سائر السنة .

وإذا قيل إن السنة مبينة للكتاب فمرجع البيان للوحى . ويذكر المؤلف فى عدة مواضع أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يستلهم فى البيان روح القرآن ومقاصده ، وذلك كما ذكره مثلا فى ص ٢٧ . ومن البين أن المجمل كالصلاة والزكاة لا يبين باستلهام روح القرآن ومقاصده . بل لا بد فى هذا من البيان الصريح يتلقاه الرسول عليه الصلاة

مكتبتنا العربية

والسلام من الشارع الحكيم ، وحظه من ذلك التبليغ ، وهذا على حين لا يزال الوحى ينزل لبيان المجمل وتقييد المطلق وتجلية اللبس والإبانة عن الأمر بالحق اليقين ، وهذا هو الذى استقر عليه الفقهاء والأصوليون ودانوا به ، ولزموه مذهبا لهم وإماما .

على أن إعطاء الرسول عليه الصلاة والسلام سلطان التشريع رأى قال به قوم فى بدء البحث فى هذه الأمور ، ورغب الناس عنه ، وصار قولا مهجورا . وقد حكاه الشافعى فى الرسالة [1] إذ يقول : « والوجه الثالث ما سن رسول الله ﷺ فيما ليس فيه نص كتاب . فمنهم من قال : جعل الله له بما افترض من طاعته ، وسبق فى علمه من توفيقه لرضاه ، أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب » . وقد احتج الشافعى بعد للقول أن كل ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام بالوحى أو بما يلقى فى روعه .

ونرى هذا الرأى بعد مسألة نظرية جوازية غير واقعية . وقد ذكرها أبو اسحق الشيرازى فى اللمع فى أواخر الكتاب حيث يقول : « ويجوز أن يتعبد الله نبيه ﷺ بوضع الشرع ، فيقول له : افرض وسن ما ترى أنه مصلحة للخلق . وقال أكثر القدرية : لا يجوز . وهذا خطأ ؛ لأنه ليس فى تجويز ذلك إحالة ولا فساد ، فوجب أن يكون جائزا » .

٢ — وفى ص ٢٦ يذكر أن الرسول عليه الصلاة و السلام هو الذى بين أن المراد بشهر رمضان « الشهر القمرى لا الشمسى ، وأن الصوم يكون من الفجر إلى الغروب » . ورمضان من الشهور العربية القمرية ، وهو فى ذلك غنى عن البيان . ووقت الصوم ورد به البيان فى قوله تعالى : وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل . اللهم إلا أن يرمى المؤلف إلى ما وقع فيه بعض المسلمين من حمل الخيط الأبيض والخيط الأسود على حقيقتهما . وقد رمى بالغفلة وقلة الفطنة . « [2] وروى البخارى ومسلم عن سهل بن سعيد قال : نزلت (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ولم ينزل (من الفجر) فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود ، ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما ، فأنزل الله (من الفجر) فعلموا أنه يعنى بذلك بياض النهار » .

---

(١) ص ٩٣ طبعة الاستاذ الشيخ أحمد شاكر .

(٢) تفسير القرطبى ٢ / ٣١٩

مكتبتنا العربية

٣ — وفى ص ٢٤ فى الحديث عن اجتهاده عليه الصلاة والسلام ندت من الكاتب كلمة وددت لو لم يقع فيها ، ولا مرية أنها فلتة لم يلق اليها بالا . وذلك إذ يقول : « فقول الله تعالى . (عفا الله عنك لم أذنت لهم) ينطوى على أن الرسول لم يصحبه توفيق الله فى اجتهاده وإذنه لمن استأذنه » .

٤ — وفى ص ١٢٠ يذكر عن السنة أنها تجىء فى الاحتجاج بعد الكتاب ، ثم يقول : « فلا يصار إليها إلا عند عدم نص من القرآن يفى بما يريد » والعهد بالفقهاء أن يستدلوا على الحكم بالكتاب والسنة ، ويتطلبوا السنة فيما جاء به الكتاب ، ويقول الشافعى فى الرسالة : « [1] فلم أعلم من أهل العلم مخالفا فى أن سنن النبى من ثلاثة وجوه ، فاجتمعوا منها على وجهين والوجهان يجتمعان ويتفرعان . أحدهما ما أنزل الله فيه نص كتاب ، فبين رسول الله مثل نص الكتاب » .

٥ — وفى ص ٤٢ يذكر أن عليا رضى الله عنه رد حديثاً رواه معقل بن سنان فى المفوضة التى مات عنها زوجها دون أن يسمى لها مهرا ، وآثر أن يقيس هذه المسألة على الطلاق ، ولم يأخذ بما فى الخبر أن لها مهر مثلها . ويقول المؤلف : « فقدم القياس على خبر الواحد ، وهو مذهب الأحناف ، على حين أن عبد الله بن مسعود لا يرى هذا القياس بل يرى الأخذ بخبر الواحد الذى رواه عن الرسول معقل بن سنان » . ويتضمن هذا الكلام أمرين :

الأمر الأول أن الإمام علياً رضى الله عنه يقدم القياس على خبر الواحد ، وهذا يكاد يكون مخالفا لما استقر عليه الاجماع أن الصحابة كلهم يأخذون بخبر الواحد ، ولا يلجأون الى القياس ما وجدوا خبراً عن الرسول عليه الصلاة والسلام وانما كان همهم أن يستوثقوا من الرواية وتختلف طرقهم فى ذلك .

والمروى عن على رضى الله عنه أنه كان يستحلف من يروى له الخبر عن الرسول عليه الصلاة والسلام .

ويقول أبو إسحق الشيرازى فى اللمع [2] : « وكان على - كرم الله وجهه - يرجع إلى أخبار الآحاد ، ويستظهر فيها باليمين . وقال : إذا حدثنى أحد عن رسول الله ﷺ أحلفته

(١) ص ٩١ . (٢) ص ٤٨ .

مكتبتنا العربية

فإذا حلف صدقته ، إلا أبا بكر . وحدثنى أبو بكر ، وصدق أبو بكر » . وكأن أبا يوسف صاحب أبى حنيفة لم يبلغه خبر على على تمامه ، فهو يقول [١] : « وكان على بن أبى طالب لا يقبل الحديث عن رسول الله ﷺ » .

وقد لاحظ هذا الشيخ الخضرى فكتب فى حاشية كتاب « التشريع الإسلامى » تعقيباً على كلام أبى يوسف [٢] « المعروف أنه كان يستحلف الرواة . وقد منا ذلك ، وهو يشير الى ما جاء فى ص ١٢٦ من كتابه ، وهو فى معنى ما رواه أبو إسحق الشيرازى ، وإنما رد على رضى الله عنه خبر معقل لأنه رآه أعرابياً لا يضبط ما يروى . ويذكر صاحب التلويح فى أصول الحنفية أن علياً قال فيه : « ما نصنع بقول أعرابى بوال على عقبيه » ، فرد خبره لأنه خبر واحد . ولكنه لأنه لم يستأهل أن يكون من أهل الرواية عنده .

ويذكر المؤلف أن القياس فى مسألة المفوضة لا يتفق مع خبر معقل . وهذا بالنظر إلى الطلاق . وهناك قياس أظهر منه ، وهو القياس على الدخول ، فإن الموت والدخول يجتمعان فى إيجاب العدة ، فالموت يوجب المهر كالدخول وهذا ما جاء به خبر معقل . وقد أخذ الحنفية بهذا ؛ كما فى التلويح .

والأمر الثانى أن الحنفية يقدمون القياس على خبر الواحد . وليس هذا صحيحاً على إطلاقه ، فعندهم أن الراوى إذا كان من أهل الفقه والرواية قدم خبره على القياس . ولهم فى هذا تفصيل يعلم من كتبهم .

(للبحث بقية)

محمد على النجار

---

(١) انظر الأم للشافعى ٧/٣٠٨ فى سير الأوزاعى .

(٢) ص ٢٠٢ طبعة المكتبة التجارية .

مكتبتنا العربية

كتب غربية عن الإسلام

١ - الدين المقارن : للدكتور ا . س . بوكيه - ١٩٥٠ - ٣١٩ صفحة

Comparative Religion - by A. C. Bouquet.

يهدف الدكتور بوكيه - أستاذ التاريخ والدين المقارن بجامعة كامبردج - إلى كتابة قصة واضحة على منهج علمى ، ومن ثم يحاول - بنجاح ملحوظ - الكتابة من وجهة نظر موضوعية ، وهو لا يكتب هذا الوصف للأديان الكبرى فى العالم للقارئ العادى غير المتخصص فى الموضوع ، فإن مثل هذا القارئ لا يلبث حتى يجد نفسه حائرا أمام كتاباته عن أديان العالم جميعا كما يؤمن بها أصحابها ويمارسون عبادتها .

وقد خص الفصل العاشر من كتابه هذا ، ص ٢٦٤ — ٢٨٣ ، بالكتابة عن الدين الإسلامى ، فتحدث عن الصلاة ، وعن حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث لا يرضى المسلمين ولا التاريخ لتجنيه على الحقيقة وبعده عن الواقع ، ثم يناقش طبيعة الرسالة المحمدية ، والقرآن وتطور الفقه والتعليم فى الإسلام ، وعلى الرغم من ضيق صفحات الكتاب ، فقد بذل المؤلف غاية جهده فى استيعاب الموضوع ؛ كما تحدث عن التصوف الإسلامى فى باب التصوف عامة أكثر من حديثه عنه فى باب الإسلام .

* * *

٢ — أركان الإسلام الخمس : ل . بيفان جونز - ١٦ صفحة .

The Five Pillars of Ialam : L. Bevan Jones.

مؤلف هذا الكتيب كان عميدا لمدرسة هنرى مارتن للدراسات الإسلامية بجامعة عليجرة ، ونشرته « جمعية الإخوان الإسلامية » بوصفه العدد الثانى فى سلسلة كتب « أضواء على الإسلام » .

بدأ الكاتب بالتمييز بين « الإيمان » و « الدين » ، ثم تناول كلا من أركان الدين ، فوصفها فى إيجاز شارحا إياها شرحا يستفيد منه غير المسلمين ، والكتيب - فى صورته الموجزة - وصف واضح للناحية النظرية للدين .

ويلاحظ أن الناشر قد وضع على غلاف هذا الكتيب الإسلامى صورة أحد المعابد الوثنيـــة !

* * *

٣ ــ الإسلام : عقائد وعبادات : ا . س . تريتون - ١٩٠ صفحة .

Islam : Beliefs and Practices : A. S. Tritton London - Hutchinsons Un. Library - 1951.

كتاب فى حجم كتب الجيب يعطينا « تقريراً عن أصول الإسلام » مع بيان « بعض المفارقات الواضحة » . أما الكاتب فهو أســتاذ اللغة العربية السابق فى مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن .

والكتاب ملئ بمعلومات طريفة فى أسلوب موجز ، وذو أهمية كبيرة لمن له معرفة سابقة بالدين الإسلامى ، نظرا لشدة إيجازه وازدحام الحقائق فيه .

ولما كان المفروض أن يستطيع القارئ التمييز بين وجوه الإسلام الخاصة ، وبين وجوهه العامة ، فإن القارئ الذى يجهلها ، يجد صعوبة فى معرفة أى الفقرات تتحدث عن العادات اليومية وأيها تتحدث عن العادات غير المألوفة .

ويبدأ الكتاب بفصل عن رسالة النبى ، والقرآن ، والاركان الخمس . وعلى الرغم من أن الكتاب يهدف إلى النقد ، إلا أنه مشوب بروح الود . وفهم الأساس التاريخى .

كما يتحدث المؤلف عن : الحديث ، وعقائد الإسلام ، وشرائعه فى إسهاب .

وثمت فصل عن الفرق sects يحوى مادة لا يعرفها الكثيرون من الغربيين ، وعقد لحديثه عن التصوف فصلا استعمل فيه الاصطلاحات الصوفية ، كما ذكرها المتصوفة ، وترجمها إلى الإنجليزية .

ومما يؤخذ عليه فى الأصول السابقة عدم ذكره لمصادر ما اقتبسه من نصوص .

ويتحدث بعد ذلك عن الدولة والعدالة والتعليم والحياة الاجتماعية والنظريات الأخلاقية ، والزواج والرق والخرافات ، ثم بحث موجز عن الحركات الحديثة المقترنة بنشأة « الفرق » الجديدة فى إيران والهند .

وينتهى الكتاب بفهرست للأعلام والمراجع .

مكتبتنا العربية

ويعلن الأستاذ تريتون - فى نهاية كتابه - تقديره العظيم للإسلام ، واعجابه الجم بالمسلمين .

٤ — المختار عن القرآن : جورج لامزا صفحاته ٢٠ ، ٣٧٧ سنة ١٩٤٩ م .

The Short Koran-Edited by George M. Lamsa. Chicago - 1949 PP. XX. 377.

إختار مخرج هذا الكتاب آيات معينة من القرآن الكريم ، ورتبها فى ٩١ فصلا ، يحاول أن يعرف العالم الغربى بالدين الإسلامى ، نظرا لازدياد الصلات بين الاثنين عاما بعد عام .

ويذكر محرر الكتاب أنه لم يكن يعرف عن الإسلام شيئا أكثر مما يشاع عنه بين المسيحيين ، حتى شاءت عناية الله أن يظفر بدراسته على يد شيخ مسلم ، ومن ثم عرف الإسلام دين الحق .

وتبحث مقدمة الكتاب فى السيرة النبوية ، والحالة الإجتماعية فى الجاهلية وبعد ظهور الإسلام .

ويذكر الكاتب أن المسيحيين الذين نشأوا حيث ظهر المسيح أقدر على تفهم المسيح من مفكرى الغرب لتباين الثقافات ، ويؤيد حديثه مستشهدا بالأستاذ فوينبى حين يقول « إن الكنيسة النسطورية والإسلام يقفان جنبا إلى جنب يقاومان تدخل الثقافة اليونانية فى الشرق . وقد اعتنق الآلاف من أتباع الكنيسة النسطورية فى الشرق الدين الإسلامى بعد أن رأوا فى محمد (صلى الله عليه وسلم) « مصلحا للمسيحية » يحمل الرسالة ضد عبادة الصور ، كما وجدوا أن تعاليم بنى الإسلام عن وحدة الله وعن الصلاة والعبادة هى أقرب إلى تعاليم المسيح من الصورة التى يرسمها المسيحيون الإغريق للمسيحية والتى فرضها عليهم الأباطرة البيزنطيون وجاء الإسلام فكان فى نظرهم ناشرا لضوء المدنية فى العالم كله» .

أما فصول الكتاب فتشمل الآيات المختصة بموضوع واحد بمجموعة من السور المختلفة ، وجعل لكل نبي فصلا واحدا ، فيما عدا المسيح فقد أفرد له سبعة فصول . كما أفرد فصولا تناولت الأمور العامة مثل الملائكة والصلاة والربا وغير ذلك .

واعتمد محرر الكتاب - نظرا لعدم معرفته اللغة العربية - على ترجمة جورج سيل Sale ، فى اختيار الآيات التى تناسب المواضيع التى يتحدث عنها .

مكتبتنا العربية

أعلام المسلمين

ابن المبـــــارك

فى بطـون التاريخ وأسفاره نفائس من كنوز المثل العليا فى العلم والأدب ، والزهـد والاستقامة والخلق العظيم جدير بكل طموح أن ينظر فيها ويتزود منها لتدفع به إلى فوق . ومن هؤلاء ذلك الإمام الجليل (عبد الله بن المبارك) .

* * *

لقد كان عبد الله بن المبارك مثال الرجل العالم الجامع لأشتات العالم فى عهده من الحديث والفقه والعربية وأيام الناس . وإن كانت شهرته بالحديث والفقه هى التى بقيت له .

---

٥ — القرآن Le Coran : Traduction Par O. Pesle et Ahmed Tidjani.
Paris - 1950

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ونختتم هـذا الحديث بالـكلام عن ترجمـة فرنسية جديدة للقرآن ظهرت فى باريس سنة ١٩٥٠ نتيجة لتعاون مسلم جزائرى وفرنسى مسيحى . الأول مترجم إدارة الشئون الشريفية ، والثانى أستاذ فى معهد الدراسات العليا فى مراكش . وللترجمة « قاموس قانونى » ذكر فيه أرقام الآيات التى تبحث فى أمور قضائية كالزواج والطلاق والتبنى والبيع والشراء وما شابه ذلك ثم « قاموس جغرافى تاريخى » ذكر فيه أسماء الأعلام والبلدان التى وردت فى القرآن مرتبة ترتيبا أبجديا . وبجانب القاموسين تعليقات مختصرة .

وكتب المقدمة أوكتاف بزل أحد المترجمين . والترجمة أسلوبها جيد ، تعتمد على تفسير البيضاوى ، وإن كانت لا تخلو من أخطاء كثيرة .

ورأى الأزهر فى ترجمة القرآن معروف .

عمر طلعت زهران
أستاذ فى الآداب

مكتبتنا العربية

أعلام المسلمين

ابن المبـــــارك

فى بطـون التاريخ وأسفاره نفائس من كنوز المثل العليا فى العلم والأدب ، والزهـد والاستقامة والخلق العظيم جدير بكل طموح أن ينظر فيها ويتزود منها لتدفع به إلى فوق . ومن هؤلاء ذلك الإمام الجليل (عبد الله بن المبارك) .

* * *

لقد كان عبد الله بن المبارك مثال الرجل العالم الجامع لأشتات العالم فى عهده من الحديث والفقه والعربية وأيام الناس . وإن كانت شهرته بالحديث والفقه هى التى بقيت له .

---

٥ — القرآن Le Coran : Traduction Par O. Pesle et Ahmed Tidjani.
Paris - 1950

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ونختتم هـذا الحديث بالـكلام عن ترجمـة فرنسية جديدة للقرآن ظهرت فى باريس سنة ١٩٥٠ نتيجة لتعاون مسلم جزائرى وفرنسى مسيحى . الأول مترجم إدارة الشئون الشريفية ، والثانى أستاذ فى معهد الدراسات العليا فى مراكش . وللترجمة « قاموس قانونى » ذكر فيه أرقام الآيات التى تبحث فى أمور قضائية كالزواج والطلاق والتبنى والبيع والشراء وما شابه ذلك ثم « قاموس جغرافى تاريخى » ذكر فيه أسماء الأعلام والبلدان التى وردت فى القرآن مرتبة ترتيبا أبجديا . وبجانب القاموسين تعليقات مختصرة .

وكتب المقدمة أوكتاف بزل أحد المترجمين . والترجمة أسلوبها جيد ، تعتمد على تفسير البيضاوى ، وإن كانت لا تخلو من أخطاء كثيرة .

ورأى الأزهر فى ترجمة القرآن معروف .

عمر طلعت زهران
أستاذ فى الآداب

مكتبتنا العربية

ولقد كان على جانب خصيب من الزهد والمروءة والسخاء العجيب ، موطأ الأكناف رحب الذراع مع شجاعة نادرة فى نفس مؤمنة صادقة يجاهد فى الله حق جهاده حتى استوت له شخصية زاحمت شخصيات الملوك والخلفاء . ووَضَع فى النفوس أسمى من السماء .

ولد ابن المبارك سنة ثمانى عشرة ومائة وتوفى سنة اثنتين وثمانين ومائة ، فهو من أعلام القرن الثانى ، وأفذاذ العصر العباسى الذهبي ، الذى كان يموج بالعلوم والمعارف موجا على اختلافها ، والذى استقرت فيه علوم الشريعة الإسلامية باستقرار الملك والخلافة لآل العباس فظهر الفقه الناضج المرتب على أصوله وتنافس الناس فى سنة النبى ﷺ وهى أعز شىء بعد الكتاب عند المسلمين وهى أساس التفسير والفقه ومطلع شمس الهداية فى أمة محمد ﷺ .

وقد امتاز الموالى فى ذلك العهد بأن الكثرة الكاثرة من حملة ألوية العلم والثقافة كانت منهم لأنهم شاءوا أن ينافسوا العرب بما يرفع الإسلام وهو العلم والخلق . وكان ابن المبارك من هؤلاء الموالى وكانت أمه خوارزمية وأبوه تركياً وكان عبداً لرجل من التجار من همذان ، وعاملا فى بستان .

فقد نشأ إذا نشأة الموالى المتواضعة المنافسة فى عهد عبدت فيه سبل العلم وسهل مشارعه وشجع الخلفاء رجاله بالمال الوفير وإسناد المناصب الخطيرة فى الدولة إليهم . وابن المبارك على استعداد عجيب نادر يمر وهو فى المكتب بخطيب يخطب فيحفظ خطبته ويلقيها كما سمعها .

وقد شغف بالعلم شغفاً شديداً وطلبه عند رجاله من أئمة العلم فى مرو وخوارزم وبغداد يرحل إليهم حيثما كانوا يأخذ عنهم ويكتب بين يديهم ويناقشهم ، فتتلمذ لإمام دار الهجرة مالك وأخذ عنه الموطأ ، وتتلمذ لسفيان الثورى وأخذ عنه ما عنده من الفقه والحديث ، وتتلمذ لأعلام تفاخر بهم أمة محمد ﷺ من أمثال الليث بن سعد وشعبة والأعمش والاوزاعى وابن جريج . وكان أكثر أخذه عن سفيان الثورى ومالك بن أنس ، وما زال فى روايته وحفظه . ودرسه وفقهه وانتفاعه بعلمه حتى صار من الأئمة الربانيين فى العلم الموصوفين بالحفظ المذكورين بالزهد . وبلغ من الشهرة والصيت مبلغا جعله لا يزاحم ولا يختلف الناس فى أمره . وساعد على ذلك أدب وطيب نفس . وسخاء وشجاعة وتضحية . وزهد مع الثراء من التجارة التى كان يلجأ إليها يستعين بها على الإحسان والعطاء .

وقد تتلمذ له فى العلم من صاروا أئمة فى عصره وبعد عصره من أمثال سفيان بن عيينة

مكتبتنا العربية

ويحيى بن معين وابن أبي شيبة ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرازق بن همام ويعمر بن بشر وغيرهم من أئمة الدين فى الحديث والفقه .

المحدث : وبلغ من منزلته فى الحديث أنه كتب عشرين ألف كتاب فيه كما نقلوا عنه ، فهب أنها كراسات صغيرة . أو أن فى النقل بعض المبالغة غير أنها تدل على منزلة خطيرة فى السنة والرواية .

ولا عجب إذا كان ذلك الزاهد الحافظ الورع يبلغ فى السنة هذه المنزلة ، وقد روى أن سائلا قال له :

أتحفظ الحديث ؟ فقال : أنا لا أتحفظ . ولكن إذا أعجبنى شيء علق بى .

وقد تناقل الناس علمه بالسنة وحفظه إياها فى عصره حتى حضر يوما عند إمام من أئمة الحديث من ملأ من تلامذته . وهو حماد بن زيد . وكان حماد من العلماء الربانيين المعروفين بالحفظ البارعين فى معرفة الأثر وطرق الروايات وأحوال الشيوخ . فقال أصحاب حماد لحماد : سله أن يحدثنا . فقال حماد : يا أبا عبد الرحمن تحدثهم ؟ فقال عبد الله : سبحان الله يا أبا عبد الرحمن ، أحدث وأنت حاضر ؟ قال : أقسمت لتفعلن . فقال عبد الله : خذوا .

وكان أصحاب الحديث بالكوفة إذا تشاجروا فى حديث قالوا : مروا بنا إلى ذلك الطبيب لنسأله .

وكان أبو أسامة من أئمة الحديث يقول : ابن المبارك فى أصحاب الحديث مثل أمير المؤمنين فى الناس . وشهادات الناس له فى الحديث ومنزلته فيهم معروفة مبسوطة فى كتب الأثر فلا نطيل بها ، وحسبك أن تعلم مبلغ استعداده وتفرغه ونهمه وأن هذا العصر كان عصر إحياء الحديث ورجاله .

الفقيه : كان من الذكاء والقدرة على استنباط الأحكام فى منزلة خولت له أن يكون فقيها يزاحم مالكا وأبا حنيفة ويحتج لمذاهبه بما لا يدفع . وكتب كتبا كانت مراجع للعلماء فى عصره وبعد عصره حتى قال الإمام يحيى بن آدم : كنت إذا طلبت الدقيق من المسائل فلم أجده فى كتب ابن المبارك أيست منه . وحتى عده عبد الرحمن بن مهدى إماما من أربعة لا يذكر غيرهم فى الفقه ، فهو يقول : الأئمة أربعة : سفيان الثورى ومالك بن أنس -

مكتبتنا العربية

وحماد بن زيد وابن المبارك . وكان يقدمه على سفيان الثورى ، فقيل له : إن الناس يخالفونك ، فيقول : إنهم لم يجربوا ، ما رأيت مثل ابن المبارك . وجائز أن الناس كانوا يقدمون سفيان لأنه أسبق ، ولأنه من شيوخ عبد الله ، على أن إمامة سفيان وفضله وتقدمه لم يمنعه أن يعترف لتلميذه اعترافا دل على مبلغ فضله ، فقد جاء رجل يسأله عن مسألة ، فقال له سفيان : من أين أنت ؟ قال : من أهل المشرق قال : أو ليس عندكم أعلم أهل المشرق عبد الله بن المبارك ؟ قال : هو أعلم أهل المشرق ؟ قال سفيان : والمغرب . وكان إبراهيم بن شماس يقول : رأيت أفقه الناس ، وأورع الناس ، وأحفظ الناس . فأما أفقه الناس فابن المبارك ، وأما أورع الناس ففضيل بن عياض ، وأما أحفظ الناس فوكيع بن الجراح ، ونحن لا يعنينا أن نبالغ فى وصف العلماء وتقديمهم ، وإنما يعنينا ما فيهم من مثل صالح وقدوة تحفز على النشاط وتفريغ أنفسنا للعلم وكسبه وهو أكثر من أن يحاط به .

الفاضل الزاهد السخى المجاهد : كل أولئك وأكثر منهن قد اجتمعت فى عبد الله بن المبارك فقد بلغ من زهده فى الدنيا وجوده بها . أن كان يتعهد الناس ويلتمس أرباب العثرات فيجبرها ويخفى ذلك ما استطاع ، وقد استفاضت أخباره فى ذلك وعرف الكثير من أمره بعد موته لأنه يرجو تجارة مع الله لن تبور كما أدبته السنة وكما علمه الكتاب الكريم ، وقد دل على ذلك إجماع الناس على حبه ووفاؤهم به . ولقد كان يتجر فى تجارات واسعة وهو صائم الدهر لا لشىء إلا لينفق على الفقراء ولا سيما طلبة العلم ورجال الدين . وليسع رجال التصوف والمنقطعين لله عز وجل ، وهل رأيت رجلا يشهد له المعاصرون من أهل المنافسة فى حكم العادة فيقول قائلهم (الإمام إسماعيل بن عياش) : ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك ، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها فيه . ويستدل لبعض ذلك فيقول : حدثنى أصحابى أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم . . .

وخرج من بغداد يريد بلداً تسمى (المصيصة [1]) فصحبه الصوفية فأراد أن يكرمهم ويخفى ذلك ما استطاع : قال لهم إن لكم أنفساً تحتشمون أن ينفق عليكم : ياغلام ، هات الطست فألقى على الطست منديلا ثم قال : يلقى كل منكم تحت المنديل ما معه فجعل الرجل يلقى

(١) هى من ثغور للرابطة والجهاد بين بلاد الشام وبلاد الروم .

مكتبتنا العربية

عشرة دراهم والرجل يلقى عشرين فأنفق عليهم إلى (المصيصة) فلما وصل إليها أخذ يقسم ما بقى فيعطى الرجل عشرة ، ويعطى الرجل عشرين ديناراً ، فيقول الرجل : يا أبا عبد الرحمن إنما أعطيت عشرين درهما ، فيقول وما تنكر أن يبارك الله للغازى فى سبيله .

وفى أخباره ما يدل على أنه كان يفعل مثل ذلك أيام الحج . يخرج من مرو وقد اجتمع أصحابه ويأخذ ما مع كل منهم فيضعه فى صندوق ثم يركبهم من مرو إلى بغداد ويطعمهم أطيب الطعام ثم يكسوهم فى بغداد ويخرجهم فى أحسن زى فإذا وصلوا إلى المدينه سأل كل منهم عما يطلب أهله وعياله من المدينة فيشتريه له . ويفعل ذلك فى مكة بعد قضاء الشعائر . فإذا عادوا زخرف لكل منهم بابه وداره ثم صنع لهم وليمة بعد ثلاثة أيام ودفع لكل منهم صرته كما هى من الصندوق . وله فى كتب الأدب والتاريخ أخبار فى قضاء الديون وإقالة العثرات . والانفاق على طلبة العلم والصالحين يخرج استقصاؤها عن القصد والاعتدال .

ويروى البغدادى إجمالا من ذلك يقول فيه إنه كان ينفق على الفقراء كل سنة مائة ألف درهم . وكان يقول للإمام العابدى فى عهد الفضيل بن عياض لولا أصحابك ما تاجرت .

ولما لامه بعض الناس فى تفريقه الأموال فى البلدان قال : إنى أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق طلبوا الحديث فأحسنوا الطلب بحاجة الناس إليهم احتاجوا فإن تركناهم ضاع علمهم وإن أعناهم بنوا العلم لأمة محمد ﷺ ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم .

أيها القارىء الكريم هذه هى نفس العالم الذى يقال فيه إنه من خلفاء الأنبياء يتعهد الناس بقدر طاقته . ويحسن خلافة محمد ﷺ فى أمته ، فيكون نفاعا ما استطاع .

هذا هو العلم الصحيح النافع الذى يزهد فى الدنيا ويرغب فى الآخرة ويعلم النصح للأمة فأين العلماء ؟ لهذا وغيره من صفات هذا الإمام العارف بالله والحق يقول عبد الرحمن ابن مهدى : ما رأيت أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك .

فأما شجاعته وجهاده بنفسه فى سبيل الله فقد دلت عليه أخباره فى تاريخه وأنه كان يشهد المعارك ، ويبارز الأعداء مبارزة عالم خبير بالحرب والفروسية .

ومن ذلك ما رواه عبدة بن سليمان المروزى : قال كنا فى سرية مع ابن المبارك فى بلاد الروم فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل فقتله ، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فقتله ، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطاعنه فقتله ، فازدحم الناس عليه فإذا هو يلثم وجهه بكمه ، فأخذت بطرف كمه فإذا هو عبد الله بن المبارك .

مكتبتنا العربية

وهكذا أيضا تأبى عظمة نفوس العلماء الفضلاء على العلماء الفضلاء إلا أن ينتفعوا بما فى هذا العلم من كنز ثمين فى رفعة شأن الدين والدنيا فلقد كفل السعادة للناس فى كل شىء من أمرهم وليس هو بالوضوء والصلاة وغير ذلك من الأعمال التى تحسنها العامة .

إن الدين معاملة وإنفاق وجلاد وتضحية وإيمان ، وبالله الهداية والتوفيق .

والظاهر أن ابن المبارك كان يتسم بالقدح المعلى فى الجهاد والجلاد ، وقد اشتهر بذلك وكان قدوة صالحة ومثلا للعالم النبيل فى عصره ، حتى روى أن فضيل بن عياض رآه فى المنام فقال : أى الأعمال وجدت أفضل ؟ قال : ما كنا فيه . قال الفضيل : الجهاد والرباط . قال نعم . قال : وأى شىء صنع بك ؟ قال : غفر لى مغفرة ما بعدها مغفرة .

الشخصية : لعلك بعد هذا كله تستطيع أن تدرك مبلغ شخصية ابن المبارك وسمو منزلته فى الناس حتى قال عبد الرحمن الجهضمى قال لى الأوزاعى : رأيت ابن المبارك ؟ قلت : لا قال : لو رأيته لقرت عينك . وقال شعبة لأحد العلماء المعاصرين : رأيت ابن المبارك ؟ قال : نعم ، ما قدم علينا من ناحيتكم مثله . وقال أبو عصمة : شهدت شعبان وفضيل بن عياض وقد مات ابن المبارك ، فقال سفيان لفضيل : يا أبا على أى رجل ذهب ؟ فقال فضيل : يا أبا محمد ، وبقى بعد ابن المبارك من يستحى منه ! وقال عبد الوهاب بن عبد الحكم بلغنى أن هرون الرشيد قال لما مات سفيان : مات سيد العلماء .

وبعد فحسبى أن أنقل لك هذه الحادثة وأختم بها حديثى عن ذلك الإمام :

قدم الخليفة هرون الرشيد الرقة فى مناسبة ، وكان ابن المبارك يسير فى طريقه ، فانجفل الناس خلف ابن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة . فأطلت أم ولد لأمير المؤمنين من برج لها فقالت : ما هذا ؟ قالوا : عالم من أهل خراسان . فقالت : هذا والله الملك ، لا ملك هرون الذى لا يجمع الناس إلا بشرط .

أيها العلماء والطلبة ويا رجال الدين أجمعين ، هذا والله الملك ، يجعله الله فى توفر العالم على علمه واعتداده بنفسه . واعتزازه بالله وحده . وفى نصحه للمسلمين . وزهده فى الدنيا ، وفيما يتنافس المتنافس فيه بالرياء والنفاق والتزاحم على أبواب الحكام ومن لهم فى الدنيا ، نصيب . فاتقوا الله واطلبوا هذا الملك الذى خول الله لكم ولا تزوروا نعمة الله عليكم فتخسروا الدنيا والآخرة . أسأل الله لى ولكم التوفيق والهداية .

محمود النواوى

مكتبتنا العربية

الكتب

ديوان ابن عنين

نشره المجمع العلمى العربى بدمشق — بتحقيق الأستاذ خليل مردم — ٢٧٠ ص قالبين

شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر بن عنين الأنصارى الدمشقى (٥٤٩ — ٦٣٠) أديب عالم واسع الرواية للشعر وأخبار العرب متمكن من اللغة متقن لها ، كان يستحضر كتاب الجمهرة لابن دريد ، وهو طويل الباع بالنحو ، مشارك فى الحديث والفقه ، ملم بفروع الثقافة الإسلامية لعهده — وكان خفيف الروح كثير الدعابة ماجن ساخر متهكم يؤثر الهزل على الجد ، تعجبه النكتة ولو كان فيها حتفه . وأحب شىء إليه أن يستهزىء بذوى الهيئات والوقار والتزمت من الفقهاء والخطباء والواعظين ، أدرك فى شبابه عصر نور الدين ثم قامت دولة صلاح الدين ، فكان ابن عنين الشاعر سليط اللسان على الناس يغمز الوزراء ويهجو القواد والعلماء حتى بلغت به الجرأة أن عرض بصلاح الدين نفسه فى قوله :

سلطاننا أعرج وكاتبه ذو همش والوزير منحدب

فضجر منه الناس وسعوا بإخراجه من دمشق إلى حيث يشاء من البلاد ، فخرج منها وهو يقول :

انفوا المؤذن من بلادكم إن كان ينفى كل من صدقا

وطوحت به الرحلة إلى العراق وأذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء النهر ثم دخل الهند ، وكانت هذه السياحة الطويلة مدرسة له هذبت من أخلاقه ، وعرفته بقدر بلاده ، وعرف من المقارنة بين ما كان فيه وما صار إليه ، إن الذين كان يهجوهم هم ملح الأرض ومن خيرة الناس ، فانطلق لسانه يقول :

أحن ومن وراء النهر دارى حنين العود أوثقه العراس

مكتبتنا العربية

وكيف تبيت تطمع فى مديحى رجاء نوالها العجم الخساس
ولو أنى مدحت ملوك قومى تراغت حولى النعم الدخاس
فإن الناس فى طرق المعالى لهم تبع وهم للناس راس

ولم يسعد فى بلاد الشرق إلا بلقاء الفخر الرازى فاستفاد ابن عنين من علمه وهباته ، وأخذ عنه وحضر دروسه ، ثم انقلب إلى الوطن العربى فدخل اليمن والوالى عليها سيف الإسلام أخو صلاح الدين فاحتفى به وأحسن لقاءه . وقال ابن عنين فى سيف الإسلام أحسن شعره . ثم أخذ يتردد بين اليمن ومصر . وفى وفيات الأعيان لابن خلكان وصف لمجالسه فى مصر مع جماعة من الشعراء واحتفالهم به . ثم عاد إلى دمشق وهو لا يرى الدنيا إلا فيها ، ويستصغر كل ما كسبه من مال ومتاع ومعرفة فى جانب الإقامة فيها :

ولو أنى خيرت فى هذه الدنيا لما اخترت غير أهلى وداري

وسأله الملك المعظم عيسى بن العادل عن عجائب ما رآه فى البلاد فقال له : « كل ما فى الدنيا مفرق ، هو فى بلدك مجموع ، ولم يكن يحن وهو فى دمشق إلا إلى مصر .

أحن إلى مصر ويا ليت أن لى إذا ذكرت مصر جناحاً أعاره

ومن مصرياته قوله فى انتصار الإسلام على الصليبيين فى ثغر دمياط سنة ٦١٩ وكان الشاعر يومئذ فى السبعين من عمره :

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا إذا جهلت آياتنا والقنا اللدنا
غداة لقينا دون دمياط جحفلا من الروم لا يحصى يقينا ولا ظنا
فما برحت سمر الرماح تنوشهم بأطرافها حتى استجاروا بنا منا

وقد طبع هذا الديوان على ثمانى نسخ مخطوطة إحداها بدار الكتب الظاهرية بدمشق والثانية فى كمبرج ، والثالثة مخطوطة الشاعر أحمد الصافى ، والرابعة والخامسة بمدرسة يحيى بالموصل ، والسادسة بدار الكتب الأهلية بباريس ، والسابعة بدار الكتب المصرية وأصلها من الحجاز . وكل هذه النسخ مرتبة على الأبواب ، والثامنة بدار الكتب المصرية وهى مرتبة على الحروف . وقد بذل الأستاذ الكبير خليل مردم فى تحقيق هـذا الديوان وتصحيحه والتعليق عليه وكتابة مقدمته والترجمة للشاعر مجهوداً عظيما لا يقل عن مجهود ابن عنين فيما نظمه من أبيات الديوان .

أبو بكر الصديق

تأليف الأستاذ على الطنطاوى ـ الطبعة الثانية ـ نشرتها لجنة الشباب المسلم ـ ٣٢٠ ص قالبين

تساءل المؤلف فى خاتمة كتابه : « من ذا الذى يستوفى فى كتاب واحد سيرة أبى بكر كلها ، وهى أفضل سيرة فى الإسلام بعد سيرة سيد العالمين وخاتم النبيين ، وأكملها وأحفلها بكل جميل وجليل ؟ » ومع ذلك فإن هذا الكتاب فى سيرة أبى بكر أحفل كتاب من حجمه بالنصوص المأثورة فى سيرة هذا الرجل العظيم الذى سلمته الأقدار أعظم أمانات الإنسانية فى أشد مواقفها خطرا ، فكان بما عزم الله له من قتال المرتدين ، وإقامة الأمر على وجهه الأكمل بلا التواء ولا تقصير ولا جزع ، أعظم رجال التاريخ ، على قصر مدة خلافته ، وجلال ما تم فيها مما تغير به وجه الإنسانية واتجاه التاريخ .

ومما امتاز به هذا الكتاب فى سيرة الصديق اعتماده على المصادر الصحيحة وكثرتها ، حتى بلغت مائة كتاب بين مخطوط ومطبوع ، وكان قد طبع للمرة الأولى قبل نحو عشرين سنة ، وأقبل القراء عليه حتى نفدت نسخه من سنين كثيرة ، فأعيد الآن طبعه بالمطبعة السلفية بالقاهرة على نفقة لجنة الشباب المسلم طبعاً أنيقاً معتنى به ، وفى أوله مقدمة بقلم رئيس تحرير هذه المجلة ، فى موضوع التاريخ الاسلامى ، وأنه أغنى تواريخ الأمم فى صحة مصادره ، وأفقرها فى الاستفادة من تلك المصادر ، وفى حسن عرضه بما يعين على بعث الأمة من جديد ، وتوجيه الخلف إلى الوجهة التى كان يتحراها السلف لتتم بهم رسالة الاسلام رسالة القوة والحياة ، فنحث الشباب على مطالعته .

أهداف الصهيونية

تعريب فردريك زريق ـ نشرته جمعية التمدن الإسلامى ـ ١٣٠ ص جابر

هذا الكتاب مجموعة ٢٤ محضراً لجلسات مؤتمر قيل إن اليهود عقدوه فى مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ وزعموا أنه مؤتمر حكماء إسرائيل لتصريف دفة الحكم وسير المجمع فى أوربا وغيرها بحسب خططهم إلى أن يتم المصير الذى رسموه لشعوب الأرض ويحققوا قيام مسيحهم الدجال . والمظنون أن واضع هـذه المحاضر يهودى من مدينة كييف اسمه سيكفرا وهو مؤسس جمعية شباب صهيون وجمعية موشى السرية . وقد وقعت المحاضر فى يد أليكس نقولا فتش عميد أشراف شرق روسيا ، فدفعها إلى سرجيوس نيلوس

مكتبتنا العربية

الروسى الذى نشرها سنة ١٩٠٥ . ولما شعر اليهود باطلاع غيرهم على هذه المحاضر شكا هرتسل سنة ١٩٠١ من وقوف (الكفار) على أسرار الصهيونية ، ثم جعلوا يتبرأون منها بعد انتشارها سنة ١٩٠٥ . وأول من نقلها إلى الفرنسية عن نشرة سرجيوس نيلوس محرر جريدة (فرنسا القديمة) عقب الحرب العالمية الأولى (١٩ - ١٩٢٠) وبعد ذلك بسنوات قليلة نقلها إلى العربية الخورى أنطون يمين وطبعها فى ٢٤٤ صفحة بعنوان (المؤامرة اليهودية على الشعوب) . والآن أهديت إلينا ترجمة أخرى لها بعنوان (أهداف الصهيونيه) بقلم الأستاذ فردريك زريق نشرتها جمعية التمدن الاسلامى بدمشق . وكانت جريدة منبر الشرق تنشرتباعا ترجمة ثالثة لهذا الكتاب ثم نشرت فى كتاب مستقل . وتعدد ترجمات الكتاب دليل على أهميته .

أمراضنا ومشاكلنا

للأستاذ إحسان النمر — ١٣٠ ص جاير — مطبعة ابن زيدون بدمشق

هو كتاب مقسم إلى أربعة أقسام أولها عن ماضى العرب ، والثانى عن حاضرهم ، والثالث عن عوامل الضعف فى الشعب العربى وأسبابها ، والرابع فيما يراه المؤلف من توجيه للأحياء والتنظيم ، والتعليم والتثقيف ، والعمل للتقدم .

والمؤلف من الأفاضل المفكرين ، وقد ألم فى كتابه بما لا يجده القارىء مجتمعا فى كتب أخرى فنلفت إليه الأنظار .

رائد الشعر الحديث

وهذا كتاب آخر من مظاهر نشاط فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى درس فيه شاعرية الدكتور أحمد زكى أبى شادى وعرض فيه لصور عامة لأبى شادى فى حياته ودعوته وشعره ودراساته الفكرية والأدبية ودراسات المعاصرين له . والكتاب فى أكثر من ٣٠٠ صفحة من قطع هذه المجلة ، ويرى المؤلف أن الموضوع الذى خصص له هذا الكتاب يحتاج إلى تبسط لعله يوفيه بكتاب آخر .

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

الشرق الأوسط فى مؤتمر برمودة :

يؤكدون أن رئيس الولايات المتحدة إيزنهاور سيبحث مع رئيسى الحكومتين البريطانية والفرنسية عند اجتماعه بهما فى برمودا فى هذا الشهر مختلف الشئون التى تتعلق بالشرق الأوسط وتهم العالم العربى . وأن أيزنهاور شخصياً والأميرال راد فورد قائد الأسطول الأمريكى فى الاطلنطى مقتنعان بما اقتنع به دلاس وزير خارجية الولايات المتحدة وأوصى به حكومته من الأخذ بفكرة الرئيس محمد نجيب الخاصة بالاعتماد على ميثاق الضمان الجماعى المعقود بين الدول العربية فى تنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط .

وإلى جانب البيان الذى أذاعه دلاس على الرأى العام بعد انتهائه من رحلته فى بلاد الشرق الأوسط وفى باكستان والهند وضع كذلك تقريراً عن هذه الرحلة ، وكل ذلك يدور حول المعانى التى تقدمت الإشارة إليها .

وفى برقية من نيويورك أن بعض الدوائر الصهيونية أبدت دهشتها من قول دالاس « أن الحكومة الأمريكية تشعر بأنه ينبغى لها أن تزيل الشعور العميق بالسخط الذى تشعر به الشعوب العربية نحوها نتيجة لقيام دولة إسرائيل » .

نظام الحكم فى مصر :

سألت مجلة التحرير (العدد ١٩ — ٢١ رمضان) البكباشى جمال عبد الناصر عما يراه بشأن نظام الحكم ، فقال :

« رأيى أن نأخذ بالنظام الجمهورى ، وأن ينص فى الدستور على أن يكون (دين الدولة الرسمى هو الإسلام) كما كان فى الدستور السابق » .

آخر جمعة فى رمضان

كان من التقاليد الحديثة لحكومة مصر أن يؤدى الخديو أو الملك أو من ينوب عنهما صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان فى مسجد عمرو بن العاص ، وقد ثبت من البحث عن أصل هذه العادة أنها بدأت من عهد محمد على وذلك أن جامع عمرو احتاج فى زمانه إلى إصلاح فى مبانيه ، وقد تم هذا الاصلاح فى شهر رمضان ، فاحتفل محمد على بذلك بأداء الصلاة يوم الجمعة الأخير من رمضان فى جامع عمرو ، ثم جرت العادة بعد ذلك على أن يؤدى القائم على ولاية مصر صلاة آخر

مكتبتنا العربية

جمعة من رمضان فى جامع عمرو ، وسميت هذه الجمعة الجمعة اليتيمة لأنها لا جمعة بعدها فى رمضان من السنة .

ولما علم الرئيس اللواء محمد نجيب بأن ذلك من التقاليد المستحدثة ، رأى أن يؤدى صلاة الجمعة من رمضان هذا العام فى الجامع الأزهر لأنه مثابة العلم والعلماء فى الدولة المصرية .

تعديل أنصبة الدول العربية فى ميزانية الجامعة

عدلت أنصبة الدول الأعضاء فى ميزانية الجامعة العربية ، فأصبح نصيب مصر ٤٠ فى المائة ، والعراق ١٧ ، والمملكة السعودية ١٥ر٥ ، وسوريا ١٣ر٥ ، ولبنان ٦ ، واليمن ٣ ، والمملكة الأردنية ٣ ، وليبيا ٢ فى المائة

حصار إسرائيل :

أقرت اللجنة العليا لمقاطعة إسرائيل - وهى مؤلفة من وكلاء الوزارات - تشريعا يقضى بمصادرة جميع المواد الحربية والغذائية التى تضبط فى قنال السويس فى طريقها إلى إسرائيل وذلك فى حدود القانون الدولى العام .

السياسة المصرية من سنة ١٩٣٦ إلى ١٩٥١

قرر الدكتور حافظ عفيفى فى شهادته أمام محكمة الغدر يوم آخر مايو أن العهد من سنة ١٩٣٦ امتاز بعدم الاستقرار : وزارات غير مستقرة يصحبها دائما تدخل من الملك فؤاد أم فاروق - ويندر أن تتألف وزارة لم يتدخل فيها الملك برفض وزراء معينين أم بفرض وزراء معينين ، مما كان يؤدى إلى عدم التجانس فى الوزارات . وكان الملك يتدخل فى مسائل لم يكن له حق أكثر من ابداء النصيحة فيها ولم يكن يضغط صراحة على الوزارات لقبول رأيه ، لكن كانت الوزارات ترى أن مسائل كثيرة لا تستحق أن تكون سببا لاستقالتها . فيتنازل بعض الوزراء تدريجا عن آرائهم فيضعف مركز الوزارة ، وربما كان الضغط يقع على الوزارة التى تدين بوجودها وحياتها للملك وكثيرا ما كان للملك طلبات داخلية أو خارجية أو سياسة ، وهذه الطلبات كانت تعرقل أعمال الحكومة .

هذه هى الحالة العامة : عدم استقرار الحكم ، وشل حرية الوزراء فى التصرف ، وتدخل من جانب القصر فى شئون الحكم . كان التدخل بمنع تعيين أشخاص جديرين وصالحين لتولى الوزارة ، بينما يحتل مكانهم وزراء غير صالحين أذكر أن كريم ثابت عين وزيراً ولم يكن هناك مبرر لتعيينه . وكنت رئيساً للديوان ، ولكننى لم أسأل فى هذا ولم يؤخذ رأيى فى هذا التعيين . وأنا لم أعين فى الديوان باختيارى فقد صدر أمر التعيين دون أن يؤخذ رأيى . هو كان حكم قراقوش والا إيه ؟ ! وفى اليوم التالى كان الياس اندراوس قد حل محلى ببنك مصر !

مكتبتنا العربية

فهرس

المجلد الرابع والعشرين

(لسنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م)

(أ)

آثار ونقوش عربية باليمن ٥١٦
الآجلة والعاجلة ٥٢١
آدم عليه السلام (كتاب) ١١٤٦
آراء وأحاديث : علوم البلاغة فى الميزان ٣٢٤، ٧٠٩، ٨٠٨، ٩٨٠
ابراهيم أبو الخشب : الحدود فى نظر الإسلام ٢٢٥، كتابه مواقف إسلامية ٥٠١، الحاكم فى الإسلام ٨٦٩
ابراهيم حلمى عبد الرحمن : جهود المسلمين فى ميدان العلوم ٧٣
أبو الأعلى المودودى ١١٥٧، كتابه معضلات الاقتصاد وحلها فى الإسلام ٥٠٣
أبو الوفا المراغى: المرأة فى ظلال الإسلام ١٢٠٩
أثر العقيدة فى نفوس المسلمين ٣٣١
الاجتهاد والتقليد ١٧١، ١٠٦٥
أحاديث الثلاثاء بدار السلام (كتاب) ٨٩٢
الاحتكار والربح الفاحش ٣٥٠
إحسان النمر : تاريخ نابلس والبلقاء ١١٤٨، أمراضنا ومشاكلنا ١٢٧٠
إحصاءات ثقافية ١٠٢٦
أحمد أمين : مناهج الفقهاء فى التشريع ٣٧، نقد تحقيقه كتاب حى بن يقظان ١١٢٨
أحمد حسن الباقورى : خطبته فى جنوب السودان عن بغى المبشرين ٦٤٥
أحمد حسن الزيات : الإسلام فتح لعالم جديد ٢
أحمد الشرباصى : عمر بن عبد العزيز والقرآن ٥٩٦، الحزبية فى القرآن ٧٠٥، حديث القرآن عن اللغو ٩٤٤
أحمد عباس صالح : أزمة الأدب ٤٣٩
أحمد عبد السلام الكردانى: وظيفة المدرسة ٦٤٢
أحمد عز الدين خلف الله : الأزهر والثورة العرابية ٩٧٠، الأزهر وتاريخنا الدستورى ١٢٢٣.
أحمد فهمى أبو سنة : تحديد الملكية فى الإسلام ٣٦٠، افتحوا الفقه أبواب الحياة ٤٢١، دستور الدولة فى نظر الإسلام ٦١٥ شهر التصرفات بين القانون والشريعة ٨١٤.
أحمد فؤاد الأهوانى . فضل العرب على فلسفة اليونان ٦٢، أحوال النفس لابن سينا (كتاب) ٦٣٨.
أحمد محرم : ديوان مجد الإسلام ٩٥٠، ١٠٩٢، ١٢٠٦، المسلمون بين يقظتهم وسباتهم ٩٨٧.

مكتبتنا العربية

أحمد محمد جمال : كتاب ، ماوراء الآيات ٧٥٨ ، دين ودولة ١١٤٤ .
أحمد محمد شاكر : تحقيق صحيح ابن حبان ٦٢٨
أحمد مظهر العظمة : كتاب ضراعات فى الإسلام ١١٤٦ .
أحمد بن يحيى ثعلب : ترجمته ووصف أماليه ٨٢١
أحوال النفس لابن سينا (كتاب) ٦٣٨ .
اختيار الزوجة فى الشريعة الإسلامية ٧٥٢ ، ١١٣٦ .
الأخطل وجرير : بدء تعارفهما ٤١٢ .
إدريس السنوسى ملك ليبيا : زيارته مصر ٤٩٣
أديب الشيشكلى رئيس سوريا : زيارته مصر ٤٩٣
الأديان العالمية وآمال العالم (كتاب) ١٢١ .
إذاعة آذان الظهر ٦٤٧ .
الإرادة والغرائز : تنظيم العلاقة بينهما ٨٠٢ .
الأردن والبلقاء فى تاريخ الإسلام ١٢٠٠ .
أزمة الأدب وحرية التعبير ٤٣٩
أزمة الفقه الإسلامى ٦٧٣ ، ٨٠٩ ، ٩٣٤
الأزهر : مشيخته فى أكمل ما شاهدنا من عهودها ١٤٦ ، حديث عنه للأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين ١٥١ ، وكيلاه ٢٤٨ ، بعثته لجنوب السودان ٦٤٠ ، مدينة الأزهر للبعوث الإسلامية ٦٤٠ ، دفاع عنه ٧٨٣ ، الأزهر والثورة العرابية ، ٩٧٠ ، معهد دمنهور ١٠٢٣ ، معهد زفتى ١٠٢٣ ، معهد قاقوس ١٠٢٤ ، ١١٥٠ ، اعتماد للبعوث الاسلامية ١٠٢٦ ، تعديل أحكام امتحان التجويد ١٠٢٤ ، تدريباته العسكرية ١٠٦٠ ، كتيبة خالد بن الوليد ١١٥٥ ، الأزهر ونظامنا الدستورى ١٢٢٣
الأزهرى : رسالته فى عهده الجديد ١٣٧
أساس الشعور بالمسئولية ٥٤٤
أستاذ المرأة (كتاب) ١١٤٩
استعراض لاقتصاديات الشرق الأوسط (كتاب) ١٢٠
الاستعمار البريطانى (احتضاره) ٥١٢
الاستعمار الفرنسى فى شمال إفريقية (انتحاره) ٥٠٧ ، خسائره فى الهند الصينية ٥١٧ ، كما يصفه كاتب فرنسى ٦٦٧
استعمار القلوب والعقول ١٠٢٦
الاستعمار يقرب من نهايته ١١٩٧
أسرار الاسلام فى تعدد الزوجات ٨٨١
الاسلام : فتح لعالم جديد ٢ ، رأيه فى القتال ١٥ ، تدعيمه للأسرة ٦٨ ، أثره فى الفنون الزخرفية ٩٥ . ما قاله عنه جيبون ولزوجيته ودى كاسترى وكارليل وجب ١٠٩ تحديد الملكيه فيه ١٤١ ، ٣٦٠ ، مساهمته فى بناء السلام ٢٢٠ ، سماحته فى معاملة غير المسلمين ٣١٣ ، طريقته فى قبول المنافع ٣٦٣ ، الاسلام والسلام ٣٩٣ ، الحكم فى الاسلام ٤٠٨ ، ٦١١ ، ٧٢٢ ، المسئولية الحكومية فيه ٤٥٢ . موقفه من الشيوعية والرأسمالية ٤٥٨ ، ثورته على الفوارق الجاهليه ٤٦١ ، إنكاره للمحسوبيه ١٠٦٣

الإسلام رسالة الاصلاح والحرية (كتاب) ١١٤٩
الإسلام فى أمريكا ٨٤٨
أسماء جبال تهامة لعرام بن الأصبغ ٨٨٨
الاشاعات والأراجيف ٨٨٥
الاشتيانى المجتهد الشيعى وأحاديث الغيب ٣٢٩، ٦٩٧
الإصلاح يبدأ بالأخلاق ٩٠٠
أعمار زائفة (شعر) ٢٠٤
افتحوا للفقه أبواب الحياة ٤٢١
أفريقيا والبعوث الإسلامية ٢٤٩
الأفغان (كتاب انجليزى) ١١٩
أكمل رسالات الله ٤١٨
إلى الإسلام من جديد (كتاب سخيف) ٤٩٨
إلى الذين يشوهون تاريخ الإسلام ٩٧٤
الأمالى: نشأة كتبها وخصائصها ٥٥٤، ٦٨٧، ٨٢١ (أمالى ثعلب)، ١٠٧٧ (أمالى المرتضى)
إمام: ترجمة عبدالله بن مسعود ٩٥٣، ١٠٧٠
أمانتان: الأمانة الأولى هذه الأمة الإسلامية ٧٧٧، صدى الأمانة الأولى ٩٨٤، الأمانة الثانية هذا التراث العلمى الإسلامى ٩٠٥، صدى الأمانة الثانية ١١١٣
أمر الله والقائمون عليه: كلمة لعمر ٨٦٨
أمريكا: بين العرب واليهود ٢٥٩، أمريكا والعرب ٩٠٣
الأمم السعيدة والأمم الشقية ١١٦٥
الأمة الإسلامية كيف بناها محمد ٢٦٥
الأموال ونظرية العقد فى الفقه الإسلامى ١٠١٨
أنى لك هذه ٣٥٩
أناتول فرانس: كلمات له ٩٣٨
أندونيسيا: دستور إسلامى لها ٦٤٤، مؤتمر إسلامى فيها ١١٥٧
الإنسانية بين النظام المحمدى والنظام الإسرائيلى ٢٦٨
انشتاين يتحدث عن أدب العلم ٢٥٢
إنما يقدس المرء عمله ٧٠٤
أهل السنة: تسامحهم فى الرواية عن المخالفين ٣٠٦
ايران وبريطانيا ٢٦٣، النشاط اليهودى فيها ٢٦٤، تحريمها الخمر ٧٧٥
الإيمان يصنع المعجزات ٤٦٥
أيهما المعتدى: المتبرجة أم المجترىء عليها ٩٩٥

(ب)

باكستان: العربية فيها ٣٨٢، قضية كشمير ٢٥٨، ٣٨٧، دستورها الجديد ٦٤٤، حديث عن دستورها لعبد الوهاب عزام ٧٧٣، فتنة القاديانية فيها ٩٠٣، الحكم على المودودى ١١٥٧
البترول: مشكلته فى إيران ١٣٣، صناعته فى مصر ٢٦١
البحر الأحمر: فراديس فى جزائره ٢٦١
البحرين ومطامع إيران ١٠٣١
البذورة: بمعنى صغار الأولاد ٤٧٦
برخ: بمعنى كثير موفور ٤٧٧

برقة : زيارة ملكها مصر ٤٩٣ . تحريم المسكرات فيها ٩٠٣
بركان فيزوف ٥١٨
برنارشو رسالته إلى بلنت عن الاستعمار ١١٩٩
البطولة الإسلامية فى القتال ٩
البعثات السعودية بمصر ٦٤٣
البكتاشية : تعليق على فتوى فيهم ٢٨٣
البلاغة والتجديد ١٠٠٤
بماذا نبدأ ٦٥٥
بنك دولى عربى ١١٥٩
بنو خفاجة (تاريخهم) ٢٤٦ ، ١١٤٧
البهائيون مرتدون (فتوى) ٢٣٨ ، تعليق على الفتوى ٢٨٣
البهى الخولى : كتاب آدم عليه السلام ١١٤٦
المرأة بين البيت والمجتمع ١١٤٧
البيان والبديع فى القرآن (محاورة بين ابن دريد والسجستانى) ١٣٤
البيت العتيق ٦٦٢ ، ٧٨٦ ، ٩١٨ ، ١٠٤٨
البيرونى ٧٩
بين الجد واللعب : البينات فى القضاء ٩٩٩

(ت — ث)

تاريخ الأمم والملوك للطبرى (قيمة رواياته ، وكيفية الانتفاع منه) ٢١٠
تاريخ جبل نابلس والبلقاء ١١٤٨
تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند وباكستان ٨٩١
تاريخ العراق لابن سند ٣٧٩
تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٧٥٥
التاريخ هل يعيد نفسه ؟ ٩٦٦
تاغور : رأيه فى التعليم الأجنبى والقومى ٦٥٤
تبديد المخاوف من إقامة دين الله ٥٦٦
التبشير المسيحى بجنوب السودان ٦٤٥
تحريم التعامل مع الانجليز بالقنال ١١٥٦
تحريم المسكرات فى برقة ٩٠٣
تحقيق القول فى ليلة القدر ١١٧٥
تدوين اللغة ١٠٨٦
التراجم : التعبير فيها عن الحقائق ١٢٦
التربية بالقدوة ٨٢٠
التربيه فى القرآن (كتاب) ٧٥٩ .
تركيا : فى نظر الأمريكيين ١٠٣١ ، تنكرها للإسلام ١١٥٨ .
تسامح أهل السنة فى الرواية عن المخالفين ٣٠٦
تشجير مصر ٩٠١ .
التشريع الإسلامى : أسسه ٣٠ ، مناهج الفقهاء فيه ٣٧ ، جهود فقهائه ٤٦ ، كلمات فيه لأعلام الغربيين ٨٨٥ .
التصوف فى مختلف الديانات ٨٩٣ .
تصويب لغوى : سى وستى ، مخطىء وخاطىء يفلح ويفلح ، أمسية ١١٣٩ .
تطهير الأداة الحكومية فى تاريخ الإسلام ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٧٣٢ .
التطهير فى الإسلام ٦٦٨ ، ٧٩٧ ، ٩٢٥ .
تطور مصر سنة ١٩٢٤-١٩٥٠ (كتاب) ١١٨
تعاون الاستعمار ١١٥٨ .
التعاون فى إنهاض القرية المصرية ٧٦٩ .

مكتبتنا العربية

التعبير فى الفن ١٢٣٦
تعديل أنصبة الدول العربية بالجامعة ١٢٧٢
التعليم الاجنبي والتعليم القومى ٦٥٤ .
التعليم الثانوى (انحطاطه) ٨٩٥ ، نظامه ١٠٢٥
التعليم الدينى فى المدارس الاجنبيه ١١٥٠ .
التعليم الفنى المتوسط ٢٥٤ .
التعليم فى مصر ٥١٣ ، مشكلاته ١٠٣٩ .
تعويضات المانيا لإسرائيل ٣٨٦ ٧٢٢٠٧٧٢
التفسير ٥٨١ ، ٧٩٢ ، ١٠٤٤
تفسير جزء عم لعبيد ٧٦٠
التفسير الواضح (كتاب) ١١٨ ، ١٠١٦
التقشف : الدعوة إليه ٤٤٣
التقليد والمحاكاة فى نهضتنا ٩٢١
تونس : مشكلتها ١٣٣ ، قضيتها ٢٥٥
التوراة والإنجيل بأسلوب عصرى ١٢٨
ثعلب (أحمد بن يحي) ترجمته ووصف أماليه ٨٢١
ثقافتنا الحائرة ١١٦١
الثورة العرابية والأزهر ٩٧٠

(ج)

الجامع الاموى بدمشق ٨٤
جامع جديد بلندن ١٠٢٨
جامع عمرو بالفسطاط ٨١
الجامعات : رسالتها ٧٦٧ ، الجامعى الصالح ٧٦٧ ، اختناق الجامعات المصرية ١٠٢٥
جامعة الدول العربية : نعمة ضائعة ١٠٢٩ قراراتها الأخيرة ١١٥٥
جبران خليل جبران : كلمات له ١٠٣٨
الجرائد : بيتان فيها لحافظ ابراهيم ٨٨٠
الجدل والعمل : كلمة للأوزاعى ١٢١٧
جرير والأخطل : بدء تعارفهما ٤١٢
الجزائر فى ستة أشهر ٦٥٤
جزائر مالديف ٧٧٥
جماعة التقريب بين المذاهب ٢٨٣ ٣٢٩ ٥٣٣
جماعة كبار العلماء ٢٤٨ ، ٣٨١
جمعية تبشيرية وقحة ١٠٣١
جميل صليبا : الرسالة الجامعة ٧٦١
الجندية فى صدر الإسلام ٦٢٤ ٨٥٧ ١١١٠
الجهاد أعلى مراتب العبادة ١٠٨٣
جهاد النفس تربية روحية ١١٠٣
جوركى الكاتب الروسى : ذكراه ١٢٦
جيش إقليمى من معسكرات التدريب ٩٠١
الجيش المصرى : وثبته على الطغيان ١٣١
جيل يؤمن بالأخلاق ٨٣٩

(ح)

حاتم الأصم : ترجمته ٣٦٤ .
حاجة الشرق إلى حكم صالح ٣٦٧ .
الحاكم فى الاسلام ٨٦٩ .
حامد محيسن : التفسير ٥٨١ ، ٧٩٢ ، ١٠٤٤
حبيب بن مسلمة مثال المجاهدين الاولين ١١٧٤
الحجاز : مرافقه ٢٦٠ .
الحدود فى نظر الاسلام ٢٢٥ .
الحديث النبوى : مقاصده ، ألفاظه ، معانيه ١٨٣ ، ٤٣٠ ، ٥٦٩ روايته وتدوينه ٤٤٦
الحديد : تعدينه وصناعته فى مصر ٣٨٩ .
حركة المطالعة فى مصر ٢٥٤ .
الحزبية ٣٠١ ، الحزبية فى القرآن ٧٠٥ .

مكتبتنا العربية

حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ١٠٢٠ .
حسن عبد الوهاب : خصائص العمارة الاسلاميه ٨١ .
حصار إسرائيل ١٢٧٢
الحق مغضبة ٥٥٣ .
حقائق ٦٤٩ .
حقوق الأكفياء ٤٠٣ .
حقوق الانسان فى الإسلام ٨٣٥ العدالة الاجتماعيه ٩٥٩ .
حقوق المرأة فى الإسلام (رسالة) ٥٠٣
حقيقة الوجوب والنهى ٨١٨
الحكم بما أنزل الله ٨٦٤
الحكم التكليفى والوضعى ٤٣٨
الحكم : خير نظام له ٦٨٤
الحكم فى الإسلام ٤٠٨ ، ٦١١ ، ٧٣٢
حكم وأمثال وطرف ٢٠٩ ، ٢٦٧ ، ٢٩٥
الحكومات العربية : تقاربها ١١٥٥
حلقة الدراسات الاجتماعية ٢٥٣ ، ٥١٤
حمزة بن عبد المطلب ٤٥٤
حمزة محمد الشيخ : التعبير فى الفن ١٢٣٦
حى بن يقظان بتحقيق أحمد أمين: نقد تحليلى ١١٢٨
الحياء فى الحديث النبوى ٨٧٦
الحياة الاجتماعية واضطرابها بمصر ٢٥٣
الحيون : الرفق به فى الإسلام ٦٠٣

(ج)

الختان ١٢٤٢
الخرائط الرمزية أصلها من اليمن ٦٩٣
خصب العقول وجدبها ٥٢٦
الخصومات الأدبيه وأثرها فى النقد ٦١٩
الخطر الاسرائيلى ٧٧٤
خطيب سيف ومنبر ١٠٣٠
خلاصه تاريخ تونس ١٠٢٠
خليل مردم . ديوان ابن حيوس ١٠٢٠ ، ديوان على بن الجهم ١١٤٢ ، ديوان ابن عنين ١٢٦٧
خير الزوجات فى نظر الاسلام ١١١٩
خير نظام للحكم ٦٨٤

(د ـ ذ)

الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى ٨٨٦
الدراسات الاسلاميه : فى الصومال ٧٦٨ ، فى كندا ١٢٤
درجات الناس (كتاب) ٣٧٩
دستور إسلامى لاندونيسيا ٦٤٤
دستور باكستان الجديد ٦٤٤ ، ٧٧٣
دستور الدولة فى نظر الاسلام ٦١٥
دستور سنة ١٩٢٣ (سقوطه) ٥٠٤
الدعوة إلى عقد المؤتمر الإسلامى فى القاهرة ٧٤٨
دفاع عن الأزهر ٧٨٣
دم وزيت ورمال (كتاب انجليزى) ١٢٢
دموع الشفاء ١٢٩
دنانير إسلامية بالفسطاط ٢٩١
الدول العربية : ميثاق اجتماعى لها ٦٤٤
ديكارت : الفطرة السليمة عنده ٧٣٥
الدين فى أوربا وعلاقته بالعلم ١٢٣١
الدين والاخلاق فى المدارس ٣٨٢
دين ودولة (كتاب) ١١٤٤
الدين والقوة وسيلتان لغاية واحدة ١٥٥
ديوان ابن حيوس الغنوى ١٠٢٠
ديوان على بن الجهم ١١٤٢

ديوان ابن عنين ١٢٦٧
ديوان مجد الإسلام ٩٥٠ ، ١٠٩٢ ، ١٢٠٦
ذكريات تهز مشاعر الإنسانية ٤٧٢
الذكريات الخالدات فى رمضان ١١٠٧

ر — ز

رائد الشعر الحديث (كتاب) ١٢٧٠
الرأسمالية والشيوعية : موقف الإسلام منهما ٤٥٨ .
الربح الفاحش والاحتكار ٣٥٠ .
الرحلة العربية ورحلات صحراوية (كتاب إنجليزى) ١٢٠ .
الرحمة وآثارها ٥٩٢ .
رد على كتاب السقيفة ٧٦٠ .
الرسالة الجامعة للدجريطى ٧٦١ .
رسالة الصلاة للإمام أحمد ٣٨٠ .
الرسالة المحمدية لسليمان الندوى ١٠١٦ .
رسول الله فى الطائف ٨٦٠ .
رمضان وشيطانه ١٠٩٥ .
رواية أهل السنة عن مخالفيهم ٣٠٦ .
الروتين الحكومى : كلمة فيه لوزير الإرشاد ٩٠١
الزكام ١٣٦ .
الزهر : كلمات فى وصفه ٩٤٣ .

(س)

السجل الثقافى ٥٠١
سدود أعالى النيل ٣٩٠
السرطان والطب العربى ١٢٨
سعد محمد حسن : نقد طبعة أحمد أمين لحى ابن يقظان ١١٢٨
سعيد زايد : العلية فى فلسفة هيوم ٤٨١ ، الفطرة السليمة عند ديكارت ٧٣٥ ، الفرض العلمى ٨٧٢ ، ١٠٠٧
السل : معالجته بعقاقير جديدة ١٣٠
سليمان الندوى : الرسالة المحمدية ١٠١٦
السنسكريتية : مؤتمر لغوى لها ٣٨٢
السنة : دعاء واستغاثة ١٥٩ ، الحب الإلهى ٢٩٦ ، حقوق الأكفياء ٤٠٣ ، تخير العاملين ٥٣٨ ، التطهير فى الإسلام ٦٦٨ ، ٧٩٧ ، ٩٢٥ ، من أسرار الصوم وآدابه ١٠٥٥ من صفات القائد ١١٩٣
السودان ومصر ٣٨٥ ، التبشير فى جنوب السودان ٦٤٥ ، وثيقة جنوب السودان ٦٤٥ ، السودانيون يقررون مصيرهم ٧٧٠ تصرفات الانجليز فى السودان ٨٩٧
سوريا : تحريرها الاقتصادى ١٠٣٠
سياسة التعليم فى وزارة المعارف ٣٨٤ ، سياسة خاطئة ٨٩٥
السياسة المصرية قبل العهد الأخير ١٢٧٢
السيد : نفسيات (شعر) ٨٤٣ ، البينات ٩٩٩ ، تصويب لغوى ١١٣٩
سيد قطب : طبيعة الفتح الإسلامى ٢١
السيد كمال الشورى : المسئولية الحكومية فى الإسلام ٤٥٢
ابن سينا ٧٩ ، الكتاب الذهبى لمهرجانه ٨٩٠
السينما بوزارة المعارف ٢٥٤

(ش)

الشرق الأوسط من منابع ثقافة أمريكا ٢٥٣
الشرق الأوسط فى مؤتمر برمودة ١٢٧١
الشرق والغرب وهل يجتمعان ٩١٢
شريعة الله وشرائع الإنسان ٥٠
شعار المؤمن : السمع والطاعة للحق والعدل ١٧٦

شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول الهجرى ٢٤٢
شللى : ذكراه ١٢٦
شهداء حرب فلسطين ١١٥٦
شهر التصرفات بين القانون والشريعة ٨١٤
الشيوعية والرأسمالية : موقف الإسلام منهما ٤٥٨

(ص)

الصاحب بن عباد : كلمات له ١١٤١، ١١٦٨
صاحب الجلالة البترول (كتاب فرنسى) ١٢٠
صحوة الأرواح ٣٢٤
صحيح ابن حبان ٦٢٨
صدى الأمانة الثانية ١١١٣
صدى قاصمتى مجلة دار التقريب ٦٩٤
صلاح الدين المنجد : تاريخ ابن عساكر ٧٥٥، وقف أسعد باشا العظم ١١٤٥
صناعات أبناء الملوك ٢٧٧
الصوم : أسراره وآدابه ١٠٥٥، والتربية النفسية ١٠٩٧
الصومال : الدراسات الإسلامية فيها ٧٦٨

(ط)

طه محمد الساكت : السنة ١٥٩ دعاء واستغاثة، ٢٩٦ الحب الالهى، ٣٧٩ درجات الناس (كتاب)، ٤٠٣ حقوق الاكفياء، ٥٥٣٨ تخير العاملين، ٦٦٨، ٧٩٧، ٩٢٥ التطهير فى الإسلام، ١٠٥٥ من أسرار الصوم وآدابه، ١١٩٣ من صفات القائد
الطب العربى والسرطان ١٢٨
طباعة الكتب الروسية بأمريكا ١٢٥
طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٤٩٤
الطبقة المتوسطة : كلمة لابن المعتمر ١٠٠٣
طرابلس الغرب : قانونها الأساسى ٢٦٣
طريق الافادة من الفقه الإسلامى ٥٤٩
طلحة بن عبيد الله (ترجمته) ٥٦٠
الطليان : جمع طلى بمعنى الخروف ٤٧٦
طليعة الوحى الإلهى ٢٣٢
طوائف : بهائية وبكتاشية ثم جماعة التقريب ٢٨٣
طور سينا : مخطوطاته ٥١٦

(ع — غ)

العاجلة والآجلة ٥٢١ كلمة فيهما لسهل بن هارون ٩١١.
عباس محمود العقاد : القرآن واللغة ٥٥
عبد الجليل النمر : الحاجة لمدارس تحفيظ القرآن ٢٣٠
عبد الحليم النجار : نشأة المعاجم اللغوية وأطوارها (تدوين اللغة) ١٠٨٦
عبد الحميد العبادى : البطولة الإسلامية فى القتال ٩
عبد الحميد المسلوت : ثورة الإسلام على الفوارق الجاهلية ٤٦١، المسلمون على مفترق الطرق ٥٨٤، وحدة الأمة سبيلها الى النصر ٧٢٩
عبد الرحمن تاج : تحقيق القول فى ليلة القدر ١١٧٥
عبد الرحيم فرغلى : أثر العقيدة فى نفوس المسلمين ٣٣١، كيف بنى المسلمون مجدهم

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مكتبتنا العربية

٤٤٩ ، الرحمة وآثارها ٥٩٢ ، أسرار الإسلام فى تعدد الزوجات ٨٨١ ، خير الزوجات فى نظر الإسلام ١١١٩
عبد الغنى إسماعيل : النقد الأدبى وتاريخه ٩٩٣ ، ١٢١٨
عبد الغنى عوض الراجحى : فضل الرسول على قومه ٨٧٧
عبد الفتاح السرنجاوى : مخطوط فريد ١١٤
عبد القادر شيبة الحمد : حقوق المرأة فى الإسلام ٥٠٣
عبد الله أمين : مجلة الأزهر ١٠٢
عبد الله قاسم صقر : ترجمة حاتم الأصم ٣٦٤
القعقاع بن عمرو (كتاب) ٨٩٤
عبد الله المراغى : الحكم النكليزى والوضعى ٤٣٥ ، حقيقة الوجوب والنهى ٨١٨
عبد الله بن مسعود : ترجمته ٩٥٣ ، ١٠٧٠
عبد اللطيف محمد السبكى : الدين والقوة ١٥٥ طوائف ٢٨٣ ، نفحات القرآن ٥٣٣ ، ٦٦٢ ، ٧٨٦ ، ٩١٨ ، ١٠٤٨ ١١٦٩
عبد المنعم محمد الشيخ : مملكة تقلى ٣٧٦ ، ٤٨٨ ، ٨١٨
عبد المنعم النمر : رسول الله فى الطائف ٨٦٠
عبد الوهاب حودة : نشأة كتب الأمالى وخصائصها ٥٥٤ ، ٦٨٧ ، أمالى ثعلب ٨٢١ ، أمالى المرتضى ١٠٧٧ ، نظرية الانساب فى الميزان ٨٦٤ الفكاهة فى الأدب العربى ١٢٤٥
عبد الوهاب خلاف : جهود الفقهاء فى التشريع ٤٦
عبد الوهاب عبد اللطيف : المختصر فى علم رجال الأثر ٢٤٧
عبد الوهاب عزام : سر نجاح الفتوح الاسلامية ٥ ، حديث له عن دستور باكستان ٧٧٣
العدالة الاجتماعية فى الاسلام ٩٥٩
العدل والظالم ١١٦٩
عدنان الخطيب : لغة القانون فى الدول العربية ١١٤٩
العراف المستقل (كتاب إنجليزى) ١١٩
عرام بن الأصبغ : أسماء جبال تهامة ٨٨٨
العرب : فضلهم على فلسفة اليونان ٦٢
العربى ليس أجنبيا فى بلاد العرب ٨٩٩
العربية : بين الجزر والمد ١٨٨ ، ١٩٣ ، فى كلها ١٩٧ ، فى باكستان ٣٩٢ ، رمز وحدة ثقافية ومدنية ٥٤٨
عز الدين إسماعيل : العربية بين المد الجزر ١٨٨ ، الخصومات الأدبية وأثرها فى النقد ٦١٩ ، جهاد النفس تربية روحية ١١٠٣
العقول : خصبها وجدبها ٥٢٦
العقيدة الإسلامية : أثرها فى سمو الإنسان ٢٦
العلم بين الأساتذة والطلاب ١٢٣٩
العلم : لاقيمة له إلا بفضائل الخلق ١٩٨
علم التوحيد : مناهج تدريسه ٦٧٩
العلم المصرى وعلم التحرير ٩٠١
علم النفس الاجتماعى ومشاكل السلم والحرب ١٢٥
العلم والأخلاق ٢٥٢
العلم وعلاقته بالدين ١٠١١
العلماء المسلمون : جهودهم فى ميدان العلوم ٧٣

مكتبتنا العربية

علوم البلاغة فى الميزان ٣٣٤ ، ٧٠٩
على الخفيف : أسس التشريع الاسلامى ٣٠
على الطنطاوى : الاجتهاد والتقليد ١٧١ ، علم التوحيد ٦٧٩
على عبد الواحد وافى : تدعيم الإسلام للأسرة ٦٨
على مصطفى الغرابى : بين الفلسفة وعلم الكلام ٣٢٦ ، ٤٦٨ ، ٦٠٨
العلية فى فلسفة هيوم ٤٨١
عمائم حربية للميدان ٥١٩
العمارة الاسلامية : خصائصها ٨١
العمال : حسن اختيارهم فى الاسلام ٥٣٨
عمر حليق : كتب افرنجية فى موضوعات إسلامية ١١٨
عمر طلعت زهران : كفاح مسلمى الفلبين ٩٨٨
كتب غربية عن الاسلام ١٢٥٨
عمر بن عبد العزيز والقرآن ٥٩٦
العنـــاية بدراسة الاسلام بالجامعات ٣٥٢
عهدان ٢٠٢
العواصم من القواصم (كتاب) ٢٤٤
العيـــد الفضى للجزيرة العربية (كتاب انجليزى) ١٢١
غرور ١٢٢٧
الغزو الفكرى للبلاد الاسلامية ٩٧٥
غوطة دمشق (كتاب) ٦٣٧

(ف)

فاتح مصر عمرو بن العاص (رسالة) ٨٩٤
فتاوى : البهائيون مرتدون ٢٣٨ ، تصوير المرأة العارية ٢٣٩ ، الهدايا والنذور ٢٤٠ ، توسيع الطريق من المسجد ٧١٥ ، مصارف الزكاة ٧١٧ ، ٩٩٧ ، خطبة الجمعة بغير العربية ٨٥١ ، الزكاة غير الضرائب ٨٥٢ الصلاة لا تغنى عنها فدية ، نقل رفات الشهداء والصلاة عليهم ٩٩٦ ، تبرع غير المسلمين لبناء مسجد ٩٩٨ ، الصوم والفطر بحساب الفلكيين ١١٠١
الفتح المبين : بيعة الرضوان ١٠٦
الفتوى : أهلها الأولون ١٧٥
الفتوح الإسلامية : سر نجاحها ٥ ، طبيعتها ٢١
الفردية والوعى الاجتماعى ٣٨٣
الفرض العلمى ٨٧٢ ، ١٠٠٧
فريتاغ الألمانى : كلمته فى العربية وعلومها ٨٥٦
فصل الدين عن الدنيا لا يصح فى الإسلام ٧٠١
فضل الرسول على قومه ٨٧٧
الفطرة السليمة عند ديكارت ٧٣٥
الفقه الإسلامى : نشأته وخصائصه ١٦٤ ، ٢٧٨ ، ٤١٣ ، افتحوا له أبواب الحياة ، ٤٢١ ، طريق الإفادة منه ٥٤٩ ، أزمته ٦٧٣ ، ٨٠٩ ، ٩٣٤ ، كفانا تقليداً فيه ١٠٦٥ ، ١١٨٨
الفكاهة فى الأدب العربى ١٢٤٥
فلبين : قصة كفاح مسلميها ٩٨٨
فلسطين العربية الإسلامية ٣٤١ ، قضيتها ٥٠٥ ، والتعويضات الألمانية لإسرائيل ٣٨٦ ، ٧٢٢
فلسفة غاندى الاقتصادية ٢٤٧
الفلسفة وعلم الكلام ٣٢٦ ، ٤٦٨ ، ٨٠٦
فلسفة اليونان : فضل العرب عليها ٦٢
فهارس البخارى (كتاب) ٤٩٩

مكتبتنا العربية

الفوارق الجاهلية : ثورة الإسلام عليها ٤٦١
فى مولد الرسول (شعر) ٣٧٥
فى يوم الفتح الأعظم ١١١٥
(ق)
القاديانيون : فتنهم فى لاهور ٩٠٣
قاصمتان فى مجلة دار التقريب ٣٢٩ حداهما ٦٩٤
قانون حماية الآداب ٧٧٥
القبعة ٢٢٨ ، ٢٢٩
القرآن : واللغة ٥٥ ، صور القوة فيه ١٧٩ ،
المدارس لتحفيظه ٢٣٠ حديثه عن اللغو ٩٤٤
قصة المولد لنافع الجوهرى ٧٦٦
القضاء الإسلامى وضمائر المتقاضين ٥٩٥
قطارات الرحمة للناجى فلسطين ٥٠٧
القعقاع بن عمرو (رسالة) ٨٩٤
القليل المتواصل والكثير المنقطع ٤٢٣
قواعد الحكم فى مصر بفترة الانتقال ٧٦٩
(ك)
كارثة القرم الإسلامية ١١٤٨
كارديف : مدرسة إسلامية فيها ٧٦٨
كامل محمد عجلان : ذكريات رمضان ١١٠٧
(ك)
الكتاب الذهبى لمهرجان ابن سينا ٨٩٠ .
كتاب وقف أسعد باشا العظيم ١١٤٥ .
كتب غربية عن الاسلام ١٢٥٨
الكتب الفلسفية المحرفة وسبيل إصلاحها ٤٢٤
الكتب فى المدارس الأهلية ٨٩٦ .
كتلة حيادية من أمم الشرق ٢٥٨ .
كتيبة خالد بن الوليد ١٥٥ ، ١٢٧٣
كشمير : قضيتها ٢٥٨ ، ٣٨٧ .
كفاح مسلمى الفلبين ٩٨٨ .
كفايا تقليداً فى الفقه ١٠٦٥ ١٠٨٨ .
الكلام والفسفة ٣٢٦ ، ٤٦٨ ، ٦٠٨ :
الكليات العملية فى جامعاتنا ٣٨٣ .
كمال أحمد عون : صدى الأمانة الأولى ٩٨٤ .
كنوز الأجداد (كتاب) ٨٩٠
كوبرى الفردان : الجلاء عنه ٢٦١
كيف بنى المسلمون مجدهم ٤٤٩
كيف ننتصر على أنفسنا : تنظيم الارادة والغرائز ٨٠٢
(ل)
اللاسلكى : أول من اخترعه ١٢٩
اللامركزية والإصلاح الاجتماعى بمصر ٦٤٦
لبنان وحركة الإصلاح ١٣٢ ، رئيس لبنان يزور الرياض ٧٧٤
اللحن بالعربية كذب وذنب ٨٤٢
اللغز والمعمى ٢٠٤ ، ٣٤٤
اللغة الأجنبية فى التعليم الابتدائى ٧٦٧
لغة العرب وعلومها : كلمة لفريتاغ ٨٥٦
لغة القانون فى الدول العربية ١١٤٩
اللغو : حديث القرآن عنه ٩٤٤
لغويات : ٢٠٤ ، ٣٤٤ ، ٤٧٦ ، ٥٧٧ ، ٧٢٥ ، ٨٤٤ ، ٩٣٩
لماذا صار المسلمون هدفا للمستعمرين ٨٥٤
اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٦٣٦
ليبيا : انضمامها للجامعة العربية ٣٨٥
ليلة القدر ١١٧٥
(م)
ما أشبه الليلة بالبارحة ٧٤٤

مكتبتنا العربية

ماو ماو (ثورتهم على الانجليز) ٣٨٨ ، ٥١٢ ، ١٠٢٩
ما وراء الآيات (كتاب) ٧٥٨
ابن المبارك : ترجمته ١٢٩١
المجتمعات الإسلامية فى القرن الاول (كتاب) ٢٤٢
مجلة الأزهر ١٠٢ ، ٦٤١
مجمع اللغة العربية ٢٥٢
مجمل تاريخ أسيوط للطوبجى ٧٦٣
محادثات الجلاء عن مصر وتوقفها ١١٥١
محب الدين الخطيب : رسالة الأزهرى فى عهده الجديد ١٣٧ ، مشيخة الأزهر فى أكمل ماشاهدناه من عهودها ١٤٦ ، مد العربية وجزرها ١٩٣ ، تاريخ الأمم والملوك للطبرى ٢١٠ ، التعليقات على العواصم من القواصم ٢٤٤ ، الإنسانية بين النظام المحمدى والنظام الاسرائيلى ٢٦٨ ، تسامح أهل السنة فى الرواية عن المخالفين ٣٠٦ ، قاصمتان خبيثتان فى مجلة دار التقريب ٣٢٩ ، من نحن ٣٩٧ ، الدعوة إلى التقشف ٤٤٣ ، العاجلة والآجلة ٥٢١ ، حقائق ٦٤٩ ، صدى قاصمتى مجلة دار التقريب ٦٩٤ ، أمانتان : الأمانة الأولى هذه الأمة الإسلامية ٧٧٧ ، الأمانة الثانية هذا التراث العلمى الإسلامى ٩٠٥ من طالب علم إلى طلاب العلم ١٠٣٣ ، رمضان وشيطانه ١٠٥٩ ، ثقافتنا الحائرة ١١٦١ ، التعريف بالكتب من الجزء الثانى إلى آخر السنة ، أبواب المجلة الملحقة بأجزائها ، استخراج وترتيب هذا الفهرس العام
المحجر الصحى فى جدة ٧٧٤
محمد ﷺ : كيف بنى الأمة الإسلامية ٢٦٥ ، موهبته السياسية ٢٧٤ ، الإيمان بما أخبر به من الغيب ٣٢٩ ، ذكريات ميلاده ٥٥٥ ، مولده ٣٧١ ، مشعر لابن الزبعرى فى مدحه ٤٣٨ شعر لكعب بن مالك فى مسيره من حنين إلى الطائف ٤٤٢ محمد قائد الإسلام ١٢١٤
محمد بن جرير الطبرى : تحقيق عن تاريخه ٢١٠ ، عفته ونزاهته ٧٨٢
محمد جمال الدين محفوظ : الجندية فى صدر الإسلام ٦٢٤ ، ٨٥٧ ، ١١١٠ ، محمد قائد الإسلام ١٢١٤
محمد الخضر حسين (الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر) : كيف تولى المشيخة ١٤٩ ، حديث له مع مندوب الأهرام ١٥١ ، لا قيمة للعلم ما لم تلازمه الفضائل الخلقية ١٩٨ ، كلمة إلى الطلبة فى افتتاح العام الدراسى ٢٠١ ، استنكار القبعة ٢٢٨ ، أعمار زائفة (شعر) ٣٠٤ . سماحة الإسلام ٣١٣ ، الميسر وورق اليانصيب ٣١٧ ، الاحتكار والربح الفاحش ٣٥٠ ، أكمل رسالات الله ٤١٨ ، موقف الإسلام من الشيوعية والرأسمالية ٤٥٨ ، ما يجب على المسلمين لتونس والجزائر ومراكش ٤٩٢ ، المرأة والوظائف العامة ٥٧٢ ، الرفق بالحيوان فى الشريعة الإسلامية ٦٠٣ ، خير نظام للحكم ٦٨٤ ، قضية فلسطين والتعويضات الألمانية لاسرائيل ٧٢٢ ،

مكتبتنا العربية

الدعوة إلى عقد المؤتمر الإسلامى بالقاهرة ٧٤٨ ، جيل يؤمن بالأخلاق ٨٣٩ ، لماذا صار المسلمون هدفا للمستعمرين ٨٥٤ ، التقليد والمحاكاة (ما نأخذ وما ندع) ٩٣١ ، الأزهريون والتدريبات العسكرية ١٠٦٠ ، الإسلام لا يقر المحسوبية ١٠٦٣ ، الجهاد أعلى مراتب العبادة ١٠٨٣ ، الاستعمار يقرب من نهايته ١١٩٧ ، العلم بين الأساتذة والطلاب ١٢٣٩

محمد خليفة : صحوة الأرواح ٣٢٤ . الإيمان يصنع المعجزات ٤٦٥ ، ما أشبه الليلة بالبارحة ٧٤٤

محمد بن سالم البيحانى : أستاذ المرأة (كتاب) ١١٤٩

محمد السماحى : طليعة الوحى الالهى ٢٣٢

محمد صبرى عابدين : فلسطين العربية الإسلامية ٣٤١ الغزو الفكرى للبلاد الاسلامية ٩٧٥ ، الأردن والبلقاء فى تاريخ الاسلام ١٢٠٠

محمد الطيب النجار : فى يوم الفتح الأعظم ١١١٥

محمد عبد السلام القبانى : مساهمة الاسلام فى بناء السلام ٢٢٠ ، العناية بدراسة الاسلام فى الجامعات ٣٥٢ ، تبديد المخاوف من إقامة دين الله ٥٦٦ ، فصل الدين عن الدنيا ٧٠١

محمد عبد القادر : فى مولد الرسول ٢٧٥

محمد عبد الله دراز : رأى الاسلام فى القتال ١٥ ، شعار المؤمن السمع والطاعة للحق والعدل ١٧٦ أساس الشعور بالمسئولية ٥٤٤ تنظيم العلاقة بين الارادة والغريزة ٨٠٢

محمد عبد الله السمان : التربية فى القرآن ٧٥٩

محمد عبد المنعم خفاجه : مهاجرون وأنصار ٢١٦ بنو خفاجة وتاريخهم ٢٤٦ ، ١١٤٧ ، مولد منقذ الانسانية ٣٧١ ، ذكريات تهز مشاعر الانسانية ٤٧٢ ، البلاغة والتجديد ١٠٠٤ الاسلام رسالة الاصلاح والحرية ١١٤٩

محمد عرفة : جهود المسلمين فى النحو والبلاغة ٥٨ تحديد الملكية فى الاسلام ١٤١ عهد الـ ٢٠٢ كيف بنى محمد الأمة الاسلامية ٢٦٥ ، أمن الخير أن تبنى الأمه على الحزبية ٣٠١ ، علوم البلاغة فى الميزان ٣٣٤ ، ٩٨٠ ، الاسلام والسلام ٣٩٣ ، الكتب الفلسفيه المحرفة وسبيل إصلاحها ٤٢٤ ، خصب العقول وجدبها ٥٢٦ الاشاعات والأراجيف ٥٨٨ بماذا نبدأ ٦٥٥ ، دفاع عن الأزهر ٧٨٣ الشرق والغرب وهل يجتمعان ٩١٢ ، مشكلات التعليم فى مصر ١٠٣٩ ، الأمم السعيدة والأمم الشقيه ١١٦٥ الختان ١٢٤٢

محمد على النجار : لغويات ٢٠٤ ، ٣٤٤ ، ٤٧٦ ، ٥٧٧ ، ٧٢٥ ، ٨٤٤ ، ٩٣٩ ، نظرات فى كتاب الأموال فى الفقه ١٢٥٢

محمد الغزالى : من صور القوة فى القرآن ١٧٩ ، من صور الفداء فى الإسلام ٣١٩

محمد غلاب : العلم وعلاقته بالدين ١٠١١ الدين فى أوربا وعلاقته بالعلم ١٢١٣

محمد فتحى محمد عثمان : تطهير الأداة الحكومية فى الإسلام ٤٠٨ ، ٦١١ ، ٧٣٢ ، حقوق الإنسان فى الإسلام ٨٣٥ ، العدالة الاجتماعية فى الإسلام ٩٥٩

محمد فهمى الطاوى : اختيار الزوجة ٧٥٢ ، ١١٣٦

محمد فؤاد عبد الباقى : معجم غريب القرآن ٥٠٢ ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٦٣٦
محمد كرد على : غوطة دمشق (كتاب) ٦٣٧
كنوز الأجداد (كتاب) ٨٩٠
محمد محمد أبو شهبة : موهبة النبي السياسية ٢٧٤ ، حمزة بن عبد المطلب ٤٥٤ ، طلحة بن عبيد الله ٥٦٠ ، الحكم بما أنزل الله ٨٦٤ ، الصوم والتربية النفسية ١٠٩٧
محمد محمد المدنى : العقيدة الإسلامية وأثرها فى سمو الإنسان ٢٦
محمد محمود حجازى : التفسير الواضح ١١٨ ، ١٠١٦
محمد المهدى الخالصى : دفاعه عن الاشتيانى ٦٩٧ ، رأيه فى مجلة دار التقريب وكتابها ٦٩٩
محمد نجيب (رئيس مصر) : كلمة له فى التربية والدين ٣٨٢ ، زيارته الأزهر وخطبته فيه ٤٨٥ ، خطبته عن مسئولية تحقيق الأهداف ٥١٤ ، كلمته فى سر نجاح حركة الجيش ٦٠٢ ، كلمته عن النظام فى المدارس ٦٤٢ ، إعلانه قواعد الحكم فى فترة الانتقال ٧٦٩ ، كلمة له فى المعلم والضابط ٨٩٦ ، نقده تصرفات الاداريين الانجليز فى السودان ٨٩٧ ، كلمته عن تعاون المسلمين ٨٩٩ ، أمنيته فى أن تكون الدول العربية ولايات متحدة ١٠٢٨
محمد يوسف موسى : شريعة الله وشرائع الانسان ٥٠ ، نشأة الفقه الاسلامى وخصائصه ١٦٤ ، ٢٧٨ ، ٤١٣ ، طريق الافادة من الفقه الاسلامى ٥٤٩ ، أزمة الفقه الاسلامى ٦٧٣ ، ٨٠٩ ، ٩٣٤ ، الأموال ونظرية العقد فى الفقه الاسلامى ١٠١٨ ، ١٢٥٢ ، كفانا تقليداً فى الفقه ١٠٦٥ ، ١١٨٨ ، صدى الأمانة الثانية ١١١٣
المحمل ١٠٢٧
محمود أحمد الحفنى : جهود المسلمين فى الموسيقى ٨٨
محمود شلتوت : اليوم أكملت لكم دينكم ٤٠ ، الفتح المبين ١٠٦
محمود فرج العقدة : رواية الحديث وتدوينه ٤٤٦
محمود فياض : حاجة الشرق إلى حكم صالح ٣٦٧ ، نظم الحكم فى الشرق ٧٣٩
هل يعيد التاريخ نفسه ٩٦٦
محمود محمد شاكر طبقات : فحول الشعراء للجمحى ٤٩٤
محمود النواوى : الحديث النبوى ١٨٣ ، ٤٣٠ ، ٥٦٩ ، نظام الإسلام السياسى ٢٨٨ ، آراء وأحاديث : علوم البلاغة فى الميزان ٧٠٩ . إمام (عبدالله بن مسعود) ٩٥٣ ، ١٠٧٠ ، وابن المبارك (ترجمته) ١٢٦١
محيى الدين رضا : الاسلام فى أمريكا ٨٤٨
المخ : مراكز الادراك فيه ٥١٨
المختصر فى علم رجال الأثر ٢٤٧
مدارس التحرير ٦٤٣
مدافن جديدة للقاهرة ٩٠٢

مكتبتنا العربية

المدخل الفقهى العام إلى الحقوق المدنية ٦٣٤
المدرسة : وظيفتها والنظام فيها ٦٤٢
مديرية التحرير ٩٠٢ ، ١١٥٩
مذاعات فى الاسلام (كتاب) ١١٤٦
المراتع الانسية فى أخبار الدولة العباسية (مخطوط) ١١٤
المرأة فى ظلال الاسلام ١٢٠٩
المرأة : كلمات عنها ٩٨٣
المرأة بين البيت والمجتمع (كتاب) ١١٤٧
المرأة المسترجلة : كلمة فيها اناطيون ١١١٢
المرأة والوظائف العامة ٥٧٢
المسألة السودانية (كتاب انجليزى) ١٢٢
المسئولية : أساس الشعور بها ٥٤٤
المسجد الاقصى : حمايته ٢٦٠ ، حاجة قبته إلى الاصلاح ١٠٢٨
المسجد النبوى ٨١ ، تجديده ٢٦٠ ، ١٠٢٧
مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ٨٩١
مسلمة بن أحمد المجريطى : الرسالة الجامعة ٧٦١
المسلمون بين يقظتهم وسباتهم (شعر) ٩٨٧
المسلمون فى الحكم الشيوعى ٢٦٤ ، ٨٩٩
المسلمون فى مفترق الطرق ٥٨٤
المسلمون كما يريدهم الاسلام ١٨٢
مشروعات السنوات الخمس بمصر ٦٤٧
مشكلات التعليم فى مصر ١٠٣٩
مصر : ميزانها التجارى ٢٦٢
مصر والسودان ٣٨٥
مصطفى الزرقا : المدخل الفقهى العام ٦٣٤
مصطفى صادق الرافعى : مشوهو تاريخ الاسلام ٩٧٤ ، المتبرجة والمعتدى عليها ٩٩٥ ، التجديد فى الأدب ١١٨٧
المعاجم اللغوية : نشأتها وأطوارها ١٠٨٦
معاكسة النساء فى الطرق ١١٥٨
معجم بأسماء المجرمين ٥١٩
معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخارى ٥٠٢
معضلات الاقتصاد وحلها فى الاسلام ٥٠٣
المعلم والضابط ٨٩٦
المعمى واللغز ٢٠٤ ، ٣٤٤
المغرب الأقصى : قضيته ٢٥٦ ، الاعتراف باستقلاله ٢٦٣ ، خطاب لسلطانه ٣٨٥ ، مذبحة الدار البيضاء ٧٧٢
المقارنة العلمية بين الشريعة والقانون ٣٨١
مكتبات فى المساجد ٨٩٦
مكتبة قصر عابدين ١١٥٠
مكة : إنارتها بالكهرباء ٣٩١
الملكية : تحديدها فى الإسلام ١٤١ ، ٣٦٠
الملكية فى الإسلام (كتاب) ٢٤٧
مملكة نقلى ٣٧٦ ، ٤٨٨ ، ٧١٨
من الأعماق كلمات لجبران خليل جبران ١٠٣٨
من ذكريات الميلاد النبوى ٣٥٥
من صفات القائد ١١٩٣
من طالب علم إلى طلاب العلم ١٠٣٣
من نحن ٣٩٧

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

من نوادر المخطوطات : أخبار ملوك العرب البائدة للأصمعى ١١٢٣
مهاجرون وأنصار ٢١٦
الموسيقى : جهود المسلمين فيها ٨٨
ميثاق اجتماعى للدول العربية ٦٤٤
الميسر وورق اليانصيب ٣١٧

(ن)

النحو والبلاغة : جهود المسلمين فيهما ٥٨
نذير بريطانى لبريطانيا ٦٤٥
النسخ فى القرآن ٢٩٠ ، ٣٢٩
نشأة كتب الأمالى ٥٥٤ ٦٨٧ ٨٢١ ١٠٧٧
نظام الإسلام السياسى ٢٨٨
النظام المحمدى والنظام الإسرائيلى ٢٦٨
نظرية الأنساب فى الميزان ٧٦٤
نظرية السبب فى العقد ٨٠٩ ، ٩٣٤
نظم الحكم فى الشرق ٧٣٩
نفحات القرآن ٥٢٣ ، ٦٦٢ ، ٧٨٦ ، ٩١٨ ، ١٠٤٨ ، ١١٦٩
نفس الحر : أبيات للشافعى ٣١٨
نفسيات (شعر) ٨٤٣
النقد الأدبى : قديماً وحديثاً ١٢٥ ، وتاريخه ٩٩٣ ، ١٢١٨
النقد وأثر الخصومات الأدبية فيه ٦١٩
نقد طبعة أحمد أمين لكتاب حى بن يقظان ١١٢٨
نهشل بن حرى : أبيات له فى نزوع المرء إلى أصله ١١٦٤
نور الدين شريبة : أخبار ملوك العرب البائدة للأصمعى ١١٢٣

(هـ)

هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ٧٦٣
الهدايا والنذور (فتوى) ٢٤٠
هل يعيد التاريخ نفسه ٩٦٦
هندى — هندكى ٤٧٧
هواتف اسلامية (كتاب) ٥٠١
ابن الهيثم ٧٨
هيوم : العلية فى فلسفته ٤٨١

(و)

واحة البريمى فى جزيرة العرب ٨٩٨
وادى الريان ٢٦٢
وحدة الأمة سبيلها إلى النصر ٧٢٩
الوحدة العربية : كلمة لجمال عبد الناصر ٨٩٩
الورق من فضلات القصب ٥١٨
وزارة الارشاد القومى ٣٨٩
الوزارة المصرية ٥٠٤
الوصاية والاستعمار ٢٦٣
الوطن آلة كبيرة ٥٤٥
ولايات متحدة عربية : أمنية الرئيس محمد نجيب ١٠٢٨

(ى)

اليمن : أقدم خريطة رمزية من عملها ٩٦٣ ، اكتشاف ١٢ ألف أثر من آثارها ٥١٦
يوسف ولى شاه : كارثة القرم الاسلامية ١٤٨ ،
يوم أحد (أبيات لكعب بن مالك) ٤٦٧
اليوم أكملت لكم دينكم ٤٠
ابن يونس المصرى ٧٧
اليونسكو وثروة العالم الثقافية ١٢٤
يوهان فك : العربية رمز وحدة ثقافية ٥٤٨

مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

تصدر عن مشيخة الازهر
فى أول كل شهر عربى
سنتها عشرة أعداد

متعهدو المجلة فى الخارج

شركة فرج الله .	
دار الكتب العربية الشرقية لصاحبها	
محمد خوجة	فى تونس
محمد على بقمبقص	« بنى غازى
مصطفى السراج	« طرابلس الغرب
مكتبة المؤيد	« ـ المنامة ـ البحرين
المكتبة العربية والمكتبة الوطنية	« الرياض
وفى السودان من :	
زكى بطليموس	« الخرطوم
غانم محمد	« الدويم
مكتبة دبورة	« العطبرة
مكتبة الصحافة	« بربر

بهذا العدد تنتهى السنة الرابعة والعشرون من مجلة الأزهر
ويصدر العدد الأول من السنة الخامسة والعشرين فى أول المحرم سنة ١٣٧٣ هـ
إن شاء الله